لكي
لا تتنازعوا

آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

لکی لا تتنازعوا

کاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مرکز الجواد علیه السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

لکی لا تتنازعوا

اشارة

اسم الکتاب: لکی لا تتنازعوا

المؤلف: حسینی شیرازی، محمد

تاریخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

الموضوع: دفاعیه

اللغة: عربی

عدد المجلدات: ۱

الناشر: مرکز الجواد

مکان الطبع: بیروت

تاریخ الطبع: ۱۴۲۵ ق

الطبعة: اول

فی البدء کانت کلمة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله ربّ العالمین، والصلاة والسلام علی أشرف الخلق وخاتم المرسلین، محمد وآله الطیبین الطاهرین.

قال سبحانه وتعالی: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَی عَالِمِ الْغَیْبِ وَالشَّهَادَةِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ().

حینما سمع الحسن البصری بمقتل طاغیة العراق فی زمن الأمویین الحجاج بن یوسف الثقفی سجد لله شکراً، وقال: اللّهم کما أمتَّه فأمت عنّا سنته.

والیوم وبعد زوال أعتی نظام وأکبر طاغیة عرفه التاریخ المقروء فی العراق صدام التکریتی والذی یسمّیه البعض بمجمع الطواغیت، الذی أهان المقدسات، وسحق الکرامات، وسلب الشعب حقوقه، وقتل من شیعة العراق صبراً خمسة ملایین وثمانمائة ألف إنسان، عدا من زجّهم بحروبه ومعارکه مع دول الجوار، والذی لم یبنِ للعراق سوی المقابر الجماعیة والسجون والمعتقلات.

علینا أن نعمل سویاً لإماتة بدعه بفضحه ومن آزره وناصره فی مسیرته الإجرامیة من دول ومنظمات وأزلام عبر تدوین جرائمهم وطغیانهم ونشرها عبر کافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئیة، وبذلک نکون قد أوجدنا الوعی فی الشعب حتی تکون له حصانة لعدم تکرار مآسیه، ونکون قد أدینا ما علینا من مسؤولیة تجاه الأجیال والتاریخ والحق والحقیقة، ونکون قد أوجدنا وسیلة ردع إضافیة أمام الحکام الظلمة علی أن ما یقترفونه سیکون مآله الکشف والفضح، فلو عمل الشعب العراقی فی الماضی علی فضح الحکومات الاستبدادیة لما وصل الأمر إلی تسلط صدام وزمرته، ولو لم یُفضح الیوم صدام ونظامه فسیأتی هدّام فی المستقبل.

ویقترح فی هذا الصدد تحویل بعض السجون ووسائلها التعذیبیة وملفاتها إلی متاحف لیطّلع علیها العالم، وأن تصدر جریدة عراقیة بالتعاون مع منظمات حقوق الإنسان هدفها استقصاء جرائم النظام البائد، وأن تحوّل المقابر الجماعیة فی محافظات العراق إلی نصب تذکاریة یلاقون الاحترام والإجلال.

علینا أن نقبر ما جاء به صدام من أفکار ومفاهیم کالقومیة والعنصریة والطائفیة وحکومة الأقلیة، وما مارسه من نظام الحزب الواحد والحاکم الواحد، وما عمله من تقسیم للمواطنین من الدرجة الأولی والثانیة والثالثة، وعلینا أن نزیل من نفوسنا أدران التفرد والعنف

والسلوك الانتقامى فى التعامل، هذه الأدران التى أوجدتها جمهورية الخوف، حيث حولت الناس إلى أذلاء يتكالبون على النفاق وعلى إيذاء بعضهم البعض وعلى الانتقاص من القيم الأخلاقية والاجتماعية فضلاً عن الإنسانية.

إنّ إماتة بدع صدام تحتاج إلى إزالة كوابيس التقاعس والتماهل واللامبالاة التى منينا بها، ونحتاج إلى جمع الهمم والسواعد وإلى وحدة الصف والهدف، ومسؤوليتنا الشرعية والعقلية تحتم علينا العمل سوياً من أجل عراق استشارى

ديمقراطى يضمن حقوق الأكثرية، ويحمل القيم الإسلامية ومبادئ أهل البيت ? مع الحفاظ على حقوق الأقلية، وهذا يتطلب منّا ما يلى:

۱: نبذ الخلافات والصراعات الداخلية. قال سبحانه وتعالى: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ()، وقال سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا () وأن نركّز على القواسم المشتركة، فإنّ: المسلمون إخوة، يد واحدة على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم () كما جاء فى الحديث، وأن نعى أساليب الاستعمار وخططه ودسائسه فى تمزيق الشعوب والمجتمعات.

۲: أن نشخّص أعداءنا من الدول التى لا ترغب بقيام حكومة ديمقراطية فى العراق، معللين ذلك بسيطرة الأكثرية فى الحكم، وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية الأمريكى فى بعض تصريحاته، ويسعى له بعض الحكام من تحركات مشبوهة.

۳: أن نحدد الهدف ونتمحور حوله حتى تتضح لنا الرؤية فى العمل، ونعرف ما ينبغى وما لا ينبغى.

۴: أن نلتف حول قياداتنا الدينية والوطنية الصالحة والمتقية التى يهمها مصلحة العراق وشعبه.

۵: أن نعمل جميعاً وباستمرار وفاعلية وبالطرق السلمية من أجل نيل الحقوق، فالاعتقاد بالحقوق دون السعى لها لا يحقق المنال، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين والصالحين.

۶: أن تكون أعمالنا نخبوية ومرّكزة، هدفها تنمية القدرات العلمية والتنظيمية والوحدوية للجماهير.

۷: أن نجعل لأعمالنا ضوابط وأطراً، فبدون ذلك مآلها التصادم والتناحر، ومن تلك الضوابط احترام حقوق الآخرين وعدم السعى لتحجيم أو إسقاط أى طرف وترك حالة الاستعلاء والاستبداد، فإنّ: من استبدّ برأيه هلك ()؛ كما قال الإمام على عليه السلام.

۸: أن نعمل من أجل صياغة دستور تقوم به لجنة من الأخصائيين الدينيين والأكاديميين من ذوى الاختصاص، يراعى حقوق الأكثرية والدين الإسلامى والعرف الاجتماعى والخصوصية العراقية، وعرض هذا الدستور على الاستفتاء العام، على أن يكون بين فترة تحضيره والاستفتاء عليه فترة زمنية يتخللها إقراره من المراجع العظام وعقد مؤتمرات تقييمية من قبل النخبة العراقية.

۹: أن نفهم البُعد الديمقراطى وحقوق الأكثرية، وأن نطالب بتلك الحقوق، ويتجسد ذلك بأن يكون الرئيس مسلماً ومن الأكثرية، وكذا الوزارات والوظائف الحكومية والجيش ومجالس البلدية والمناهج التعليمية والتربية الدينية والأوقاف وألف شيء وشيء. وبغير ذلك نكون قد كررنا التجربة المأساوية للماضى من بعد ثورة العشرين من تسلط المتعصبين من الأقلية على البلاد والتحكّم بمصير غيرها، ويكون مصيرنا كما قال الشاعر أحمد شوقى:

فوردنا الوغى فكنا الغنائما

قد أردنا من المغانم حظاً

۱۰: ومن المناسب هنا أن أدون هذه الملاحظة: أن ما يفعله البعض من تقسيم السلطة على أساس نسبة الطوائف وبعض القوميات فى آن واحد، فيه التفاف لهضم حقوق الأكثرية؛ لأن المسلمين فى العراق إما شيعة أو سنة، وتقسيمهم كذلك إلى أكراد وتركمان، وتَرْكُ العرب من التقسيم القومى، فإن الأولين الأكراد والتركمان يدخلون فى التقسيم الأول، فالمفترض هو إعطاء الشيعة حسب نسبهم ۸۰٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً، وإعطاء السنة نسبة ۱۵٪ سواء كانوا عرباً أو أكراداً أو تركماناً.

۱۱: أن يتقيد الرئيس المنتخب عبر استفتاء عام لكل عراقى صوت واحد ببرلمان حر منتخب، وأن تكون السلطة بالتداول عبر المنهج

السلمی بعیداً عن الانقلابات العسکریة علی أن یکفل الدستور ذلک.

۱۲: أن نعمل من أجل إیجاد قوانین تحقق الاستقلال القضائی فی کل أبعاده ومفاهیمه الإداریة والمالیة والفنیة کما کان فی زمن الإمام علی علیه السلام، وأن یکون هذا القضاء قادراً علی حمایة المواطن وحریاته وحقوقه المدنیة والسیاسیة.

۱۳: أن نعمل من أجل خلق رأی عام عبر حریة الصحافة السلطة الرابعة وحریة تشکیل التنظیمات والأحزاب، وحریة التظاهر والاحتجاج، وحریة عقد المؤتمرات والندوات، لأجل إخراج العراق من واقعه المأساوی، ونشر الوعی والتثقیف الدینی وتحدید مصیر الشعوب بنفسها دون تدخل القوی الأخری.

۱۴: أن نعمل لوضع خطة اقتصادیة متکاملة، تکفل لنا الاکتفاء الذاتی وإزالة التبعیة للغرب.

۱۵: أن نسعی جمیعاً لتقویة الحوزات العلمیة والمؤسسات الدینیة التی سعی النظام السابق للقضاء علی رموزها وتصفیتها.

وهذه الأمور وغیرها قد أکد علیها الإمام الشیرازی رحمة الله علیه فی لقاءاته وحواراته وخطاباته وکتاباته، وکان یسعی دائماً لإزالة الاستبداد من أرض المقدسات والحضارات، صحیح أنه رحمة الله علیه انتقل إلی جوار ربه ولکن کتاباته بین الأیدی وأمانیه واضحة فاسعوا لتحقیقها لتنالوا الاستقلال والسیادة وتورثوا أبناءکم عزّاً وسعادة.

وأود أن أنشر إحدی الرسائل التی بعثها إلیّ قبل خمس سنوات من سقوط الطاغیة وأنا فی المهجر والتی هی بمثابة رسالة لکل عراقی وکل مسلم یحترم مقدساته وقیمه.

من جوار عقیلة الهاشمیین علیها السلام

صاحب مهدی

جمادی الآخرة ۱۴۲۴ه

نص الرسالة المعنونة بقلم سماحته رحمة الله علیه:

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله ربِّ العالمین، والصّلاة والسّلام علی أشرف الخلق محمد وعلی آله الطاهرین.

وبعد.. ممّا یؤسف له حقاً، حال العالم الإسلامی الیوم بسبب الهیمنة والتسلط الاستبدادی الذی یخیّم علی ربوعه، وما نجم عن ذلک من تمزق وصراعات وانقسامات، طالت کتلته الجغرافیة والاجتماعیة.

فأنظمة الحکم المنحرفة، والمتسترة بشعارات الوطنیة والقومیة، وما أشبه ذلک، إنما جاءت واستمدت سیاستها الجائرة، من نفس سلوک وسیاسات تلک الأنظمة التی استعبدت المسلمین باسم الإسلام، لتخلق عبر کل تلک القرون الطویلة من التاریخ الإسلامی مناهج الظلم والتفرقة والتجزئة، ولنا فی حکام بنی أمیة وبنی العباس وآل عثمان، وصولاً إلی صور الاستعمار الحدیث، وصنیعته من الأنظمة الحالیة، أمثلة تشهد علی انحرافها وممارساتها الظالمة حیال الشعوب المتعاقبة.

ولا یفوتنا من أن الجهل وعدم الوعی من لدن قطاعات واسعة من أبناء الأمة، وفی خطط الاستعمار والحکام الظلمة، کانا من جملة عوامل، ساهمت بوضوح فی تمکین الطغاة من التلاعب بمقدّرات الشعوب المسلمة، والتحکم بمصائرها وفق نزواتهم ونزعاتهم، والسیر بها بعیداً عن خط الإسلام الصحیح، ومبادئ رسالته السمحاء، وسنة نبیه الکریم محمد صلی الله علیه و اله وتعالیم أهل بیته.?

إن الاستعمار لعب دوراً واسعاً فی تمزیق وحدة العالم الإسلامی، علی الصُّعد الفکریة والسیاسیة والاقتصادیة والاجتماعیة، وإضعافه کقوة عالمیة، تقف بالمرصاد لمخططاته ومشاریعه التوسعیة العدوانیة.

ولا سبیل للمسلمین للرجوع إلی عزِّهم ومجدهم العریق إلاّ بالعودة إلی الإسلام الصحیح والانتهال من ینابیع المعرفة والعلم التی أفاض

بها القرآن الكريم وما رسمته السيرة النبوية الشريفة وأحاديث ووصايا أئمة أهل البيت.?
وأول مـا ينبغي على المسـلمين فعله هو الوحـدة، روحاً ومضـموناً، وتجسـيد شـعاراتها بالعمل على أرض الواقع، فالوحـدة أساس القوة والمنعة، قال سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ().
وقد دعا الإمام الشـيرازی رحمة الله عليه فی هذا الكتاب المسلمين للعودة إلى جوهرهم وفطرتهم الإيمانية وروح الإسلام، ولأهمية هذا الموضوع ومدى اتصاله بحياة المسلمين ومستقبلهم وما يمر به الشعب العراقی اليوم من ظرفٍ حساس، الذی يحتاج فيه إلى بناء مجتمع متماسك قوامه التعايش والتآلف ووحدة الصف والهدف واتخاذ الخيار السياسـی الذی يسـعى الاحتلال إلى القضاء عليه ليقضـی على قيمنا ووجودنا؛ فقد ارتأينا طبع هذا الكتاب القيّم، عسـى أن تنتفع به الأمة، ويسترشد به المسـلمون. والله ولی التوفيق، وهو حسـبنا ونعم الوكيل.
مؤسسة الوعی الإسلامی
بيروت لبنان

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على محمد وآله الطاهرين.
وبعـد: فقـد وجـدت فی حكايات الـذين تنازعوا ففشـلوا، وحكايات الـذين توحّـدوا وتعاونوا فتقـدّموا، دروساً وعبراً لمن يريـد التقدم ويخشـى التأخر، ووجـدت فی قصـص هؤلاء وأولئك عاملاً مهماً فی التقليل من الخصومات والنزاعات بين أبناء الأمـة الواحـدة، تلك المنازعات التی انتشرت وتعاظمت حتى بلغت حالة خطرة فی النصف الثانی من هذا القرن()، وقد تفشّت حتى عمّت الجميع من حاكمٍ ومحكوم ومؤسسةٍ وجماعةٍ وجمعيةٍ إلاّ من عصم الله سبحانه وتعالى .
ولأهمية هذا الموضوع فقد قرَّرتُ أن أكتبه على شكل كتاب؛ لتعمَّ الفائدة الجميع، علَّهُ يساهم فی فتح عيون البعض على حقائق الأمور فيتركوا التنازع ويأخذوا بوحدة الصف.
فنحن لا نريـد بهذا الكتاب أن ننهى الخلافات والنزاعات لأنها من طبيعة البشـر، بل قال بعض العلماء: مثلما لا تسـتطيع أن تجد إنسانين متشابهين فی كل التفاصيل، كذلك لا تجد إنسانين متشابهين فی الآراء ووجهات النظر، وقلَّما تجد إنسانين على رأی واحدٍ.
وهـذا لا يعنی أنَّ الاختلاف أدّى بهما إلى حـدِّ الخصومـة والنزاع، فليس المقصود بتعـدد الآراء تعدد النزاعات. وليس المقصود أيضـاً دعوة أصحاب الآراء المختلفة أن يتركوا آراءهم ويأخذوا بآراء الغير بصورة مطلقة فليس كلامنا فی هذا الاتجاه، بل ما نريد قوله هو:
۱: اجتهدوا لتحرّی الحقيقة من بين الآراء المختلفة والمتناقضة.
۲: وإذا تمَّ التمسك برأی ما، بعد طول اجتهاد وعناء، فلا يعنی اختلاف الرأی انتشار البغضاء والعداء.
۳: وإذا أظهرتم العداء لا سمح الله فيجب أن يكون لهذا العداء حدّ معقولٌ، فالشیء إذا جاوز حدَّه، انقلب إلى ضدِّه.
۴: ثم إذا أظهر أحـد الطرفين العـداء فلا۔ موجب للطرف الآـخر أن يردّ على العـدوان؛ لأـنّه الأفضـل فی قانون الإسـلام: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ ()، وأيضاً جاء فی القرآن الكريم:
وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ().
فالموقف الإيجابی سيقلل من المشكلات الناجمة عن الصراعات الاجتماعية، وسيقلل من نتائج المواجهة بين الأطراف المتناقضة.
۵: وليعلم الـذی يُظهر العـداء ويغـالی فيه بالاتهـام والكيـد أنّه أولاً: سـيؤدی بعمله هـذا إلى تحطيم نفسه، وبعـد أن يتحطّم هو، تتحطّم المجموعة التی ينتمی إليها، ويكون تحطيمه لنفسه أكثر من تحطيمه للمجموعة التی ينتمی إليها.

ثانیاً: الطرف الثالث الذی یستفید من صراعات الطرفین هو الغالب والرابح؛ لأنّ قواه مکتملة بعد أن تهشّمت قوة الطرفین.

وحسب قاعدة التنازع، فإنّ الأقوی سیتغلّب علی القوی.

وقد ذکر الشاعر الإیرانی هذه الحکمة، ما ترجمته:

وبینما کانا مشغولین بالنزاع

الفرصة فحصد الذهب وذهب()

سرق لصان ذهباً فتنازعا علیه

تدخل الطرف الثالث واغتنم

وعلی من یرید التنازع أن یطرح علی نفسه هذا السؤال؛ ما هو مصدر التنازع، هل هو الجهل أو الکبر أو الحسد؟.

إذ ربما کان مصدر النزاع هو الجهل، کأنْ یتصور الإنسان أنّ قرینه قد التفّ حوله الناس أکثر من التفافهم حوله، ویتسبب ذلک تبطین الحقد فی نفسه فیبدأ بمخاصمته وإعطاء مبرر غیر حقیقی للمخاصمة.

وتنتهی هذه الخصومة إلی نتائج غیر محمودة علی الشخص نفسه، أما القرین فلا یتأثر کثیراً بهذه الخصومة.

ولربما کان السبب من وراء الخصومة الشخصیة الکِبر، مثلاً عند ما یتکبَّر إنسان عن طاعة مَنْ فوقه، وحیث لا یجد سبیلاً للفرار من واجبه یلتجئ إلی المخاصمة لیحطّ من قدره، ویبرِّر عند المجتمع عصیانه له.

ولربما یکون المنطلق نحو الخصومة هو الحسد، فقد یحسد إنسان إنساناً آخر، أعلی شأناً منه، وتصبح النتیجة هو حدوث الخصومة بین الحاسد والمحسود، وإذا سألت أحدهما لأی سبب تختصمان؟، فإنک لا تشعر بوجود سبب معقول للاختلاف سوی الحسد، والحسد یضع صاحبه؛ لأنه سیجعله صغیراً فی أعین الآخرین.

من هنا، فإذا کان منطلق النزاع هو الجهل، یجب أن یکفّ عن ذلک؛ لأن نزاعه لا مورد له، وهو هواءٌ فی شبک.

وإذا کان منشأ النزاع هو الکِبر، فلیعلم أن التکبر مذموم فی الشریعة، ولذا یجب الابتعاد عنه.

وأما إذا کان الباعث هو الحسد، فلیکن فی علمه أن الحسود لا یسود () وأن العامل بالحسد مصیره النَکَد ().

وقد شاهدت فی حیاتی هذه الأقسام الثلاثة من أقسام التنازع، وشاهدت نهایة تلک المنازعات التی کانت تنتهی إلی لا شیء، ولم یکن من نصیب أصحابها سوی الخسارة والفضیحة.

ولم یکن قصدی من هذه النتیجة التی انتهیت إلیها القول: بأنّ کل اختلاف منشأه غیر شریف، ومردّه إلی العوامل النفسیة الثلاثة التی ذکرتها.

فهناک صراع الحق مع الباطل، وهو صراعٌ مبدئی ولابدّ منه؛ لأنّ الحیاة لا تستقیم إلّا بمواجهة الحق للباطل.

أمّا خصائص صراع الحقّ مع الباطل فهی:

۱: إنّ نزاع الحق والباطل لا ینطلق من العوامل النفسیة التی ذکرناها.

۲: إنّ صراع الحق والباطل مؤطرٌ بإطار الحق لا بالزیادة ولا التعدی.

۳: إنَّ الحق دائماً یدفع بالتی هی أحسن وهی الإیجابیة المطلقة، کما ورد فی القرآن الکریم ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَبَیْنَهُ عَدَاوَةٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ ().

هذه القواعد هی حصیلة تجارب وقصص وحکایات، شاهدتها بنفسی طیلة حیاتی أو طرقت مسامعی أو قرأتها فی بعض الکتب.

والله المسؤول أن ینفع المسلمین بهذا الکتاب، والله المستعان.

الکویت

۱۸ شعبان ۱۳۹۵ ه

محمّد الشیرازی

العلماء یتحدّون الطغاة

غضب ناصر الدین شاه القاجاری() علی العالم الدینی المشهور الفشارکی رحمة الله علیه()، فأمر بإحضاره إلی العاصمة طهران، وکان الفشارکی یقطن مدینة أصفهان، والسبب فی استدعائه هو التزامه بالأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ورفضه الانصیاع إلی السلطات ودعوته الملحة لتطبیق القوانین الإسلامیة؛ وکان یعیش فی طهران عالمان جلیلان، یرجع الناس إلیهما فی التقلید، وکان بینهما نوع من التنافس إلّا أن مع قیام الشاه بجلب الفشارکی تناسی العالمان خلافاتهما وقررا أن یتحرکا لمنع الشاه من تنفیذ مخططه، وفی لحظة من الإخلاص، قام أحد العالمین بزیارة العالم الآخر فی منتصف اللیل، ولم تکن دهشة هذا العالم قلیلة عندما شاهد خصمه علی باب داره فی ذلک الوقت المتأخر من اللیل، فسأل عن سر هذه الزیارة، فذکر له قصة نفی الفشارکی من أصفهان إلی طهران، ثم أضاف: حتی لو کان بیننا شیء من القطیعة والتباعد لکن مسؤولیتنا الشرعیة تحتم علینا الوقوف قبال خطة الشاه وأن نکون یداً واحدة وصوتاً واحداً وفعلًا واحداً.

وبعد مناقشة الطرق الکفیلة بردِّ الشاه، قررا الطلب من أصحاب المحلات والدکاکین إغلاقها والخروج لاستقبال الفشارکی، وفعلًا خرجت جموع الأهالی لاستقبال الضیف المبعد یتقدَّمهم العالمان الجلیلان.

ولما سمع الشاه بهذا الموضوع أشرف من نافذة قصره، فرأی الجماهیر الهائلة وهی تهدر من کل مکان لاستقبال الفشارکی، فخشی الشاه أن یقوم الناس بمحاصرته فی قصره، فجمع وزراءه واستشارهم وطلب منهم أن یوجدوا له حلًا.

فقالوا له: إنّ أفضل وسیلة لإسکات الجماهیر هو أن یسیر الشاه ووزراؤه لاستقبال العالم ویظهروا أن استدعاءه لم یکن بعلم الملک.

وقال الملک لوزرائه: أرأیتم کیف اتحد رجال الدین ضدی، وأجبرونی علی تغییر موقفی من الفشارکی؟.

وعندما وصل العالِم المبُعد إلی طهران کان الشاه أول من عانقه، واستفسر منه عن سبب مجیئه إلی طهران، فقال العالم: بأنّ موظفیه طلبوا منه ذلک. فأنکر الشاه ذلک واعتذر إلیه، ثم أمر باستضافته فی أضخم القصور، وازدحم الناس حوله، وأخذت الوفود تأتیه من کل مکان، وظلّ أیاماً فی طهران بین حفاوة لا نظیر لها، وبعد أیام جاءه الشاه مرةً أخری وقدّم له الهدایا الثمینة وخیّره بین البقاء فی طهران أو الرحیل، فاختار الرحیل والعودة إلی أصفهان بعد أن یکمل الزیارة().

وهکذا، نجد کیف استطاع العالمان الجلیلان باتفاقهما إنقاذ الموقف وتخلیص الفشارکی رحمة الله علیه من عقوبة الإبعاد وتغییر موقف السلطة إلی الجهة المعاکسة؛ کل ذلک حدث بفضل تعقّل أحد العالمین وترک الخصومة واتخاذ ذلک القرار المهم فی زیارة العالم الآخر.

قال سبحانه وتعالی: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِیحُکُمْ ().

فقد ألغیا ما بینهما من برود وقررا أن یعملا معاً.

وهذا درس یعطینا العبرة فی أهمیة الاتحاد، وکیف إذا تضافرت جهود العلماء فی عمل ما فإنهم سیتمکنون من تحقیق ذلک العمل.

إنّ صرف النظر عن المنازعات الشخصیة وترک الخصومات وملاحظة المصلحة العامة لهو مفتاح نجاح کل شیء، وبالعکس فإن الانشغال بالنزاعات الشخصیة والبقاء علی الفرقة والتنابذ لا یجنی منه سوی الخیبة والخسران.

فکان لابد من أن نصبّ کل اهتمامنا للمصلحة العامة، ونبذ المصالح الشخصیة التی لا یأتی منها إلّا البوار.

لأجل هذا انتصر الیهود

انظر إلی الیهود کیف تناسوا خلافاتهم، وقرروا العمل سویةً، فکان نتیجة اتحادهم انتصارهم فی حرب حزیران سنة ۱۹۶۷م()، بینما

لیس للیهود سوی حکومة واحدة، أمّا المسلمون فلهم أکثر من عشرین حکومة؟!.

وقد سألنی سائل فی إحدی المرات عن سبب انتصار الیهود وهزیمة المسلمین فی حرب ۱۹۶۷م مع أنّ أولئک کانوا یهوداً أما هؤلاء فمسلمین، ومع أن أولئک لهم حکومة واحدة ولهؤلاء عشرون حکومة.

فقلت للسائل: إنک أجبت علی سؤالک.

فقال لی: کیف ذلک؟.

فقلت له: ألم تقل إن للیهود حکومة واحدة وللمسلمین عشرین حکومة، فهذا یعنی أن الیهود متحدون أما المسلمین فمختلفون.

ثم نقلت له قصة القافلة المشهورة، والقصة هی:

خرجت قافلة من بلدها وقصدت بلداً آخر لمزاولة التجارة، لکنها رجعت بعد مدة قصیرة إلی بلدها منکسرة؛ لأنّ قطاع الطرق هجموا علیهم ونهبوا ما فی حوزة القافلة من البضائع، وکانت القافلة تتألف من مائة شخص بینما لم یکن عدد اللصوص یتجاوز الاثنین، فتعجب الناس من ذلک واندهشوا کیف استطاع اثنان من هزیمة هذا العدد الکبیر؟!.

فقالوا لهم: کیف انهزمتم وأنتم مائة شخص؟

قال أحدهم وکان حکیماً : نعم، إنهم کانوا اثنین لکنهم کانا متحدین، ونحن کنّا مائة لکن کنّا متفرقین، وهذا الاختلاف الذی کان بیننا وبینهما، والاثنان عندما یکونان متحدین، یکونان أقوی من کل واحد واحدٍ منا حتی لو کنا مائة.

أجل، فالمسلمون الیوم أکثر من ملیار نسمة، أما الیهود فلا یزید مجموعهم عن عشرین ملیون فی جمیع أنحاء العالم، ولا یزید عددهم فی فلسطین عن ثلاثة ملایین() لکنهم جمیعاً صفٌ واحدٌ مقابل المسلمین.

إنی لا أزعم أن هذا هو السبب الأول لهزیمة المسلمین فی حرب حزیران عام ۱۹۶۷م، فهناک أسباب أخری، من أهمها:

إهمال المسلمین للتقدم العلمی، وعدم أخذهم بمکتسبات العصر، من حیث بناء المؤسسات وإقامة الصناعات وما أشبه ذلک. لکن هنا أرید أن أبیّن الأسباب الرئیسیة للهزیمة، وهی بخط عریض: «التفرُّق والتشتت»، فالمسلمون من غیر العرب لم یشترکوا فی حرب حزیران؛ لأن الحرب کانت عربیة صرفة، والعرب لیس بمقدورهم الانتصار؛لأنهم فی الأساس مختلفون وغیر منتظمین بل إنهم جماعات متناحرة یعادی بعضهم بعضاً،فکیف یمکن أن یتحقّق النصر فی مثل هذه الظروف؟!.

المجدد الشیرازی واتّحاد الأمّة

وقصة أخری من قصص الاتحاد هی قصة التّنباک()، لما أقدم المجدد الشیرازی رحمة الله علیه() علی تحریم استعمال التنباک بسبب احتکار البریطانیین لهذا المنتوج. فقد توسل الإنجلیز بکل الوسائل الممکنة لإفشال التحریم، ومن جملة أسالیبهم أنهم حاولوا إلقاء الفتنة بین العلماء الأعلام؛ حتی ینقض بعضهم فتوی المجدد، ویکون ذلک حجة لدعایة مضادّة ضد المجدد ولإلقاء البلبلة فی صفوف المسلمین.

فقد حاول الاستعمار البریطانی أن یشعل الفتنة بین المجدد الشیرازی وأحد کبار المراجع هو الشیخ زین العابدین المازندرانی() الذی کان له مقلدون کما للمجدد الشیرازی وکلمته مسموعة عند الناس، یومها کان الشیخ المازندرانی فی مدینة کربلاء المقدسة، بعث إلیه السفیر البریطانی رسالةً خاصةً، یبدی فیها رغبته فی زیارة الشیخ، فی الوقت نفسه أوعز السفیر البریطانی إلی جماعة من رجالاته المرتبطین بالسفارة الحضور فی بیت المازندرانی وتأیید ما یقوله السفیر.

وبالفعل حضر السفیر فی الیوم المقرر للزیارة إلی بیت الشیخ المازندرانی وبعد المجاملات الدبلوماسیة، توجّه السفیر إلی الشیخ قائلاً له: إنی سمعت أن هناک حدیثاً عن رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلی الله علیه و اله یقول فیه: (إن حلال محمد حلال إلی یوم القیامة وحرامه حرامٌ إلی یوم القیامة)() فهل هذا الحدیث صحیح؟

قال الشیخ: نعم، ومؤکد أیضاً.

عند ذلک قال السفیر منتهزاً الفرصة: فهل التنباک حلال أم حرام، فإن کان حلالاً فی الشریعة الإسلامیة فکیف یحرّم الیوم، وإن کان حراماً فکیف حلّل قبل ذلک؟ فانبری المرتزقة الذین أحضرهم السفیر، فأیّدوا کلام السفیر؛ لیؤثّروا فی جواب الشیخ المازندرانی. ولم تنطل الخدعة علی الشیخ المازندرانی، فقد کان أذکی من السفیر البریطانی، فقد أجابه بهذا الجواب:

إن الحدیث صحیح، والتنباک کان حلالاً ـ إلی ما قبل فتوی المجدد، أما بعد الفتوی فهو حرام، ذلک لأن هناک حدیثاً آخر عن الرسول الأعظم صلی الله علیه و اله وهو أن (لا ـ ضرر ولا ـ ضرار فی الإسلام)() فإذا صار الواجب أو الحلال ضرریاً، ارتفع حکمه، ومثاله: أن الصوم واجب لکن إذا صار ضرریاً، سقط وجوبه، والوضوء والغسل والحج کلها واجبات ما لم توجب الإضرار، والتنباک قبل الانحصار() کان حلالاً، لکن بعد منح الامتیاز للبریطانیین، صار مضراً للمسلمین، ولذا أصبح حراماً، وأفتی بذلک المجدد، ونحن نؤیده ومتی ما تم إلغاء الامتیاز، عاد الحکم إلی حالته السابقة من الحلیة.

وبهذا الجواب القاطع ألقم السفیر ومرتزقته حجراً، وسکتوا ولم ینبسوا ببنت شفة. وهکذا فشلت محاولات البریطانیین فی إیجاد ثغرة بین العلماء ببرکة اتحادهم وتعاونهم وتآزرهم، وبهذا الاتحاد العظیم والامتثال لفتوی الشیرازی اضطر الإنجلیز أخیراً إلی الانسحاب وإلغاء الامتیاز.

إسرائیل وسیاسة التفریق

قال أحد زعماء الکیان الصهیونی الغاصب للأرض الإسلامیة فی فلسطین: إن دولته تصرف أکثر المیزانیة المُعَدَّة للأمن الإسرائیلی فی تفریق البلاد العربیة وتشتیت شمل الفلسطینیین، حتی لا تقوم لهم قائمة.

أما کیف یتسنی لهم ذلک؟.

فی الإجابة نقول: اختار الیهود أسلوب الوقیعة بین الرؤساء، وإرشاد العملاء وتوجیه الصحف والإذاعات لتحفیز العرب ضد العرب ولإثارة الخلافات العربیة العربیة.

وقد بذل الیهود الأموال الطائلة لشن الحرب النفسیة والدعائیة. وقد عزفوا فی إعلامهم علی وتر القومیة والإقلیمیة والعرقیة واللونیة وإلی غیرها. فلماذا نبقی نحن المسلمین فی غفلة عن أحابیل الیهود ومخططاتهم الجهنمیة.

من هنا، فکل صوت یدعو إلی التفرقة فهو صوتٌ مرفوض عند المسلمین ذلک لأن الوحدة فوق کل شیء، کما الإنسان الملزم بالوحدة العامة کذلک ملزم بالوحدة الخاصة.

من هنا، کان اللازم أن نتمسک بالوحدة الخاصة: أی أن یطبق الوحدة کل واحد منا علی أسرته. فالأسرة هی نواة المجتمع، فإذا کانت الأسرة متحدة أصبح المجتمع متحداً أیضاً.

والدائرة الأخری غیر دائرة الأسرة هی دائرة العمل وهی التی تضم جمیع العاملین، وکلّما توسعنا فی المجتمع توسعت الدائرة، فدائرة الأقرباء ثم دائرة العشیرة ثم دائرة القریة ثم دائرة المدینة ثم دائرة الدولة.

والوحدة تبدأ من الدائرة الصغیرة لتنتهی إلی الدائرة الأکبر.

من وحی التاریخ

وقد جاء فی قصص الحکماء عن نتائج الاختلاف قصة البقرات الثلاث:

البقرة السوداء، والبقرة البیضاء، والبقرة الصفراء، وقد اجتمعت هذه البقرات الثلاث فی مرعی وکنَّ فی أمن من کل خطر، عشن هکذا مدة من الزمن، لا ـ یعکر صفو حیاتهن أیّ خطر، حتی داهم المرعی أسدٌ جائع، قرر فی نفسه التهام هذه البقرات ولکن کیف؟ وهن

ثلاثة وهو لا يستطيع على البقرات الثلاثة.

فلاح في خاطر الأسد فكرة تفريقهن ليتمكن من التهامهن، وبعد تأمّل طويل جاء الأسد إلى البقرتين البيضاء والصفراء وأخذ يقول لهنّ: كنت أمرُّ في المرعى وقد شاهدت بقرة سوداء بلون الليل الداكن، فهذه البقرة السوداء ستجلب لكُنّ الشرّ وسيطمع فيكما الحيوانات الأخرى. فإن أذنتما لي وسمحتما بافتراسها حتى تتخلصان منها. فيرفع عنكن الشر ويصبح المرعى لكما أنتما فقط.

وجدت البقرتان هذه الفكرة حسنة حيث إنهما ستتخلصان من هذه البقرة السوداء وتصبح المرعى لهما فقط دون مشاركة ثالث. فوافقتا على اقتراح الأسد الذي أسرع وانقضّ على البقرة السوداء، وما هي إلّا لحظات حتى تحولت إلى لقمة سائغة في فم الأسد الجائع.

وبعد أيام جاء الأسد مرّة الأخرى وهو يحمل جوعه إلى مرعى البقرتين، فاتخذ الأسلوب نفسه، فقال للبقرة الصفراء: إن وجود البقرة البيضاء فيه ضرر كبير عليك، فهي تكشف للأعداء عن مكان وجودكما لأن بريقها يجلب الانتباه، كما وأنها تنافسك في طعام المرعى. فلو أذنت لي وسمحتي لي بالتهامها والقضاء عليها قبل أن تفتك بكما حيوانات الغابة، فأذنت البقرة الصفراء في ذلك.

فقفز الأسد نحو البقرة البيضاء والتهمها. ولم يبق له إلّا البقرة الصفراء التي جعلها طعامه القادم إذا جاع.

ولم يكن أمامه مانع في افتراس البقرة الصفراء؛ إذ بقيت هذه البقرة وحيدة لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

وعندما حان الوقت لافتراسها واعتقدت البقرة الصفراء أنّ يومها قد حان فعلًا صاحت بأعلى صوتها: أُكلتُ يوم أُكِلَتْ البقرة السوداء.

وهذه القصة فيها من المعاني الكبيرة التي لو تدبرنا فيها لكفتنا تمسكاً بالوحدة.

وقد قال الشاعر:

فليسكب الماء على لحيته

من حلقت لحية جارٍ له

وقال شاعرٌ آخر:

إذا احترقت دارٌ لجارك فاستعد

لهيب اللظى يسرى لمن بجوارها

هكذا أوقع الفرقة بينهم

يقال: إنّ رجلًا زعم أنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه و اله، ورجلًا آخر كان يرتدي العمامة ويدّعي أنّه طالب علم، ورجلًا ثالثاً كان يعمل موظفاً في جباية الضرائب. فوردوا بستان أحد المزارعين وأخذوا يقطفون الثمار ويأكلونها، فرآهم صاحب البستان على تلك الحالة وعلم أنه لا يطيق الثلاثة سويةً، فأراد إلقاء الفرقة بينهم؛ ليتخلّص منهم واحداً بعد آخر.

تقدم إليهم، وقال من أنتم؟ ولماذا دخلتم البستان وأكلتم من ثمره دون استئذان.

فأجاب الأول: إنه يأكل حقه من الخمس! باعتباره سيداً من ذرية رسول الله صلى الله عليه و اله.

وقال الثاني: إنه يأكل حقه من الزكاة.

وقال الثالث: إنه يأكل ما يجب على صاحب البستان من ضرائب.

فقال البستاني للأولين: أما أنتما فهنيئاً لكما.. فالحق الشرعي لا مفرّ منه فكلا ما شئتما، ثم توجه إلى الثالث وقال له: من قال لك إني لم أدفع الضريبة إلى الحكومة؟ ثم أخذه ودفعه إلى خارج البستان وأوسعه ضرباً وركلًا، أما الصديقان فقد وقفا يتفرجان لأنه أرشاهما بكلامه وتركهما وشأنهما يأكلان، ويعبثان بالبستان.

ثم بعد ذلك تقدم إلى السيد وقال له: نعم سيدنا، إن لك الحق في الخمس فكل هنيئاً مريئاً. أما أنت أيها الشيخ المحترم، من قال لك إن ثمر البستان قد بلغ النصاب حتى يستحق الزكاة؟!.

أليس شرطاً أن تكون الثمرة خمسة أوسق()، وهل تعلم أن هذا البستان فيه عدة شركاء لا تصل حصة أحدهم حتى وسقاً واحداً، إذاً أيها الشيخ الكريم، ليس على البستان وثمره زكاة، ثم أخذ بيد الشيخ وأخرجه من بستانه.

وبعد أن تخلص من الشيخ وموظف الضرائب، جاء إلى السيد وقال له: أجل إن للسيد خمس أرباح الناس، وهذا ما ورد فى القرآن الكريم، لكن هل ورد فى القرآن أيضاً أن للسيد الحق فى أن يسرق وأن يدخل بستان الناس بغير إذنهم، ثم أخذ يسحبه حتى أخرجه من البستان بصورة ذليلة، وتخلص البستانى من الثلاثة بإلقاء الفرقة والاختلاف بينهم.

وهذه هى نتيجة كل فرقة وعاقبة كل اختلاف. فمصير كل اختلاف وفرقة هو الذل والهوان للمختلفين.

زُوَّار الأربعين

عندما احتلّ الإنجليز أرض العراق قبل نصف قرن() سأل القائد البريطانى أحد شيوخ العراق عن عدد الذين يزورون الإمام الحسين عليه السلام الأربعى، العشرين من صفر؟

قال الشيخ: لا أعلم.

قال القائد الإنجليزى: ولماذا لا تعلم بعددهم؟.

قال الشيخ: لأن عددهم هو أكثر من أن يحصى.

قال القائد الإنجليزى: لكننى سأقوم بإحصائهم، فأمر جماعة من معاونيه أن يقفوا فى الطرق الرئيسية المؤدية إلى كربلاء المقدسة فى أول شهر صفر ليحصوا عدد الوافدين إليها، ووضع على كل مدخل من مداخل المدينة محاسباً ومشرفاً ومساعداً، وبدأ هؤلاء فى العدّ وتمكنوا من عدّ الزوار إلى يوم العاشر، أما بعد العاشر من صفر فاتصلت المواكب ليل نهار كالسيل المتلاطم، الأمر الذى أصبح من غير الممكن حسابهم، فرفعوا تقريراً عن عجزهم. فقال القائد الإنجليزى فلنعمد إلى أسلوب آخر فى الإحصاء، وأخذ يفرِّق الناس فى أجناسهم وألوانهم، فهذا عربى، وذلك إيرانى، وهذا هندى، وهذا تركى، وهكذا دواليك، ثم منع السفر من بلدٍ إلى بلد آخر داخل العراق، وأمر كل مسافر يريد السفر بأن يحصل على الموافقة الخطية من حكام البلاد المختلفين، ونشر الجواسيس والعيون بين الناس وكانت مهمتهم تتَّبع أمورهم، وأمر الحاكم العراقيين بعدم التدخل فى شؤون بلادهم، وهكذا أخذ يفرِّق الناس بأساليب مختلفة حتى ثارت العشائر العراقية وقامت ثورة العشرين() بقيادة آية الله العظمى الإمام الثائر الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه() الذى استطاع أن يُخرج الإنجليز من أرض العراق ونزع الاستقلال منهم بالقوة بعد أن أعاد للعراقيين وحدتهم، وبثَّ فيهم روح الجهاد والفتوّة والبسالة، وخرج الإنجليز من البلاد صاغرين مستسلمين لإرادة العلماء والجماهير الملتفّة حولهم مع أنهم فى ذلك اليوم لم يتجاوزوا الثلاثة ملايين نسمة، بينما كان الإنجليز قد استقوا بألف مليون شخص موجودين فى الهند والصين والمستعمرات الأخرى، كما وأن بريطانيا كانت تمتلك يومذاك أحدث الأسلحة والأعتدة المتطورة، بينما كان الشعب فى العراق أشبه ما يكون بالأعزل عن السلاح، لكنهم بتمسكهم بقوله سبحانه وتعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا () أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم النصر.

وإلى يومنا هذا يحتفل العراقيون بعيد الاستقلال فى الثلاثين من حزيران؛ إحياءً لتلك الثورة الباسلة، رغم أن الحكومة البعثية تحاول إلغاء دور قائد الثورة الإمام الشيرازى رحمة الله عليه.

وهنا ينبغى الإشارة إلى حقيقة مهمة هى: أنّ الشيعة تأخروا فى العراق منذُ الاستقلال تأخراً مشيناً، فتقاعسوا عن العمل الدؤوب حتى أصبحت أجهزة الدولة كلها تقريباً بأيدى السنة المتعصبين المعارضين للشيعة. بينما بذل الشيعة التضحيات وهم الذين قاموا بثورة العشرين، وعلى أكتافهم قامت الدولة العراقية الحديثة، وبعد تلك التضحيات الجسام، جاء غيرهم وجنى المرابح، فكانت الأجهزة الثقافية، والوظائف الرئيسية، وقيادات الجيش، والأوقاف، والإعلام، وكل شيء، بأيدى السنة المتعصبين؛ وهم لا يشكلون سوى خمسة عشر بالمائة من عدد سكان العراق، وحرمت الأكثرية من إدارة دفة البلاد().

إشكالات وردود

وقد سمعتُ من عدد من شباب الشيعة أنهم يلقون بمسؤولية ذلك على علماء الشيعة، فيقولون: إنهم فرَّطوا في حقِّنا، فلماذا جاؤوا بفيصل الأول() لحكم العراق ولم يفوضوا الحكم إلى رجل شيعي منهم؟

ولماذا حرّموا على الناس دخول المدارس والوظائف والجيش؟ فلم تتكون لدينا المؤهلات المطلوبة للحكم، بينما حصل السنّة على كافة المؤهلات التي أتاحت لهم الدخول في كل مسلك وإدارة ومرفق؟

ولماذا قاطعوا الحكومات والأنظمة المتعاقبة على حكم العراق، ولم يتعاونوا مع السلطات، ولم يفتحوا جسراً للتفاهم بينهم وبين المسؤولين على شؤون الدولة حتى يتمكنوا من إسناد بعض الوظائف إلى الشيعة؟

إنَّ هؤلاء الشباب، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، يرددون كلمات المستعمرين الذين أخذوا يلفِّقون التهم ضد الشيعة وضد علماء الشيعة حتى لا ـ تقوم لهم قائمة في العراق. شأن كل المستعمرين في كل زمانٍ ومكان الذين يسعون إلى التفريق بين الأمة وقادتها المخلصين.

واختصاراً نوجز الرد على الإشكالات الثلاثة؛ لتبدو الحقيقة واضحة، شاخصة للعيان:

أولًا: أمّا قولهم لماذا جاؤوا بفيصل وهو ليس بشيعي؟

فالجواب: أن الإمام الثائر محمد تقي الشيرازي لما انتزع العراق من براثن الإنجليز، جمع شيوخ العشائر الذين شاركوا في الثورة، واقترح عليهم أن ينتخبوا واحداً من أنفسهم، يكون ملكاً عليهم، فأبوا أن يلبّوا هذا الطلب؛ إذ أنف كل واحدٍ منهم أن يملَّك عليه أحدهم مساوياً له في الرتبة والشخصية والثقافة.

فقال لهم: وما تقولون في القرعة: إنها لكل أمرٍ مشكل ()؟

فلنقترع بينكم فأيُّكم خرجت القُرعة باسمه فهو الملك أو الرئيس؟

قالوا: كلا، فإنّا لسنا على استعداد لأن نؤَمِّر أحدنا علينا.

فاقترح عليهم: إذاً، فاقبلوا ب فرمان فرما () وهو شخصية مرموقة، وله مؤهلات إدارية وقيادية وهو رجل شيعي.

قالوا: لا، إنه ليس من عنصرنا.

وهنا تحدّث السيد محمد علي الطباطبائي()، وهو من رجال ثورة العشرين المشهورين، قال كلمته المشهورة تهكماً بمن قال: إنه ليس من عنصرنا.

وأخيراً، أجبروا الشيخ الشيرازي على الموافقة على تعيين فيصل ملكاً على العراق.

وإني أظن أنّ هذه الخطة كانت استعمارية، مرّرت على العراقيين بتدبير من بريطانيا ونُسجت خيوطها في الظلام. وقد كشف لورنس العرب () الجاسوس البريطاني المشهور في كتابه «أعمدة الحكمة السبعة» عن ذلك.

من هنا، فعلماء الشيعة أرادوا سيادة العراقي الثائر الشيعي ولم يكونوا يرغبون بفيصل ومن هو على شاكلة فيصل، لكن الشيعة عصوا أمر علمائهم ولم يريدوا ذلك، وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا رأي لمن لا يُطاع)()، ولم يرشح الشيرازي نفسه لأمور خاصة.

ثانياً: وأما استنكارهم علىالعلماء تحريمهم للمدارس، والوظائف، ودخول سلك الجيش.

فالجواب على هذا الاستنكار هو:

١ لم يقل أحد بتحريم الدخول إلى المدارس أو الوظائف أو الجيش.

أليس العلماء أنفسهم، دخلوا الوظائف، فهذا السيد محمد الصدر() أصبح رئيساً لمجلس الأعيان ورئيساً للوزراء، والشيخ الشبيبي() أصبح وزيراً للمعارف، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن() أيضاً وزيراً للمعارف.

أضف إلى ذلك السيد هبة الدين الشهرستانى() والشيخ على الشرقى() وغيرهم()، هؤلاء كلّهم من أهل العلم، ودخلوا سلك الوظيفة، وارتقوا حتى وصلوا إلى المناصب العالية.

أما عن الجيش، فقد تأسست أول فرقة فى الجيش العراقى على اسم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان تأسيسها فى مدينة النجف الأشرف، وتم ذلك تحت سمع العلماء وبصرهم وبتشجيع منهم، وعلى هذا فقس ما سواه.

ثم إننا لا ننكر أنهم اعتزلوا الحكومة لما رأوا فيصل وهو أخذ يتعاون مع الإنجليز، ولا يهتم بمطالب الشعب المشروعة، ثم إنهم قاطعوا الحكومة كما تقاطع الأحزاب الحكومات المتعاقبة().

وقد تصدّى العلماء لحكومة فيصل الذى تحوّل إلى رداء يخفى تحته أذيال الاستعمار البريطانى. وقد بلغت المواجهة حدّاً إلى أن قام فيصل بنفى العلماء من أمثال الشيخ مهدى الخالصى()، والسيد أبو الحسن الاصفهانى()، والميرزا محمد حسين النائينى()..

والسيد الحجة الكربلائى()..

وغيرهم().

وفى الحقيقة إنَّ علماء الشيعة قاموا بهذه المقاطعة بغية إصلاح الأمور، وبالفعل فقد نالوا بعض ما أرادوا.

۲ لنفرض جدلاً أن علماء الشيعة حرّموا كل هذه الوظائف وحرّموا الدخول إلى المدارس والجيش، فنتساءل ونقول: أو ليس قد دخل بعض الشيعة كل هذه الوظائف حتى إنهم وصلوا إلى بعض المراتب فى الدولة والجيش ومجلس الأمة والشيوخ وغيرها. فلماذا لم يخدموا الشيعة؟ ولماذا كل المؤسسات والدوائر صارت تُدار من قبل متعصبى السنة وهم أقلية فى الأقلية السنية؟

فهل ما حدث هو ذنب العلماء أم ذنب الذين لم يطيعوا العلماء بل وخالفوا أوامر العلماء ورغبتهم فى اختيار أحدهم للقيادة العليا فى العراق.

ثالثاً: وأما قولهم: لماذا قاطعوا الحكومات المتعاقبة على بلادهم ولم يتعاونوا مع السلطات ولم يفتحوا جسراً للتفاهم ... إلخ؟

فالجواب: إنهم قاطعوا بعض الحكومات لا ـ جميعها، وهل يُعد ذلك ذنباً من قبلهم. ثم لماذا لا يسألون لِمَ قاطع العلماء الحكومات، أليس لكونها عميلة للاستعمار؟، وبالتالى هل يعتبر هذا الموقف خاطئاً أم أنه موقفٌ سليم؟!.

أما عن مدّ جسور التفاهم مع الحكومات، ففى التاريخ أمثلة عديدة عن قيام العلماء بمدّ جسور التفاهم والحوار مع بعض الحكومات، وكلّما أحسّ العلماء بفائدة ولو ضئيلة للإسلام والشيعة فى الاتصال بالحكومة، أقدموا على ذلك، وإنى لأذكر الوزراء، والنواب، والضباط الكبار، وسائر شخصيات الدولة الذين كانوا يزورون العلماء فى بيوتهم، وكان العلماء يستغلون تلك الفرصة فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينصحون الحكام إلى ما فيه صلاح الأمة وخيرها. ويطالبون الحكومات بالإخلاص فى العمل لما فيه خير العراق والعراقيين والإسلام والمسلمين عامة.

وفى هذا يقول الشاعر:

أيتها النفس أجملى جزعاً

إن الذى تحذرين قد وقعا

فالمشكلة كما يتصوّرها الشاعر قد وقعت فعلاً، والأكثرية فى العراق صاروا محرومين من أبسط حقوقهم، فليس العلاج أن يكيل بعضنا التّهم ضد البعض الآخر، يوزّع الشتائم على هذا وذاك، فلنعتبر بالماضى، ونعمل للمستقبل، والكلام الآن فى كيفية العمل، وهى بنظرى:

۱ تثقيف المسلمين عامة والشيعة بصفة خاصة تثقيفاً حضارياً يتلاءم وثقافة العصر، ويستقى جذوره من الدين الإسلامى.

۲ نشر الوعى فى طبقات الأمة، عبر تنظيمهم فى منظمات مختلفة متوزعة على مساحة الشؤون الدينية والدنيوية.

۳ توحيد الصفوف ونبذ الفُرقة والانقسامات والتفرقة والعصبيات القبلية.

٤ النهوض بالمجتمع عمرانياً واقتصادياً.
٥ العمل على استرجاع الحقوق المغتصبة من الشعب، وذلك باعطائه زمام الأمور، واحترام إرادة الأكثرية، فمن دون استعادة حقوق الأكثرية التى لخّصناها فى النقاط السابقة، لا يمكن لأوضاع العراق أن تستقر، ولمشاكله أن تنتهى وتزول.
وما نقوله ليس غريباً؛ لأنه مقبول دينياً، ويسمّى بالشورى، وهو مستحسن دنيوياً ويسمّى بالديمقراطية وهو مطلوب بموازين العقل والشرع.

لا لتقسيم العراق

قامت ثورة العشرين فى العراق بقيادة القائد الإسلامى الشيخ محمد تقى الشيرازى رحمة الله عليه على أكتاف الشيعة، والشيعة وحدهم، لكن قائد الثورة المتّصف بالحكمة، رأى من الضرورى إشراك السُّنّة فى الثورة ولو بشكل صورى؛ ليقطع سبيل المراوغة على الإنجليز.
والإنجليز قاموا بعدة محاولات لإجهاض الثورة، وكانت من جملة تلك المحاولات الفاشلة:
١ فصل السُّنّة عن الشيعة وإلقاء الفُرقة بينهم()، ثم ضرب بعضهم ببعض؛ لتبقى سيطرتهم على البلاد، كما هى عادتهم قديماً وحديثاً مع مستعمراتهم، فقد كانوا فى الهند يذبحون البقرة ويرمون بلحمها فى مناطق الهندوس. وفى الوقت نفسه كانوا يلطخون مساجد المسلمين بالنجاسة ويتركون عليها علامات تدل أنّ الفاعلين هم الهندوس، فتقوم المذابح الجماعية، ويتنفس الإنجليز الصُّعداء لمدة من الزمن، وهكذا.
وقد قطع الإمام الشيرازى رحمة الله عليه الطريق على الإنجليز عندما اختار السنة إلى جانب الشيعة ولو بصورة اسمية، وكلّما حاول الإنجليز إثارة موضوع السنة والشيعة، كان تدبير الشيرازى أقوى من مؤامراتهم.
٢ تقسيم العراق إلى منطقة شيعية هى النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وما حولها، ومنطقة سُنّيّة. كما كان لهم رأى فى إيجاد منطقة ثالثة هى منطقة الأكراد فى شمال العراق، كما فعلوا ببلاد الشام؛ حيث قسموها إلى خمس حكومات.
وأخذ الإنجليز يروجون لفكرة تقسيم العراق بين الناس، وفرح البسطاء من الجانبين بها، وأخذوا يقولون: هل هناك أفضل من وجود حكومة شيعية لا يضطهدها السنّة؟.
وهل هناك أفضل من حكومة سنّيّة لا تشغل بالها بالشيعة؛ لكن قائد الثورة وقف بكل حزمٍ ضدَّ هذه الخطّة قائلاً: (إنَّ المسلمين كلَّهم وحدة واحدة وإنْ اختلفوا فى بعض الأمور)().

من مكر الإنجليز

جاء قائد الحملة الإنجليزية العام إلى الإمام الثائر الشيرازى رحمة الله عليه ليقول له: إنَّ الحكومة البريطانية ترحّب بمطالب الثوار وإنها تريد إعطاء الشيعة حقوقهم المشروعة، ولما قامت الثورة على أكتافهم فهى تريد أن تمنح الاستقلال لهم دون سواهم.
قال الشيرازى: كلاّ إن العراق وحدة واحدة، والاستقلال يجب أن يكون للجميع، ويجب على الجميع أن يشتركوا ويُساهموا فى الحكم.
فأيقن الشيرازى أن ما قاله هذا البريطانى، ظاهره الحق وباطنه الباطل، والإنجليز بعملهم هذا، يريدون تقسيم العراق وإبقاء الاستعمار حاكماً ومسيطراً. وهكذا أنقذ الإمام الشيرازى رحمة الله عليه بلاد العراق من براثن الاستعمار، عندما رفض مقترحات المستعمرين.
ولو طبّق قادة المسلمين هذا اليوم ما طبّقه الإمام الشيرازى بالأمس، لكان وجه بلاد المسلمين غير ما نراه اليوم من تمزُّق وتشتّت وتباعد، ولأصبح للمسلمين وزنٌ فى الميزان الدولى، لا ينقص عن وزن أمريكا وروسيا إن لم يكن أثقل منهما وزناً().

استقلال العراق ثمرة الاتّحاد

لاشک أن الشیعة بعد ثورة العشرین هم الذین دعموا الملک فیصل لیصبح ملکاً علیهم، وقد اتّفق الشیعة علی تشکیل حکومة أمام المستعمر البریطانی الذی أراد أن یجعل العراق مستعمرة لبریطانیا، ولکنَّ «فیصل» لم یراعِ خدمة الشیعة له، وقلب لهم ظهر المجن، وأوغل فی إبعادهم عن المراکز الحسّاسة، وعن المناصب الحکومیة المهمّة.

بل ازداد فی سلب حقوق الشیعة عندما أوعز إلی شرطته بتسفیر علمائهم وخطبائهم إلی إیران، الأمر الذی جعل الحکم من أوَّله متزلزلاً فالأکثریة الفاعلة أصبحت فی خبر کان، أما الأقلّیة الجامدة التی لم یکن لها فی یوم ناقة ولا جمل فی عملیة الاستقلال، أخذت تسیطر علی الأوضاع()، ولو کان الملک فیصل قد رعی الحقوق الوطنیة للشیعة، لم یسقط الحکم الملکی فی أقل من نصف قرن، بینما استمرت الحکومات الملکیة فی بلدان أخری قریبة من العراق لسنوات طویلة.

وهکذا أیة حکومة تخالف سنة الله فی الحیاة، ولا ترعی حقَّ الأکثریة الشیعیة فی العراق، سیکون مصیرها الفشل والفشل الذریع، فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِیلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِیلاً ().

ومراعاة قانون الأکثریة لا یعنی إلغاء الوحدة، بل إنه السبیل إلی تمتین دعائم الوحدة.

أجل، إنَّ فیصلاً شکَّل أول حکومة سُنّیة وسلّم زمام الأمور إلی السّنّة، وذلک ما أثار غضب الشیعة فقاطعه العلماء، وقد بعث برسالة إلی أحد العلماء، جاء فیها: (أنتم قمتم بالثورة، وجئتم بی إلی بلدکم، فلماذا قاطعتمونی)، ولمّا جاء الرسول إلی ذلک العالم، قال العالم له: قل لفیصل: إنّا نقاطعک لتجاهلک حقوق الأکثریة الشیعیة الذین جاؤوا بک إلی البلاد وسلّموک مقالید الحکم، لکنک سلّمت الأمور إلی الأقلیة، مع أنک تعلم وتعترف أن الذین جاؤوا بک والذین بنوا العراق علی جماجمهم هم المسلمون الشیعة، وإنِّی لا أقول ذلک من باب الإحساس الطائفی بل من جهة الأکثریة والأقلیة، ومن جهة إعطاء لمن لا حق له الحق کله، فهل موقفنا یخالف الإنصاف أیّها الملک؟!.

قال الرسول: لمّا أبلغت الملک مقالة العالم، قال: الآن أریک الجواب عملاً لا قولاً، ثم إنه قال للرسول: هل تعرف أن رئیس الوزراء والمدیر الفلانی کلاهما سنّیان؟ قال الرسول: نعم، قال: وهل تعلم هناک خصومة بین الرئیس والمدیر؟ قال الرسول: نعم، قال: فانظر الآن.

وأمر الملک سکرتیره أن یحضر المدیر، ولمّا حضر المدیر قال له فیصل: إن رئیس الوزراء لا یقوم بأداء واجباته خیر قیام، والناس غیر راضین عنه وإنی أرید أن أعزله وأجعلک مکانه فماذا تری؟ قال المدیر: إنی لا أرفض لک أمراً، لکن الذین قالوا للملک هذه المقالة حول رئیس الوزراء مخطئون، فإنّ الرئیس یدیر البلاد علی ما یُرام وإنی لا أحب أن احتلّ موقعه، أمّا ما سوی ذلک فأی أمر یأمرنی الملک فإنی أمتثل له بکمال الترحیب.

ثم إنّ فیصلاً أذن للمدیر بالانصراف، قال الملک لسکرتیره ثانیاً: أحضر لی المدیر الفلانی، وحین خرج السکرتیر من عنده قال فیصل للرسول: هل تعلم أن الوزیر الفلانی والمدیر الفلانی اللذین أمرت بإحضارهما کلاهما شیعیان؟ قال الرسول: نعم، قال فیصل: وهل تعلم أنهما صدیقان لا یفارقان أحدهما الآخر؟ قال الرسول: نعم، قال فیصل: فانظر ماذا ستکون النتائج؟.

وبعد فترة من الزمن جاء المدیر وسلّم وجلس، ثم قال الملک له: أبلغت أن الوزیر الفلانی لا یؤدی مهامه حسب الأصول والناس یشکون منه، ولذا فکرت فی إقالته وأن أجعلک مکانه فأنا أجد فیک الکفاءة المطلوبة وأجد عندک سداد الرأی.

قال المدیر: نعم سیدی الملک، إن کل الناس متعجبون من جعل هذا الرجل وزیراً وهو لا یقدر علی إدارة مدرسة ابتدائیة، فکیف بالوزارة، وسأکون عند حسن ظنک، ثم أذن له فیصل بالانصراف ثم توجه للرسول قائلاً له: قل للعالم الذی أرسلک: إن الشیعة لا یصلحون للحکم بخلاف السنّة، وهذا هو الذی دفعنی إلی الاستعانة بأهل السنّة؛ لأن الحکم یحتاج إلی التماسک والاتفاق والتعاون،

وهذا ما لا يوجد عند الشيعة، بينما هو متوفرٌ لدى أهل السنّة.

أقول: لا أعلم مدى صدق هذا الخبر أو كذبه، وهل هو من نسج الخيال أو من الحقائق، لكن لنفترض أن القصة حقيقية من ألفها إلى يائها، فلنا فيها عدّة ملاحظات:

۱ إذا كان الشيعة لا يصلحون للحكم، لأنهم لا يتّحدون، فكيف اتحّدوا لطرد الإنجليز من البلاد وهم أقل من ثلاثة ملايين، والإنجليز خلفهم ألف مليون أو يزيدون.

۲ من المعروف لدى كل العقلاء هذه القضية المنطقية: الجزئى لا يكون كاسباً ولا مكتسباً، فهل خيانة مدير لصديقه بظهر غيبه يجعل كل الشيعة هكذا خونة، وهل وفاء وزير سنى واحد يجعل من السنة كلهم أوفياء؟!.

۳ إذا لم يصلح الشيعة للحكم، فكيف حكموا فى أزمنة مختلفة وفى بلاد كثيرة، منها: العراق أيام البويهيين()..

وسوريا أيام الحمدانيين()..

ومصر أيام الفاطميين()،

وإيران أيام الصفويين()..

والمغرب أيام الأدارسة()، وما أشبه ذلک.

۴ إذا كان السنة متّحدين فما هو تبرير الانقلابات العسكرية المتتالية التى قادها بعضهم ضد بعض، وقد سفكت فيها الدماء الكثيرة()؟.

إنّ الجواب الصحيح على جميع تلك التساؤلات هو:

۱ إنّ المسلمين الشيعة رفضوا مساعدة فيصل؛ لأنه اتّضح لهم فيما بعد أنّه سِتارٌ للاستعمار بعد أن ظنوا فيه خيراً، ولنعم ما صنعت الشيعة حيث وقفت ذلک الموقف النبيل، فالملک لا ـ يصدر أوامره إلّا بمشاورة المندوب السامى البريطانى، ومثل هذا الملک لا يستحق التعاون معه.

۲ إن فيصل لم يرغب فى معاونة الشيعة؛ لأنّه كان متطرفاً فى التّسنُّن، ولأنه كان ينفذ أوامر الإنجليز، والشيعة يرفضون حكماً يرتبط بالأجنبى، فهم الذين طردوا الإنجليز فكيف يقبلون به يدخل تحت عباءة أخرى؟!.

والحكمة فى هذه القصة هى:

كيف أنّ تصرف إنسان واحد وهو المدير الشيعى على فرض صحة القصة يكون حجة على بنى نوعه، ومعرفة مدى تأثير ذلک فى أمور الحياة، كما أنى بهذا الدفاع لا أريد تبرئة مواقف كل الشيعة، بل لا شک أنّه هناک لائمة قصور وتقصير فى عدم جنى الشيعة ثمار ثورتهم التى قادوها حتى يوم استقلال العراق.

وإنى أظن أن اختلاف زعماء الفرات والشيوخ فى مجلس الإمام الثائر الشيخ الشيرازى رحمة الله عليه، حول نصب أحدهم ملكاً، كما أشرنا إلى ذلک سابقاً لم يكن هو السبب الأول والأخير فى عدم وصول الشيعة إلى سدّة الحكم بل هو سببٌ من الأسباب.

ويدلُّ على ذلک أيضاً عدم وصول الشيعة إلى الحكم فى انقلاب ۱۴ تموز() و۱۴ رمضان()، و۱۷ تموز()، كما يدل على ذلک عدم دخول الشيعة فى العهد الملكى() فى المؤسسات المهمة كالإذاعة والتلفزيون والمدارس والصحف والأوقاف والقضاء وغيرها، مع أن الحكم كان ديمقراطياً ولو صورياً .

أمّا السبب الحقيقى حسب ظنى فهو التعصب الشديد فى الخلافة العثمانية ضد الشيعة، تعصبهم لأنّهم أتراک، والشيعة عرب، فقد أهملوا العراق أشدّ الإهمال، وخصوصاً المناطق الشيعية منها()، ممّا أثار حفيظة الشيعة وثاروا ضد الحكم العثمانى فى عدة جولات، ففى كربلاء والحلة والنجف ثار الشيعة ضد الحكم العثمانى، ولكن الشيعة ونظراً لغياب الوعى السياسى لإدارة البلد بعد أن أهملهم العثمانيون لقرون متطاولة فلم يتقدموا لممارسة هذا الدور بعد استقلال العراق.

وممّا زاد فى الطين بلّة، سياسة الملک فيصل بدعم من الاستعمار البريطانى، والقاضى بإبعاد الشيعة عن مراكز الحكم، كما يظهر ذلک

من مـذكرات (مس بيل)()، الجاسوسة البريطانية، والكلام فى هذا المقام كثير، وهو خارج من موضوع هذا الكتاب وإنما ذكرناه للعبرة والاتّعاظ.

نورى السعيد وتمزيق الشيعة

حكم نورى السَّعيـد() العراق مـدّة طويلـة، وكـان من حلفـاء الغرب ويعتبر أيضـاً من أعـداء الشـرق. لـذا كان الهجوم الشـيوعى موجّهاً بالدرجـة القصوى نحوه، وانتهى أمر نورى السـعيد بأنْ قتله الشـيوعيون، وسـحبوه فى شوارع بغـداد، وداسوا جثته بالسـيارة. وقيل: إنهم أحرقوا ما تبقى من جثته.

وكـان نورى السـعيد شديـد العـداء للشـيعة، ولـذا لم يكن يسـمح لهم بـالتمتع بـأى مركز إدارى مهم، وتجاهـل إعطاءهم حتى أبسـط الحقوق، بـل إنه بـذل مـا بوسـعه ليمنع الشـيعة من الوصول إلى الحكم، بـل رتب الأمر بحيث لايصل الحكم إلى الشـيعة مهما تطورت الظروف، فضلًا عن حرمانهم من الأمور البسيطة كالأوقاف والإعلام.

ولم يأذن نورى السعيد بالترويج للثقافة الشيعية، ولم يسمح بتدريس التاريخ الشيعى فى المدارس، علماً بأن أكثر من ثمانين بالمائة من الشعب العراقى هم من الشيعة.

وكان يقول دائماً: مثلُ الشـيعة مثل (البيض فى السـلّة)، فإذا حرّكت السلّة، كسَّر البيض بعضه بعضاً. وكان يريد بهذا المثل وضع منهاج لضرب الشيعة بعضهم للبعض الآخر.

ولمّا كان نورى السعيد يخشى نفوذ الشيعة؛ عمل على زرع الفتن والخلافات فيما بينهم ليشغل بعضهم بعضاً ().

والمثـل الـذى ذكره نورى السـعيد لاـ ينطبق على الشـيعة وحسب، بـل حتى السـنّة أنفسـهم حيث بالإمكـان إلقـاء الفتنـة فى أى وسـط اجتماعى، وذلك لوجود حالة التخلف واللاوعى فى البلاد آنذاك.

فأى بلدٍ متخلّف وشعبه غير واقعى، يكون صيداً وفيراً لشباك المستعمرين الذين ينفِّذون خططهم فى الظلام.

ومثال على ذلك الهنـد، فإن الإنجليز كانوا يثيرون الفتن الطائفيـة والاختلافات العرقيـة بين المسـلمين والهنـدوس، وكانت عمليـة إثارة الفتنة عملية سهلة ولا تتطلب جهداً من الإنجليز، فبمجرد ذبح بقرة أو تدنيس مسجد، كافٍ لإشعال نار الفتنة.

ولم يكتف الاسـتعمار بزرع بـذور الفتنة بين أبناء الديانة الواحدة أو بين أبناء الشـرق، بل امتدت مؤامراته حتى بلادهم فإيرلندا لازالت تعانى من الفتن الطائفية بين الكاثوليك والبروتستانت.

وذكرنا هذه الحكاية لنكون على أتمَّ حذرٍ ويقظة لما يُدبّر لنا فى الظلام حتى لا نصـبح ألعوبة بأيدى المسـتعمرين وأذنابهم، أو بأيدى أصحاب الأهواء الباطلة أو الجهلاء والمتطرفين، فيحارب بعضنا بعضاً، حرباً كلامية فى أول خطوة ثم حرب الانقسامات وتفريق الصف بأساليب رخيصة لا تكلِّف المستعمرين أىَّ ثمنٍ يُذكر.

فإنَّ التحفُّظَ على وحدة الصف ووحدة الكلمة من أهم ما يقرر مصـير الشعوب والأفراد، فكلّما كان التآلف بين أفراد الشعب متيناً، كان ذلك دليلًا على وعى الشعب، وبالعكس كلَّما زادت الفُرقة والضغينة كان ذلك دليلًا على قلة الوعى.

وبالطبع فإن التآلف نتيجته الشوكة والمنعة والقوة.

أمَّا الاختلاف فنتيجته السقوط والهوان والتأخر، أى يُصبح الشعب نهزة الطامع ولعبة لكل منتفع.

عداء الشيعة خدمةً للاستعمار

من الأعمال التى قامت بها الحكومـة الملكيـة فى العراق ضـد الشـيعة، أنها عمـدت إلى هدم آثار() الشـيعة فى مدينة كربلاء المقدسـة تحت ذريعة توسيع الروضة الحسينية المباركة.

وهـذه کانت کلمـة حق أَریـد بها باطل، إذ کان بإمکانها لو کانت تریـد التوسـعة فعلًا لأقامت هذه التوسعة مع الحفاظ علی الآثار من عملیات الهدم المنظمة.

فقد هدمت (مسـجد رأس الحسـین علیه السلام) و(مدرسـة الصدر) و(المسجد الناصری) و(المدرسة الزینبیة) و(مقبرة المیرزا موسی)() و(مدرسة حسن خان) و(مسـجد حسن خان) و(مقبرة جملة من العلماء العظام کالسید صاحب الضوابط رحمة الله علیه وغیره)، و(مقبرة سلاطین آل بویه) الذین أسدوا للإسلام أجلّ الخدمات، والذین عمّروا البلاد طیلة أکثر من قرن من الزمن. و(الصحن الصغیر) أیضاً تم هدمه.

کما وقام یاسین الهاشمی() الذی یُعدّ من خَدَمَةِ التاج البریطانی ومن ألدّ أعداء المسلمین الشیعة، قام بهدم (منارة العبد) فی حرم الإمام الحسین علیه السلام.

وکان وراء ذلک سیاسة طمس آثار الشیعة حتی لا تقوم للشیعة أیـة قائمـة، وإنی لأری أن من واجب المسـلمین إعادة بناء کل تلک الآثار الإسـلامیة المهدمـة، وحـدیثنا حول الآثار الشیعیة فی کربلاء المقدسـة، جاء کمقدمة للحدیث عن موضوع مهم هو الموقف من ذلک الهدم.

عندما یختلف العلماء!!

قام المرحوم الوالـد رحمة الله علیه() مع جملة من العلماء الأعلام بالإضـراب عن التدریس، وإیقاف جمیع الأنشـطة الاجتماعیة والدینیة کصـلاة الجماعـة ومقابلـة الناس، الأمر الذی أدی إلی نتائج إیجابیة حیث مارست ضـغطاً کبیراً علی الحکومة التی أجبرت وکفّت عن ممارسة سیاستها ضد الآثار الشیعیة.

لکن وللأسف الشدید ضاع جمیع ما تمَّ إنجازه من خلال الإضـراب عندما بدأ عالمان بخرق تعاهد العلماء علی الإضـراب، فقد أغرت السـلطات هذین العالمین، وحرَّضت العلماء الباقین علی إیقاف الإضـراب، فانقسم العلماء إلی جبهتین، جبهة مع الإضـراب وجبهة ضد الإضـراب، ووقعت مصادمات کلامیـة بین الطرفین، الأمر الـذی حقّق للسـلطة ما کانت تبغیه. وهکذا نجحت الحکومة فی تطبیق قاعدة «فرِّق تسـد»، عنـدها قرّرت الحکومة مواصـلة هدم ما تبقی من الآثار الشیعیة، وهکذا کلّما اجتمعت الکلمة وتوحَّدت السواعد، شـکّل ذلک أکبر تهدید للحکومة، وکلَّما اختلفت الأصوات، وقع الفشل، وتفرَّقت الأمة تبعاً لذلک.

ولکی لا تقع مثل تلک الحوادث، أری من الواجب فی ظرفنا الراهن فی ظلِّ تمزُّق المرجعیـة وتفرُّقها، أن یکون لعلماء کلِّ بلدٍ مجلسٌ استشاریٌّ، یکون سنداً لهؤلاء العلماء فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر وفی تقدیم الإسلام إلی الأمام.

وهـذا؛ لا یتحقق إلّا بقیام الأطراف بتقـدیم بعض التنازلات من أجل الهدف الکبیر، وبالطبع فإنّ الفوائد التی تجنیها الأطراف المرجعیة أکبر من خسائرها عند تنازلها عن أهدافها وطموحاتها الشخصیة.

وقد قامت علی هذا المبدأ جماعة العلماء () فی سـنة ۱۳۷۸ للهجرة فی مدینة کربلاء المقدسة للقیام بالخدمات الاجتماعیة، وکما نشأ (مجلس المبلغین)، لتوحیـد جهود العلمـاء، وصبّها فی الهـدف المشترک، کما واسـتهدف مجلس المبلغین توحیـد الطاقات الخطابیـة، ووضع استراتیجیة للتبلیغ الحسینی، وقد کان لهاتین المؤسستین دورٌ مهم فی تاریخ کربلاء.

الأیوبی وسلاح التفرقة

لقـد منیت الأمّـة الإسـلامیة بخسـائر فادحـة إثر الأخطـاء الکبیرة التی ارتکبها صـلاح الـدین الأیوبی()، والتی انعکست آثارها ونتائجها السیاسیة إلی الوقت الراهن، ومراجعة سریعة للتاریخ، نشاهد بوضوح تلک الخسائر الجسیمة والتی یمکن تلخیصها بما یلی:

۱ إنّ صـلاح الدین الأیوبی کان من قادة الدولة الفاطمیة فی مصـر حیث أوکلت إلیه مهمة محاربة الصلیبیین() الغزاة، لکنه عندما وجد

الفرصة المناسبة قلب لها ظهر المجن، وانقلب على الفاطميين، وأسقط دولتهم، وقام بتقسيم البلاد فی وقت كانت فيه بأحوج ما تكون إلى الوحدة، حيث تواجه مصر أخطار القوى الصليبية الغازية، بل إنه سعى إلى تمزيق العالم الإسلامی.

۲ كما وأنّ صلاح الدين لم يكتف بتقسيم البلاد إلى مصر وسوريا بل قام أيضاً بنقل الحرب الخارجية التی كانت ضد الصليبيين إلى حرب داخلية بين السنّة والشيعة، فأخذ بمطاردة الشيعة وقتلهم وتشريدهم وحرق مكتباتهم وأسر واغتصاب نسائهم()، وكانت المحصلة النهائية هی إضعاف البلاد داخلياً حتى عجزت عن مواجهة القوى الصليبية.

۳ ثم إنه لم يكتف بهذا القدر من تفريق الأمة وتشتيت طاقاتها، بل إنه عمد عند موته إلى توزيع ما تحت يده من البلاد بين أبنائه، وكأنّ البلاد الإسلامية هی ميراث لأجداده وآبائه، ضارباً بعرض الحائط كل القوانين الإسلامية التی تؤكد على ضرورة الانتخابات الحرة والشورى وما أشبه ذلک().

وبهذه الخطوة الجديدة ضعفت البلاد الإسلامية أكثر فأكثر؛ لأنَّ أبناء صلاح الدين أخذوا يتنازعون، وأخذ بعضهم يكيد للبعض الآخر كما هو مألوف عند أبناء الملوک فی العادة، وبدلاً من أن يجمعوا قواهم ويستعدوا لمحاربة الصليبيين ولإيقاف زحفهم الغادر استنزفوا قواهم فی صراعات داخلية لم يجنوا من ورائها سوى الخيبة والعار الأبدی.

وإنی لأظن استنتاجاً من المقدمات والأشباه والنظائر أنّ صلاح الدين كان من عملاء الصليبيين الذين تآمروا على المسلمين فی تمزيق صفّهم()، وأمثال صلاح الدين الأيوبی كثيرٌ فی بلادنا الإسلامية الذين يعملون لصالح الصهيونية والغرب؛ فی الوقت نفسه يظهرون العداء للصهاينة.

وقد كشفت الصحف والإذاعات قسماً كبيراً من هؤلاء العملاء والجواسيس، بينما لم يكن فی الزمن السابق تلک الصحف والإذاعات التی تكشف عن تلک العلاقة الخفية بين صلاح الدين الأيوبی والصليبيين.

وقد ظهر بعض آثار تلک العلاقة من خلال تصرفاته وأعماله التی كان حصيلتها ما يلی:

۱ أظهرت حروب صلاح الدين المسلمين على أبشع الصور، وأبرزتهم قوة متخلِّفة متطاحنة وممزّقة، فلم يترک صلاح الدين جريمة إلاّ وارتكبها من قتل العلماء، وهتک الأعراض، وتشريد المفكرين، وإحراق المكتبات، ومصادرة أموال وعقارات الناس، وأخذ الضرائب العالية من العمال والفلاحين والمزارعين، وكل هذه الأعمال التصقت بالإسلام، وكان لها رد فعل سيئ عند غير المسلمين.

لقد أعاد صلاح الدين الأيوبی ذكرى الجرائم البشعة التی اقترفها كلٌّ من: بُسُر بن أرطأة ()..

ومسلم بن عقبة المری()..

والحجاج بن يوسف الثقفی()..

وزياد بن أبيه()..

وخالد بن عبد الله القسری ()..

والمهدی بن المنصور العباسی ()..

والمتوكل العباسی()..

ومن على شاكلتهم.

۲ أدت أعمال صلاح الدين إلى إضعاف القوة الإسلامية إلى أبعد الحدود، بينما زادت تلک الأعمال من قوة الصليبيين، وعندما مات صلاح الدين كانت أجزاءٌ من فلسطين فی أيدی الكفار، أعداء الدين.

لم تكن حرب صلاح الدين ضد الدولة الفاطمية خاصة بل كانت ضد الإسلام بصورة عامة، فقد أعلن مخالفته الصريحة للإسلام بأعماله المخلّة بالإسلام، وأعلن عن خيانته لسيّده عندما تجاوز على الحلف والعهد الذی بينه وبين سيده، ولم يكتف بقتل المسلمين بدون ذنب وحسب بل زاد فی تماديه بأن سلّم البلاد إلى أولاده الذين تناحروا فيما بينهم.

۳ أدت أعمال صلاح الدين الأيوبى إلى إيجاد الفرقة والفتنة بين الشيعة والسنة، التى لم تلتئم جراحها حتى يومنا هذا، فقد أولد النزاع المذهبى بين الشيعة والسنة ضعفاً عاماً فى الكيان الإسلامى().

وربما يبرر البعض ما ارتكبه صلاح الدين من مخالفات ومن تقتيل للشيعة نتيجة لانحراف بعض الحكام الفاطميين كالحاكم بأمر الله().

أقول: أولاً: وقبل كل شىء، إن ما يُقال عن انحرافات (الحاكم بأمر الله) هو كذب محض بل هو جزءٌ من دعايات العباسيين المخالفين للفاطميين، وقد صدرت كتب عديدة تنفى هذه الافتراءات عن الحاكم بأمر الله.

ثانياً: ولنفترض جدلاً أنّ ما ذكره بعض المؤرخين بحق الحاكم بأمر الله كان صحيحاً، فهل ذلك يبرر ما قام به صلاح الدين الأيوبى من إضعاف القوة الإسلامية أمام القوى الصليبية، ثم بماذا يبررون أعمال صلاح الدين الأخرى التى أشرنا إلى بعضها بصورة موجزة؟

والحقيقة أنّ الخلافة الفاطمية اتهمها المتعصبون من السُّنّة وعملاء الخلافة العباسية بتلك التهم التى لا أساس لها من الصحة، وإلاّ فالاتهام كلّه كذب وعارٍ عن الصحة، ويشهدُ التاريخ على كذب أولئك المتقولين ممن كانوا يعملون لصالح الدولة العباسية، ومن هؤلاء (ابن حجلة)() فهو يتكلم حول الخلفاء الفاطميين وكأنهم خارجون عن الإسلام فينسب إليهم الرفض تارةً والزندقة أخرى وثالثة ورابعة مما يظهر من كلامه أنه حاقد أو مرتزق أو الاثنان معاً.

وقد ردّ المقريزى() على جميع هؤلاء، وردّ الاعتبار إلى الدولة الفاطمية فى كتاباته التى كتبها عن مصر.

لقد خدم الفاطميون الإسلام كثيراً وهم الذين أسدوا إلى المعرفة صنوف الخدمات، ففتحوا المكتبات، وأنشؤوا قاعات التدريس، ولم يكتفوا ببناء جامع الأزهر() وحسب، بل إن أحد الخلفاء الفاطميين حوّل قصره إلى قاعة للتدريس وإلى مكتبة كان يرتادها العلماء من كل مكان، أضف إلى ذلك اهتمامهم بالعمران والزراعة والصناعة().

صفاء القلوب

كان الشيخ البهائى() والسيد الميرداماد()، وزيرين للحكم

الصفوى() الذى أقيم فى إيران، وكانا فى غاية العلم، والتقوى، والفضيلة، والتدبير، وكانا يديران أمور البلاد بالعدل والرفاه والإيمان، وفى عصرهم ازدهرت إيران ازدهاراً علمياً، وبلغت أوج حضارتها فى العمران والاقتصاد، وساد الأمن والاستقرار ربوع البلاد من أقصاها إلى أقصاها، وذات مرة كان الملك بصحبة هذين العالمين الجليلين فى رحلة إلى خارج البلاد، وكان الجميع يركبون الخيول كما هى العادة فى ذلك الوقت.

ولقد لاحظ الملك أنّ الشيخ البهائى كان أسرع فى الحركة من السيد الميرداماد الذى كان يسير على فرسه بهدوء وتؤدة، فأراد الملك أن يختبر العالمين، ووجد فى ذلك فرصة للاختبار، فتقدّم إلى أن وصل إلى الشيخ البهائى الذى كان فى مقدمة ا لركب، وقال له: إنك عالم ليس فيك مسحة من الكبر والرياء، ولذا تطارد فرسك بسرعة، أما السيد فيمشى مشية المتكبرين، ألم يكن الأفضل له أن يسير سيراً طبيعياً كما تسير أنت بكل حرية وانطلاق تاركاً المجاملات وما شابه ذلك؟.

ففوّت الشيخ الفرصة على الملك قائلاً له: كلا، إن الأمر معكوس، ففرس السيد متعب لثقل ما يحمله فوق ظهره. فالعلم الذى يحمله السيد الميرداماد جعل الفرس لا يطيق الْعَدوَ بسرعة، وأنا لأ تعجب كيف لا تغرز أقدام الفرس فى الأرض لثقل ما تحمله؟!.

ترك الملك الشيخ البهائى وذهب إلى السيد الميرداماد وقال له: إنك لتمشى بوقار أهل العلم والفضيلة، لكنى أتعجب من الشيخ البهائى كيف يسير هكذا مثل الشباب، ألا ترى كيف يطارد ويكر ويفر؟.

قال السيد: إنّ الأمر معكوس تماماً: إنّ فرس الشيخ يكاد يطير فرحاً، فهو مزهوٌ بمن يحمله على ظهره ولا- يتمكن هذا الفرس من السيطرة على نفسه لما ناله من الغبطة والفرح والسرور.

عندما سمع الملك قول السيد والشيخ، نزل من فرسه إلى الأرض وسجد لله شكراً؛ حيث أنعم الله عليه بوزيرين، بلغ الحب بينهما حداً

أن الواحد منهما لا يسمح لنفسه أن ينال من الآخر إلاّ بالنعت الجميل().

وهكـذا، إذا صـفت قلوب العلمـاء فی كـل زمـان ومكـان، ازدهرت البلاـد وتقـدّم المجتمع، وبالعكس إذا شـحنت القلوب بالضـغائن، تأخرت البلاد وتراجعت إلى الوراء، وقد قيل: إذا فسد العالِم فسد العالَم.

إلاّـ أن التوافق وعـدم إظهـار العـداء وتطهير القلوب يحتـاج إلى سـعة فی الصـدر وإلى صبر طويـل. وقـد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (آلة الرئاسة سعة الصدر)().

وفی ذلک عبرة

يقال: إنّ ابن طولون()، الذی حكم مصـر، مرّ ذات يوم على صياد معه ولده، فرأى رثاثة حال الصياد وفقره وفاقته؛ لذا مدّ يده فی جيبه وأخرج ديناراً وأعطاه للصياد، وإذا بهذا الصياد يموت فجأة.

فتعجب ابن طولون لموته، وسأل بعض مَنْ معه عن سبب موته؟

قالوا له: إنه مات فرحاً؛لأنه لم يكن ينتظر حصوله على هذا المبلغ الكبير أبداً.

ثم إنَّ ابن طولون أراد أن يعطى الـدينار لولـد الصـياد، لكنه أبى أن يأخـذ ذلـک المبلغ وهو لا يعرف الـدينار ولم يره فی حياته، ولما سأله عن سبب رفضه؟ قال: إنّ هذا هو الذی قتل والدی يقصد الدينار وإنی أخشى على نفسی منه.

أقول: وهكذا، على الإنسان أن يأخذ العبرة ممن سبقه وألاّ يغتر بالدنيا؛ لأنها سبب كل المآسی ومنشأ كل اختلاف.

عشاء التبن والشعير

شخصان ممن تزيّا بزی رجال الدين، يسافران من بلد إلى بلد فنزلا فی ضـيافة شـيخ عشـيرة فاسـتقبلهما المضـيِّف استقبالاً حاراً، ثم إنه أراد أن يختبرهما فسأل أحدهما عندما خرج إلى حاجة له فقال له المضيِّف: أريد أن أسألک عن صاحبک ما منزلته فی العلم؟

قال الرجل: إن صديقی لا يفهم شيئاً، إنه حمار.

ثم مضى إلى سبيل حاجته فجاء إلى الآخر، وقال له مثل ما قال للأول، فقال الثانی: إن صديقی لا يفهم شيئاً، إنه كالثور.

وعنـد الظهيرة قـدّم المضـيّف إليهمـا صـحنين من الطعـام وقـد غطاهمـا حتى لاـيعرف نوع الطعـام المقـدَّم لهمـا، فلمّـا رفعا الغطاء عن الصـحنين، وإذا بهما يريان شـيئاً غريباً، رأى الأول فی صحنه التبن، ورأى الثانی فی صحنه الشعير، فتعجبا واغتاظا غيظاً شديداً واعترضا على صاحب المضيف لسوء أدبه.

فقال صاحب المضيف: إنی لم أكن أعلم ماذا تأكلان واستفسرت منكما فقال أحدكما عن صاحبه: إنه حمار، وقال الآخر عن صاحبه: إنه ثور، والحمار والثور لا يأكلان إلاّ الشعير والتبن، ولذا فإنی قدمت إليكما طعامكم حسب ما قال أحدكما عن صاحبه.

وكان ذلک تنبيهاً مهماً من صاحب المضيف على خطأهما، فخجلا ونكَّسا رأسيهما ولم يتمكنا من الإجابة.

لذا؛ لابد وأن نعرف أنّ تهجّم بعضنا على البعض الآخر سيؤدی إلى نفس النتيجة.

والحصـيلة هی ازدراء المجتمع بالعلمـاء وذهـاب شوكـة المسـلمين واجتراء الأعـداء عليهم، قـال سـبحانه وتعـالى: وَلاَـ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ ()، والفشل هنا هو الفشل الكبير فی تحقيق الهدف، وذهاب الشوكة والعزة.

من هنـا، كـان من الضـروری على الإنسـان أن يتوجّه إلى هـذه الملاحظـة، ويترک الكلام عن الآخرين؛ لأنَّ الكلام عن الآخرين ليس مردوده على الشخص المقابل وحسب، بل على الشخص المتكلم أيضاً.

فالذی يستر على صاحبه، يستر على نفسه أيضاً.

ردُّ الإساءة بالإحسان

حدث في بغداد في عهد الحكومة العثمانية، أنّ قاضي القضاة في هذه المدينة ألقى القبض عليه متلبساً بجريمة شرب الخمر ووجود امرأة مومس معه في البيت، فأُودع في السجن، واطّلع الوالي على أمره فاغتاظ منه غيظاً شديداً، وكتب إلى الأستانة في تركيا في حكم هذا القاضي الذي هتك حرمة الدين ولم يراع منصبه الرفيع في الدولة؟.

وكان هناك أحد القضاة يمارس وظيفته تحت إمرة قاضي القضاة()، وكانت بينه وبين قاضي القضاة مخاصمة، وبعد الحادث ذهب هذا القاضي إلى دار قاضي القضاة وأمر زوجته بأنْ تطبخ طعاماً وتهيئ قناني من العصير، ثم أمرها أن تحمل الطعام والشراب على رأسها وتأتي معه، وهكذا جاءا حتى وصلا إلى باب السجن.

قال القاضي للسجّان: إني نذرت أن أقدم الطعام إلى آخر سجين أودع في السجن، وأرشا السجّان بالمال، ففتح له السجّان باب الزنزانة التي فيها قاضي القضاة، فدخل هو وزوجة قاضي القضاة السجن، وقدم له الطعام والشراب ثم إنه عند خروجه من السجن أمر المرأة المومس أن ترتدي ثياب زوجة القاضي وأخذ صحون الطعام وقناني الخمر بدلاً من القناني التي جاء بها؛ حيث إن قاضي القضاة كان مسجوناً مع المومس وقناني الخمر، وخرج القاضي بالمومس وقناني الخمر تاركاً عند قاضي القضاة زوجته وقناني العصير، ثم إن قاضي القضاة كتب إلى الوالي يسترحمه في تحقيق أمره وأنه مظلوم أودع السجن بلا ذنب وأن الوشاة هم الذين سعوا به، جاء الوالي وحقق في الأمر وإذا به يرى صدق ما كتبه قاضي القضاة، فقد رأى أن المرأة هي زوجته وأن القناني كانت لعصير الفواكه وليس للخمر فتعجب الوالي أشد العجب وأخرج قاضي القضاة من السجن بكل احترام وتقدير وعاقب الوشاة أشد معاقبة.

وفي اليوم الثاني من خروج قاضي القضاة من السجن جاء إلى دار القاضي المخلِّص الذي خلَّصه من السجن ليعتذر له على ما فعل به في السابق وليشكره على صنيعه الحميد.

قال القاضي في تبرير عمله: إني وجدت من اللازم عليّ أنْ أنقذ سمعة القضاء بإنقاذك من ورطتك ولكيلا يساء الظن في المستقبل بأمثالك، ولولا ذلك لبقيت أخاصمك ولم أقدم على هذا الفعل.

أقول: لاشك أن عمل قاضي القضاة كان جرماً كبيراً، لكن عمل القاضي وتداركه الأمر وحفاظه على سمعة القضاء كان أهم من ذلك، فالمسألة فيها أهم ومهم، وهكذا رأى القاضي.

إذاً، ليس كلامنا الآن في أن عمله كان صحيحاً أم لا.

هكذا نلقي الفتنة!

قال رجل: كنت أسير في الشارع مع شخصية سياسية بريطانية رفيعة المستوى، فسألته: إنّكم معاشر الإنجليز، كيف تحكمون ألف مليون إنسان في الهند والصين وسائر المستعمرات مع أنكم قلة قليلة لا تعدون الخمسين مليون نسمة وليست لكم موارد مالية ضخمة؟.

قال الإنجليزي مجيباً على سؤالي: إنّا نستخدم سياسة (فرّق تسد)، فنلقي المنازعات بين الشعب الواحد، وهذا ما يجعلنا قادرين على السيادة عليهم لأنهم بعد الفرقة والاختلاف، يقلُّ عددهم ويصبحون أقلّ منّا عدداً، فإنّا لا نحكم على ألف مليون، بل نحكم على مليون ومليونين فقط بسبب تفرُّقهم واختلافهم.

فإذاً، خمسون مليون أكثر وأقوى من مليون ومليونين وثلاثة ملايين.

قال الرجل: وكيف تستطيعون إلقاء النزاع والتفرقة بين الشعب الواحد والأمة الواحدة التي تعيش على أرض واحدة وتنتمي إلى حضارة واحدة وإلى دين واحد؟.

قال الرجل السياسي البريطاني: إنه من أبسط ما يكون، وسأريك الآن كيف ألقي النزاع، ثم جاء به حتى وصلا إلى فقيرين مكفوفي

البصر، كان أحدهما جالساً فى طرفٍ من زقاق، وكان الآخر جالساً فى الطرف الآخر. فسأل البريطانى أحدهم: كم مدة أنت جالس هنا، قال الأعمى: مدة خمسٍ وعشرين سنة.

قال الإنجليزى: وكم مدة جلوس الأعمى الثانى أمامك؟ قال: إنه قريب لى وصديقٌ معى وجلوسه يُقارب المدة نفسها.

قال راوى الحكاية: ثم إن الرجل البريطانى، وقف وسط الزقاق، وقال: أيّها الفقير، هذه الليرة التى أعطيتك إياها، نصفها لك ونصفها لصديقك، الذى هو أمامك. قال هذه المقالة، وهو لم يعط أحداً شيئاً.

فظنّ كلُّ واحدٍ من الفقيرين أنَّ المتكلم أعطى صديقه الليرة، فقال للآخر: أين نصف الليرة التى أعطاك الرجل المحسن إياها، قال الآخر: إنه لم يعطنى، وإنما أعطاك إياها، فأخذ كل واحد منهما يتهم الآخر بأنه هو الذى أخذ الليرة، وأنه يريد الاستئثار بها لنفسه، ثم شرعا فى الشتم والسبّ، وقاما من مكانهما، وأخذ أحدهما يدفع الآخر، حتى دبّ الشجار بينهما بالأيدى، ثم بالعصى حتى سالت الدماء بينهما.

عندها قال الإنجليزى: أرأيت كيف ألقينا الفتنة بين هذين الأعميين، هكذا نلقى الفتنة بين أبناء الشعب الواحد().

الأندلس وكيف خسرناها؟

الأندلس() هذه البلاد الجميلة التى كانت بأيدى المسلمين هى عبرة لنا، إنها كانت بلاداً زاهرة عامرة جميلة، افتتحها المسلمون فى واقعة شهيرة فى التاريخ، ثم لم يلبث حكام الأندلس أن دبّ بينهم الاختلاف وأصبحوا متفرقين متشتتين، يحكم الأندلس مجموعة من الملوك سُمّوا بملوك الطوائف، فى كل بلدٍ كان هناك ملكٌ يحكمه، وعمل الإفرنج() على توسيع شِقّة الخلاف بين هؤلاء الملوك، كما أنهم استأصلوا ما تبقى فى نفوسهم من الإيمان، حتى ورد فى التاريخ أنهم أوقفوا بساتين العنب من أجل صناعة الخمر؛ ليوزع مجاناً بدلاً من الماء.

وانتشرت الميوعة وتفشى الفساد فى مدارس الأولاد، فأخذ النشأ ينشأ على الطريقة الإفرنجية.

وكان الإفرنج يرشون كبار المسلمين بإرسال فتياتهم الجميلات إليهم، فيقعون تحت مخدِّر الجنس، فيفعلون ما تأمرهم هذه الفتيات، وهكذا أخذوا يُبعدونهم عن الإسلام رويداً رويداً.

وعندما نشأ الشباب فى ظل تلك الأوضاع، أخذوا ينظرون إلى الإسلام بنظرة الريبة والشك، وأخذوا يقولون:

(المهم هو القلب، فإذا كان قلبك طاهراً ونظيفاً فلا تخشَ شيئاً)!.

وعلى الجانب الآخر، امتدت الخلافات إلى قطاعات كبيرة من رجال الحكم، من الملوك والأمراء، وكل واحد منهم يستنجد بالإفرنج ضدَّ ملوك المسلمين الآخرين، وقد تفشى المنكر بينهم، فضعفت كلمة الدين.

ومن ناحية أخرى، وهنت العقيدة الإسلامية فى قلوب الشباب، فلما بدأ التململ فيهم، وأخذت الصراعات تطفح؛ لتُغرق البلاد بالخلافات، حينها اتحدت كلمة الإفرنج، وقرّروا الانقضاض على الإسلام والمسلمين.

وبدأت أصوات الغيارى تعلو لتدعو المسلمين إلى نبذ الخلافات، لكن لا جدوى من ذلك، فقد وصل السيل الزُّبى.

وبدأ هجوم الإفرنج على بلاد المسلمين، فأخذوا يُغيرون على المدن، مدينة بعد أخرى، فيقتلون الناس بلا أدنى رحمة أو إنسانية.

وأخذوا ينشرون محاكم التفتيش فى طول البلاد وعرضها، وأجبروا المسلمين على ترك الإسلام والدخول فى المسيحية. ومن كان يرفض ذلك، يتعرض إلى أشد وأقسى أنواع التعذيب، حتى إنهم أحرقوا فى ميدانٍ واحد وفى يومٍ واحدٍ أربعين ألفاً من المسلمين.

وأخرجوا بنى الأحمر آخر ملوكهم من البلاد بصورة ذليلة ومهانة()، وهكذا لقى المسلمون الدمار والعذاب جرّاء تفرّقهم واستخفافهم بدينهم.

يقول (غوستاف لوبون)():

لم ترجع تلک البلاد إلی ما کانت علیه من العمران والازدهار علی الرغم من مرور قرون وقرون.
من هنا، کان لزاماً علی الحکومات الإسلامیة أن تُدرِّس مادة (تاریخ الأندلس) فی کل المدارس، لکی یعرف الناشئون من المسلمین کیف فقد المسلمون تلک البلاد الإسلامیة نتیجة التفرقة والاختلاف.

حادثة فی قطار

نقل أحد المسلمین أنه کان راکباً القطار للسفر من بلد إلی آخر، وکان فی غرفة القطار معه رجل بریطانی، وآخر إسبانی، وثالث هولندی، وکانت زوجة الإسبانی جالسة بین الرجل الهولندی والإسبانی.
یقول الرجل المسلم: صادقت البریطانی لآمن شرّه، فکان البریطانی یستهزئ طول الطریق بالرجلین الإسبانی والهولندی، ویضحک منهما. وبینما هو کذلک، وإذا بالتیار الکهربائی قد انقطع وساد الظلام القطار؛ لأن الوقت کان لیلًا. فقال لی الرجل الإنجلیزی: هل تحب أن أوقع بین هذین الرجلین؟، قال ذلک ثم قام من مقامه حتی قابل الزوجة وقبّل یده تقبیلاً ـ بصوت مرتفع، وإذا بالرجل الإسبانی، ینتفض من مکانه ظناً منه أنه قد قبل زوجته، وأخذ یشتم الهولندی، وکلّما أراد الهولندی أن یفهمه الأمر، لم یعطه المجال لشدة تأثیره واضطرابه، واشتد النزاع بینهما حتی بلغ منهما مبلغاً کبیراً، وفی أثناء ذلک عادت الکهرباء فاشتعلت الأنوار، فتدخل الناس فی الأمر، ولولا تدخلهم لتصاعد الصراع بینهما إلی حدٍ لایحمد عقباه. وظلّ فی نفس کل واحدٍ منهما شیء علی طول الطریق.
من هنا، فإنَّ کثیراً من عوامل العداء والبغضاء لا أساس لها، وهی تأتی نتیجة الجهل وسوء الظن، ولذا وجدنا القرآن الکریم ینهی عن ذلک فیقول سبحانه وتعالی: وَلَا تَقْفُ مَا لَیسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ (). ویقول أیضاً: اجْتَنِبُوا کَثِیراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ().

سوء الظن

مرّ رجل علی إحدی الخانات وهو محل تجمع المسافرین أثناء سفرهم، فسمع صوت شاب یتوسّل بصوت حزین فی إحدی غرف تلک الخانات، کان یتوسل بشخص آخر ویقول له: لا تفعل بی ذلک، بینما کان الشخص الآخر یزجره قائلًا: اصبر.. الآن سوف یتم العمل، ولک کذا وکذا من المال.
فظن السامع أن ذلک الصوت، یدل علی وجود فاعل ومفعول به. فقام غاضباً، کی یقتحم تلک الغرفة؛ لینقذ الشاب من أیدی الفاعل قبل أن یرتکب جریمته.
لکنه وقبل أن یُقدم علی اقتحام الغرفة، أخذ ینظر من ثقب باب الغرفة لیعرف أو یری ما یجری فی داخلها، فإذا به یری رجلًا جالساً علی الأرض، ینظف بعض الدَّمامل التی أُصیب بها الولد فی الطریق، وما هی إلّا لحظات حتی تبیّن له أن الولد ولده، فتذکر قصة أمیر المؤمنین علیه السلام مع ذلک القصّاب الذی خرج من الخربة وبیده سکین ملطخٌ بالدم، وقد وجد الناس إلی جانبه قتیلًا..() والقصة مشهورة.
إذاً، من المفترض ألّا یسیئ الإنسان الظن بالآخرین، وألّا یتنازع، ولایعادی الآخرین، وألّا یتهمه بالظنة وما شابه، وإذا سمع کلاماً ینال من أحد، علیه أن یتحقق من ذلک، فلعله ظنٌ من الظنون.

کلمة التوحید وتوحید الکلمة

قال المرحوم الشیخ محمد حسین کاشف الغطاء(): بُنی الإسلام علی کلمتین: کلمة التوحید وتوحید الکلمة.
وهذه العبارة هی من أوسع العبارات، وأکثرها دلالة وقوة، ذلک لأنّ التوحید هو الجوهر واللُّب. وتوحید الکلمة هو الحارس والإطار، فمن دون توحید الکلمة یجد أعداء الإسلام منفذاً للقضاء علی الإسلام.

ومن المؤسف أنَّ المسلمين قد تشتّتوا تشتّتاً كبيراً حتى لم يعد من السهل جمع حتى عشرة أشخاص منهم تحت راية واحدة. فقد اعتاد الكثير من المسلمين على الحالة الفردية وعلى الاستبداد وعدم التنازل للآخرين حتى لو كان الحقّ معهم، واعتادوا على عدم احترام آراء الآخرين، وعدم الاعتناء بأفكارهم، بينما الأساس فی الإسلام يقوم على مبدأ الشورى والمشورة فی كل شیء إلّا فيما ورد فيه نص صريح.

والشورى تقوم على الروح الجماعية، وبدون هذه الروح لا ـ يمكن أن تتحقق الشورى. وبالشورى تتلاقح الأفكار وتتبلور وتشذّب تشذيباً جيداً.

وبالشورى يأخذ كل رأی حجمه الطبيعی فی زحمة الآراء، لاحجمه فی حالة الانفراد بالرأی.

فإذا قلنا إن منظمة مكوَّنة من عشرة أعضاء لابد وأن يكون نصيب كل رأی عشرة فی المائة، أو ليس من حق كل إنسان أن ينفّذ رأيه مائة فی المائة، فالقابل للتنفيذ هو القابل للتصديق أيضاً.

نتيجة الاستبداد فی الرأی

يقال: إنّ ريفياً مرض، فأشار عليه أقرباؤه وأصدقاؤه بأن يدعوا له طبيباً؛ ليعالجه. فقال المريض: ائتونی بطبيبی الخاص (حكيم باشی)، فأخذوا يبحثون عن حكيم باشی، فلم يجدوا له أثراً يُذكر، فجاؤوا إلی المريض، وقالوا له: إن حكيم باشی قد ترك القرية، فقال المريض: إما أن تأتونی بحكيم باشی أو لا أريد طبيباً. وأصرّ على رأيه، وبقی مريضاً حتى مات.

لقد مات هذا الريفی؛ لسذاجة رأيه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: من استبدّ برأيه هلك ().

وأمثال هذا الرجل المريض كثيرون عندنا، وهم القائلون: إما أن نعمل معكم حسب آرائنا، أو أن نترك العمل ولو كان فی ذلك تأخر الإسلام وتأخّرنا. وكم رأينا من منظمات وهيئات تتشكل ثم تتفرق؛ لأن أعضاءها اختلفوا فيما بينهم وتعدّدت آراؤهم وانقسموا أخيراً على أنفسهم، فيتباطؤون فی تنفيذ الآراء، ثم ينسحب الواحد تلو الآخر حتى تنهدم تلك الهيئة وتنهار تلك المنظمة، ونتيجة للانقسام يسعى أحد أفراد الهيئة أو المنظمة بإثارة النعرات والاختلافات ضد الهيئة أو الجمعية إذا انسحب من عضويتها ويبرر عمله بأنه لم يُؤخذ برأيه. وهكذا حيث تركنا العمل ب توحيد الكلمة، خسرنا كلمة التوحيد»، ومصداق ذلك نجده فی البلاد الإسلامية التی اقتطعها الاستعمار وسيطر عليها واعتبرها جزءاً من مستعمراته وامتداداً لخريطته الجغرافية.

المسيحية والشباب

قال لی أحد الأصدقاء الذين ذهبوا إلی ألمانيا الغربية: إن هناك منظمة للشباب المسيحی، تضم عشرة ملايين مشترك.

وقال لی صديق آخر من الذين زاروا إنجلترا: إن الكنيسة احتضنت أغلب شباب بريطانيا.

أقول: وهذا هو السر وراء عدم انسياق شبابهم وراء الشيوعية وما أشبه.

الشباب والهيئات الدينية

قرأت فی إحدى الكتب أنَّ الصهيونية تحتضن بمنظماتها أغلب يهود العالم.

هكذا يجب علينا نحن أنْ نوحّد الكلمة، فإن (توحيد الكلمة) يعنی تربية نفسية، وعملاً دؤوباً، وحزماً متزايداً، فاللازم أنْ نشرع بتنظيم أنفسنا تاركين خلف أظهرنا كل السلبيات الموروثة، وكنا قد جربنا تجربة رائدة إلّا أنها سقطت فی الاضطرابات التی قامت فی العراق، ولم يبق من التجربة سوى القليل من فوائدها، ومن تلك التجربة تشكيل الهيئات فی المساجد والحسينيات، وكنا نجمع تحت لواء هذه الهيئات مجموعة من الشباب المؤمن، ففی كل مسجد من مساجد كربلاء المقدسة والحسينيات والمكتبات كانت تقام هيئة من

الهیئات، فکانت هیئة باسم الرسول الأعظم صلی الله علیه و اله وهیئة باسم الإمام علی علیه السلام وهیئة باسم الزهراء علیها السلام وسائر الأئمة. ? وقد بلغ عدد هذه الهیئات زهاء مائتی هیئة، وکانت تحتضن عدداً کبیراً من الشباب، فلو کان فی کل هیئة مائة فرد، لبلغ عددهم ألفی فرد. وکنا نعبّر عن هذه الهیئات بالهیئات المنظمة، وکانت تجتمع فی کل أسبوع مرة أو مرتین، وبرنامج الهیئة کان یتلخَّص فی قراءة القرآن الکریم، ثم یلی القرآن محاضرة دینیة، ثم أسئلة وأجوبة فی الأحکام الشرعیة، ولولا ـ الاضطرابات التی انتشرت فی العراق، لاستمرت هذه التجمعات والهیئات فی أداء وظیفتها الاجتماعیة والثقافیة.

ومما یُذکر أنّ هذه الهیئات بدأت تمتد إلی أماکن أخری من العراق کالنجف الأشرف وبغداد والکاظمیة والحلة.

وکانت هناک هیئات نسائیة، تضم أعداداً کبیرة من الطالبات الجامعیات، والطالبات المثقفات، وبدأت الأنشطة المختلفة من خلال هذه الهیئات، مثلًا بدأت طباعة الکتب، ومن خلالها بدأنا بنشر الکتب والمجلات المتنوعة، وقمنا بتشکیل اللجان المختلفة کلجنة لتزویج العُزَّاب والعازبات،ولجنة لمساعدة الفقراء والمحتاجین، وعیادة المرضی، ولجنة لتنظیف المدینة، وما أشبه ذلک.

واکتشفنا بعد تجربة رائدة فی عمل الهیئات، أنّ هذه الهیئات هی الأسلوب الأمثل لجمع الشباب وتوحید الطاقات وتفجیرها إلی ما فیه الخیر والصلاح.

ویا حبّذا لو تتبنی جمیع المناطق فی العراق هذا الأسلوب ویبدؤون بتشکیل الهیئات کمقدمة لجمع الشباب.

النتائج الإیجابیة للهیئات

لقد استطاعت هذه الهیئات أن تحقق أمرین هامین:

الأول: الوقوف بوجه الفساد الاجتماعی.

الثانی: التصدی للأحزاب غیر الإسلامیة؛ الشرقیة منها والغربیة، ولما کان من الواجب علینا الوقوف بوجه الفساد المستشری والوقوف قبال الأحزاب الکافرة، کان علینا أن نبدأ الخطوة الأولی فی هذا المجال بتشکیل الهیئات فإنها المنطلق لتأسیس أی عملٍ تقدمی.

ویمکن تحقیق ذلک بثلاثة أمور:

أولًا: القیادة القویة والمتطورة المتفهمة لحاجات الأمة، والواعیة بملابسات العصر الحدیث وتعقیداته، ففی العهد الإسلامی الأول؛ لمّا توفرت القیادة الحکیمة والمتمثلة برسول الله صلی الله علیه و اله، انضوت الشعوب تحت رایة الإسلام، وعندما افتقدت الأمة لهذه القیادة الحکیمة، تفرّقت الأمة، وانفرط عقد وحدتها.

ثانیاً: وجود المؤسسات الدینیة والاجتماعیة البدیلة عن المؤسسات المضادة، ویجب أن یکون منطلق هذه المؤسسات من المساجد والحسینیات والمکتبات والمدارس والنوادی والمسارح فی الدول التی یسمح فیها للعمل الإسلامی، أما فی الدول التی لا یسمح فیها بالعمل، فلابُد أن تتحلی هذه المؤسسات بالکتمان؛ استناداً للحدیث الوارد: استعینوا علی قضاء حوائجکم بالصبر والکتمان ().

ویجب أن تعتمد هذه المؤسسات علی نفسها فی الموظفین والمال، فالمؤسسة التی تحظی بالاکتفاء الذاتی هی المؤسسة الناجحة والقادرة علی حل مشکلات الشباب المختلفة.

ثالثاً: إقامة لجان تتولی مسؤولیة وضع حلول لمشاکل الشباب، مشاکلهم العاطفیة، وذلک بدعم مشروع الزواج، والمشاکل السیاسیة کمشکلة الانتماء إلی الأحزاب، أو المشاکل الاقتصادیة کالفقر والفاقة، أو المشاکل المرضیة التی یبتلی بها الشباب، فالناس لا یؤمنون إلّا بمن یحلّ لهم مشاکلهم، وقد ورد فی القرآن الکریم إشارة إلی هذه الحقیقة الهامة فی سورة قریش، حیث یقول سبحانه وتعالی: الَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ()، فقد عبدوا الله بعد أن أمّن لهم الخیر والأمن.

أمور لا بدَّ منها

ولا ـ یخفی بعـد ذلک أن أمر الهیئات المنظمـة، یحتاج إلی أخـذ الموضوع من جمیع جوانبه، فهناک الحاجـة المالیـة، وهناک الحاجة الدعائیـة، والحاجـة الدفاعیة، فضـلًا عن الحاجة الثقافیة، فلولا المال لا یُمکن الاسـتمرار فی الهیئات، ولولا الإعلام، لن یتم نمو الهیئات وانتشارها، ولولا الدفاع لتغلبت الجهات المناوئة للهیئات علیها.

ولولا الثقافـة الدینیة والدنیویة التی تبثُّ فی الشـباب روح الطموح والتطلع إلی المسـتقبل من ناحیة، وتقوی فیهم الفضـیلة والإیمان من ناحیـة ثانیة کالمنابر والکُتب والندوات والمجلات،لرکدت الهیئات ثم أخذت فی الانهیار والذوبان، وقد أکّد الإسـلام علی النظام أبلغ تأکید کما یظهر ذلک من القرآن الحکیم والسـنة المطهرة، فضـلًا عن أنّ النظام هو مصدر القوة فی مواجهة الأعداء، وقد قال سـبحانه وتعـالی: وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَـا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ()،وأن أی تـأخیر عن تشـکیل تلـک اللجان والمنظمات والهیئات الخیریـة سـیمنح الفرصـة للتیارات المعادیة أن تضع بدیلًا للإسـلامیین. ثم إنه من الضـروری جداً دفع هذه الهیئات المنظمة إلی العمل فی مختلف میادین الحیاة السیاسیة والاقتصادیة والزراعیة والعسکریة والثقافیة والدینیة وغیرها، لأن الإسلام دین لجمیع جوانب الحیاة، وجاء لمعالجة کل الأمور، ولا یمکن الأخذ به مجزءاً، هذا إذا کانت أحوال البلد تسمح القیام بمثل هذه الأعمال وإلّا فلابد من الاستعانة بالصبر والکتمان.

أما فی الدول الاسـتبدادیة فلابُد من وجود عمل منظّم وسرّی، ویجب أن یبتعد هذا التنظیم عن العمل العلنی الذی یسلط الأضواء علی الأشخاص القائمین علیه.

شمولیة الأدوار

وباسـتطاعة الهیئات فی البلاد الحرة أن توسّع دائرة أنشـطتها لتشـمل العمل السیاسـی، فهی ترشِّح أفراداً فی الانتخابات وتعارض الدولة إذا ما قامت بإجراء مخالف للإسـلام والإنسانیة، وتمارس ضـغوطاً علی الدوائر الحکومیة لمنعها من مزاولة الأعمال المنافیة والمعاکسـة لإرادة الأمة. وتعمل هذه الهیئات أیضاً من خلال نشـراتها ومجلاتها ومن خلال حملتها فی المجالس بتغییر القوانین الوضـعیة فی البلاد واستبدالها بالقوانین الإسلامیة، حیث قال سبحانه وتعالی: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ له مَعِیشَةً ضَنْکاً وَنَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ أَعْمَی ().

من هنا، کان من الضـروری علی هـذه الهیئات أن تمارس کل الأدوار کما هو الإسـلام یمارس کل الأدوار فی الحیاة فلا تترک مجالاً فارغاً.

فإذا کان المجال مباحاً شـرعاً بـذاته کان الدخول فیه مباحاً أولیاً. وإذا کان المجال محرماً شـرعاً کالمکوس والبنوک الربویة وما أشـبه ذلک، دخلوا فیه بقصد الإصلاح، وتجنبوا الحرام قدر المستطاع. قال سبحانه وتعالی: فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ().

فـإن أهمیـة إنقاذ البلاد من براثن المسـتعمرین وعملائهم، تفوق أهمیـة المحرمات الذاتیـة فی بعض الأحیان لما قرره الشـرع من قانون (الأهم والمهم).

کما وأنه یلزم علی الهیئات المنظمة أیضاً محاربة المنکرات والمفاسد کالخمور والسـفور والقمار والربا والاحتکار، وکذلک یلزم علی الهیئـات المنظمـة أن تتبنی الشؤون الاجتماعیـة بمختلف قطاعاتها کشؤون العمال والفلاحین وقضایا العمران والمسائل الأمنیـة ومسائل الرفاه العام وأموراً تتعلق بتسلیح البلد وتقویته فی مواجهة الأعداء.

والحاصـل، فـإن برنامـج الهیئـات برنامـج حافـل بالأنشـطة المختلفـة، ومسؤولیـة الهیئات هو العمل علی تطبیق الشـریعة الإسـلامیة قـدر المستطاع لا العمل بجزء وترک الجزء الآخر.

وحدة العلماء

توحید صفوف أهل العلم له دورٌ کبیٌر فی تقدیم البلاد الإسلامیة، کما وأن اختلافهم له دور کبیر فی تأخیر البلاد.

ولا یتوحّد أهل العلم طالما ظل المال مبعثراً.

وما دامت الدراسة الدینیة فوضی.

ومادام النظام السیاسی لا یتفق وطموح أهل العلم.

ولا یمکن علاج هذه الأمور الثلاثة إلّا بوضع معاییر تقویم للرئاسة وقواعد لإیجاد الرئاسة، ولا یتم ذلک إلّا بتکوین مجلس استشاری یتکون من أهل الحل والعقد من علماء الدین العدول لاختیار الأصلح من المراجع القائمین، ومن الطبیعی أن یلاحظ المجلس مؤهلات المرجع وقدراته الإداریة إلی جانب المزایا والمؤهلات الدینیة الأخری التی تجعله قادراً علی القیام بدور الریادة فی المجتمع. وبمقدور المجلس تعیین معاونین للمرجع یُساعدونه علی القیام بالمهمات الثانویة مثل تنظیم الدراسة، وتنظیم شؤون القضاء، وتنظیم أمور المال، وغیرها من الأمور الأخری.

وإذا کان للأمة مراجع متعددین کما هو الغالب کان المجلس الأعلی المتشکّل من المراجع هو السّلطة العُلیا، إذ لا یحق لمرجع أن یضغط علی مقلد مرجع آخر ویفرض رأیه علیه.

وهناک أمور لابُد من استدراکها:

أولاً: هل أهل العلم یرضون بتنفیذ هذه النظریة؟

فی الإجابة علی هذا السؤال لابد من القول: إنّ أهل العلم یصنَّفون أمام هذه النظریة إلی صنفین اثنین:

صنفٌ یؤیِّد النظریة ویعمل من أجل تنفیذها.

وصنفٌ یحاربها ویعمل علی هدمها.

وهذا التصنیف أمرٌ طبیعی، تجده فی جمیع المجالات الحیاتیة، فحول أی موضوع ینقسم الناس بین مؤید ومعارض.

وطالما علّمنا الإسلام أدب الحوار والمناقشة، یجب أن نعمل وفق الأدب الإسلامی، ففی تاریخ أهل البیت ? حکایات کثیرة لمناقشة الأئمة ? مع الزنادقة والمنحرفین وغیرهم. فکان لابُدّ من التحلِّی بالأخلاق الحسنة، فبالأخلاق الحسنة وحدها تنتهی المشاکل، وبالأدب الإسلامی الرفیع یستطیع أی إنسان أن یناقش آراء الآخرین حتی لو کانت مضادة له.

ثانیاً: ما هی نظرة الحکومات إلی هذه النظریة؟

فی الجواب نقول:

۱: من الضروری انتزاع اعتراف الحکومات إذا کانت دیکتاتوریة بالنظریة، لیکون لها شأنٌ خاص تقرّه الحکومات وتعترف به حتی یتم السماح لأصحاب هذه النظریة بالحرکة فی الأفق الاجتماعی والمالی وفی تعیین القضاة وأئمة المساجد والمبلغین داخل الجیش.

۲: وإذا کانت النظریة فی ظل حکومة حرة، فالحکومة لا شأن لها بها مع الافتراض أنها حرة.

ومختصر الکلام أن الحرکة یجب ألّا ترتبط بالحکومة، وإنما یجب علیها أن تحصل علی اعتراف الحکومة.

أما السؤال الوارد: هل الحکومة ینبغی أن تتدخل فی شؤون الحرکة بما ینفعها أم لا؟. وهل إمکانیات تدخُّل الحکومة فی شؤون المرجع الفرد أکثر أو إمکانیات تدخل الحکومة فی شؤون المرجع الاستشاری أکثر؟.

لابُدَّ أن یکون الجواب فی الشق الثانی من السؤال: فلا خوف إذاً علی الحرکة من هذه الجهة.

ثالثاً: هل هناک لکل الشیعة مرجع أو مراجع حینئذ؟.

والجواب: إنّ من الصعب جداً أن یکون للشیعة مرجعٌ واحدٌ، بعد تقسیم البلاد إلی خرائط جغرافیة سیاسیة. وإن لم یکن ذلک بمستحیل فی نفسه، ویدلُّ علی صعوبته البالغة الأشباه والنظائر کالرئاسة المسیحیة والرئاسة السنیة؛ حیث إن التقسیمات السیاسیة للبلاد لا تسمح لسیطرة رئیس دینی واحد علی کل البلدان. أمّا إذا تمکن المجلس الاستشاری بالإقناع علی توحید المرجعیة فی کل الأقطار بمرجع واحد یقود المسلمین؛ فبها ونعمت، ولا شیء أحسن من هذا الأمر.

وإذا لم یکن المجلس الاستشاری قادراً علی ذلک، فسیظهر هناک مرجعان فی قطرین، أو مراجع فی أقطار متعددة، ولا بأس بذلک

مـادام أنَّ التوحُّد غير ممكن، ومن ثمَّ يكون بين المرجعين أو المراجع نوع من الاتحـاد الحركى والعملى حـتى يوجب التنسـيق بصورة مماثلة لجامعة الدول العربية أو مؤتمر القمة الإسلامى أو اتحاد الدول الإفريقية، ولا مناقشة فى الأمثال والوسائل.

وعلى أىّ حال: (لابُدّ من صـنعا وإن طال السفر) كما قال الشاعر، وإنى لأظن أنه لو ابتدأت مثل هذه الحركة بكل همّة وجدٍ وإخلاص سوف لايمضى ربع قرنٍ إلّا وتظهر النتائج المطلوبة كما هو متوقع.. ومن تلك النتائج المرجوّة:

١: ألّا يكون طالب العلم الدينى مهاناً فى المجتمع.

٢: ألّا يكون راتبه الشهرى أقل من راتب الموظف الإدارى.

٣: ألّا تكون مدة دراسته مجهولة.

۴: ألّا تكون بداية دراسته كآخرها مجهولة، إذ لابد من منهاج دراسى واضح ومحدد.

۵: ألا يكون هدف الطالب مجهول المصـير، فلابُدّ من تحديد مسـتقبلى لكل طالب علم، ولابد من برنامج يتم من خلاله اسـتثمار طاقة الأفراد.

۶: ألّا يكون هناك صراع ونزاع بين حواشى المراجع بل تكون الحواشى نظيفة وبعيدة عن الصراعات والنزاعات.

٧: أنْ تكون الإدارة فى المجتمع العلمى إدارة قوية وواعية، وبعيدة عن الفوضى.

٨: أن يكون هناك توزيعٌ عادلٌ لرجال العلم بين المُدن الإسلامية، كذلك أئمة الجماعة والموجّهين الدينيين.

٩: يجب الاهتمام بالتبليغ الدينى بنفس الحجم الذى نهتم به فى الأمور الأخرى.

١٠: وألّا يحدث فراغ عند موت المرجع، ونهوض مرجع آخر، والناس فى حيرة من تقليدهم وسائر شؤونهم الدينية.

١١: وألاّـ يكون بموت المرجع موت للمؤسـسات المرجعيـة التى بناهـا هو وحاشـيته، بل على كل مرجع أن يقيم المؤسـسات، فمتى ما مات، تبقى المؤسـسات لتواصل خدمتها للدين، وأنها لا تتوقف بتوقفه عن الحياة. وعندما تكون هناك مؤسسات، فالمرجع الذى يأتى بعد موت المرجع الأول سوف لا يبدأ من الصفر.

١٢: وأن تصرف الحقوق الشرعية فى الموارد الصحيحة، وألّا تجمّد فى أمور لا فائدة ترتجى منها أو أن تصرف فى موارد غير مواردها الشرعية.

١٣: وعلى عالم الدين أن يعطى صبغة الفاعلية لمجمل أعماله.

١۴: وأن يتوقف هدر الأموال الكثيرة والطاقات الكبيرة على الدعاية للمرجع وحاشيته ووكلائه.

١۵: الحفاظ على النظرة القدسية نحو المراجع، وألّا تتحوّل المرجعيات إلى ملوك الطوائف فى نظر الناس.

١۶: تفعيل الإدارة المسؤولة عن تدريس الطلبة بما يضمن التقدم المستمر لطالب العلم.

١٧: وأن يمنح طالب العلم شهادة كما حال كل الجامعات فى العالم، فعصرنا اليوم هو عصر الشهادات.

١٨: ولا يكون المرجع مكتوف الأيدى قبال تعيين أو عزل وكيل، وألّا يترك الأمور إلى الحاشية لتفعل ما تريد.

١٩: ويُضاف إلى المواد التدريسـية فى الحوزة الفقه والأصول، العلوم الإنسانيـة المرتبطة بالمجتمع كالسـياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والإدارة والإعلام مما يحتاجها طالب العلم، لئلا يصيب الناس الازدراء من أهل العلم والدين.

٢٠: ولاـ يكون للمرجعيـة وكيلاـن فى مدينـة واحـدة، خصوصـاً إذا كـان الوكيلاـن يوجهـان الأمـة توجيهين مختلفين فحينئـذ سـتختل الموازين ويحدث الاختلاف حتى فى تعيين أوائل الأشهر().

ولاشك أن عصارة ما تبقى اليوم من الإسـلام هو الـذى يتمثل بالمرجعيـة، فالتطور الذى طرأ فى العالم اكتسح جميع الأساليب السابقة التى كانت تتبناها المرجعيات التقليديـة. فلو لم تغيّر المرجعية من أساليبها فى العمل مع الحفاظ على الجوهر، سوف لا تتمكن من أداء رسالتها كما هو مطلوب.

المرجعية الواعية

لا ريب أن استقلال العراق السياسى قد ارتبط بثورة الإمام الشيخ الشيرازى رحمة الله عليه، كما أن استقلال إيران الاقتصادى ارتبط بفتوى الإمام المجدد السيد الشيرازى رحمة الله عليه.

وإذا ما قسنا قدرات المرجعية قبل نصف قرن مع قدراتها فى هذا اليوم كان التفاوت كبيراً جداً، فاللازم علاج ذلك قبل أن تزداد درجات هذا التفاوت.

إنَّ الكنيسة حينما اضمحلت هيبتها أمام الحضارة الغربية جمعت نفسها، وأعادت نشاطها، بل وتوسعت باستخدامها للوسائل الحديثة، مع العلم أنّ الكنيسة وبصورتها التقليدية هى نمط من التخلف؛ حيث إنها أجرمت بحق العلماء وأصحاب الفكر والرأى.

أمَا علينا أن نأخذ عبرة من ذلك؟!

أمَا يجب على المرجعيات الشيعية أن تستعين بهذه الوسائل المتطورة مع أنها مرجعيات صحيحة وسليمة وتقدمية من أصلها، وقد ساهمت فى تحرير البلاد ونشر العلوم، وأسدت للناس أجلّ الخدمات منذُ زمنٍ بعيد حتى يومنا هذا؟!

إنّ أشد ما يثير دهشتى التناقض الحاد فى نفوس بعض الناس! فثمة جماعة من الناس تؤكد على نبذ الجمود وتدعو إلى توحيد الكلمة وتشجب التشتت والضياع وتفرّق الكلمة بلسانها، وتخالف كل هذه الأمور بعملها!

إنَّك لتجد فى نوادى هؤلاء الأشخاص واجتماعاتهم كلاماً معسولاً، يدور حول التطوّر والتقدم والمشاريع الحديثة، ولكنك ستفاجأ بعدائهم الشديد بمجرّد قيام تلك المشاريع.

من تجارب الأصدقاء

واجهت جماعة من الأصدقاء الذين نذروا أنفسهم لتقديم الحياة الدينية والاجتماعية إلى الأمام واهتموا بتوحيد بعض الفئات، فلاقت أشد الصعوبات؛ إذ أقدمت هذه الجماعة على القيام بفتح مكتبة فى مدينة كربلاء المقدسة، ثم أخذوا ينشرون «مجلة» ثم أنشؤوا جمعية، ثم أسسوا مطبعة ثم مدرسة أهلية، وقد تم إنجاز هذه الأمور الخمسة فى زمنٍ متقاربٍ، ومع أول خطوة نحو تنفيذ تلك المشاريع الخمسة، لقوا معارضة شديدة من لدن أولئك الذين كانوا يتوقون القيام بهذه الأعمال، وكان الباعث على اعتراضهم ونقدهم هو الحسد و ما أشبه.

وأخذ هؤلاء يبثّون التّهم والدعايات المضلّلة ضدّ العاملين، وأصبحوا يؤلّبون الناس ضدَّهم؛ حتى إنهم سعوا بالوقيعة بهم لدى السلطات الظالمة، فقد اتهموهم بالشيوعية، وطلبوا من السلطات قطع دابرهم والتخلص منهم، وقد اقتنعت الحكومة بتلك الاتهامات الموجهة ضد الأصدقاء وأمروا أزلامهم باتخاذ الإجراءات اللازمة ضدَّهم.

والبعض من المناوئين اتهم الأصدقاء بأنهم قوميون ومخربون، فالواجب إيقاف نشاطاتهم، وقد قررت السّلطة آنذاك إلقاءهم فى السجن بعد وشاية المناوئين، إلاّ أن الله سبحانه كفاهم شرّ المشكلتين، والغريب فى الأمر أن الذين كانوا يُعارضون تلك النشاطات، لم يمضِ زمان إلاّ واقتطفوا بأنفسهم ثمار تلك النشاطات، وكانت لهم سيادتها وعنوانها.

المجتمع وتوحيد الكلمة

وحول (توحيد الكلمة)، ففى المجتمع ثلاث طوائف، هم: أهل العلم، والكسبة، والموظفون. ومع الأسف، فى مجتمعنا إن هذه الطوائف الثلاثة متباعدة ومتنافرة، وجاءت هذه المنافرة نتيجة التفكك والضعف فى الأمة الإسلامية، فكان أهل العلم يرون الطائفة الثالثة وكأنهم خارجون عن الإسلام، وتنظر الطائفة الثالثة إلى أهل العلم وكأنهم خرافيون ورجعيون، لايفهمون شيئاً، وهم السبب فى

تأخر البلاد، وتجميد المسلمين.

أمّا الطائفة الثانية: فكانت تقف موقف الوسط، فأحياناً تنتصر إلى هؤلاء وأخرى إلى أولئك، ولذا ما كُنت ترى في تلك الأيام حتى طالباً واحداً أو موظفاً واحداً في صلوات الجماعة أو مجالس التعزية أو بيوت العلماء، وكانت المهاترات تنهش بأظافرها جميع الأطراف، وكان أولئك العاملون يدعون إلى وجوب التقارب بين الطوائف وإيقاف التهم والمهاترات، كما كانوا يقيمون الهيئات لأجل تحقيق المشاريع، أو لأجل التثقيف الإسلامي، وكانوا يلاقون بذلك مشاكل جمة من الأصدقاء قبل أن يلاقوها من المناوئين، وكانت أجمل هدية يتلقونها من الأصدقاء هي التُّهم، ووضع العراقيل في طريقهم.

ولم يكونوا يبدون أيَّ تعاون، وإذا تكلموا معهم حول عمل مشترك أو تعاون، كانوا يفتحون الحسابات القديمة، لماذا فعلتم كذا؟ ولماذا قُلتم كذا؟ واعملوا مع من كنتم تعملون سابقاً؟ ولماذا أخفيتم عنّا؟ ولماذا لم تشاركوننا في سابق أعمالكم؟ وأسئلة أخرى ساذجة، يطرحها من يريد العمل في الحقلين: حقل التطوّر، وحقل التوحيد، ولو كان ذلك التطور بتأسيس مدرسة أو إيجاد فرصة لتوحيد النشاطات وإن كان في جمع عشرة أفراد لتأسيس هيئة يجتمعون فيما بينهم لتجويد القرآن الحكيم.

فاللازم أن يعلم الفرد العامل أن الطريق ليس مفروشاً بالأزهار، وأن أول المتحمسين للعمل سينقلب إلى أول المعارضين له وصدق سبحانه وتعالى حيث قال: وَلاَـ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ()، بينما كلّنا يعلم أن النبي صلى الله عليه و اله لم يرد إلاّـ خيرهم وصلاحهم بتقديمهم إلى الأمام وبتوحيد كلمتهم بما فيه عزتهم وشوكتهم وسعادتهم، ولم يكن البشر في ذلك اليوم يختلف عن البشر في هذا اليوم، وإن لم يكن نبيٌ ولا وصيٌ في الظاهر اليوم.

ثم إن الذين يُعارضون الإصلاح هم على أشكال غالباً فإمّا حسّاد مفترون، أو عاملون لإرضاء كبريائهم، أو جهّال سطحيون، وهؤلاء هم المعارضة، ثم إنهم يسحبون معهم جماعات من طيبي النفوس، ويتخفّون وراءهم؛ لنيل أهدافهم.

وبعد هؤلاء الأفراد الذين غالباً ما نجدهم في الأصدقاء، يأتي دور الذين يناوئون الإنسان ومشاريعه لأهداف خاصة ووقتية مختلفة عن أهداف الإنسان، مثل أن تكون أنت في جانب الإسلام وهم في جانب الإلحاد، أو تكون أنت من أتباع مذهبٍ خاص، وهم من أتباع مذهبٍ آخر.

فالمفترض بالذي يريد التقدُّم أو توحيد الصف أنْ يتّصف بالحزم، ويتحلى بالأخلاق والدفع بالتي هي أحسن، وبمداراة الناس، إن أراد نجاح مشروعه.

العلماء حصون الأمة

زار الملك ناصر الدين شاه القاجاري إحدى الدول الغربية المعروفة باستغلالها للشعوب، يصحبه رئيس وزرائه، وقد استعدّ رئيس تلك الدولة استعداداً عسكرياً كاملاً لإظهار قوة بلاده أمام ناصر الدين شاه ولإدخال الرعب في قلبه. فأمر الجيش بالقيام باستعراض عسكري واسع أمام موكب الشاه.

وكان الجيش يتكون من قوة عسكرية كبيرة ومدرّبة ومجهّزة بأحدث الأسلحة، ممّا أعجب الشاه بهم إعجاباً كبيراً بالاستعراض الرائع في وقت كان فيه الجيش الإيراني يعاني من الانهيار والتفكك وضعف السلاح.

ولما انتهى العرض العسكري، التفت رئيس تلك الدولة؛ ليسأل الشاه عن عدد قواته العسكرية؟

يقول الصدر الأعظم رئيس الوزراء الذي كان يرافق الشاه في سفره: أخذ قلبي ينبض وارتعدت فرائصي من ذلك السؤال، واشتدّ قلقي من جواب الشاه؟، فهل يجيب بما هو واقع وذلك إهانة كبيرة لإيران، وتطميع أكبر بتلك الدولة الاستعمارية، والمثل يقول: (المال المتروك يدفع السارق إلى السرقة)، أو يقول كذباً، وهو فضيحة أمام كل الأطراف التي تعلم بقدراتنا العسكرية؟!

إلاّ أنّ الشاه، برع في الجواب حيث قال: إن جيشنا لا يتعدّى في أيام السلم عشرة آلاف شخص لحماية البلاد من المخربين والمجرمين

والسارقين، وهـذا العـدد كافٍ فى بلادنا لردع أولئك العـدد القليل من المجرمين فى مجتمعاتنا الإسـلامية؛ لأن الإسـلام يطهّر النفوس ويمنع عنها الإجرام، فيكون وازعاً داخلياً عند عامة الناس، إلاّ من شذّ وندر.

أمّا فى أيام الحرب، فيصبح جيشنا متكوناً من عشرة ملايين! ويشمل جميع البالغين من الرجال والنساء من الشعب الإيرانى.

قـال رئيس الدولـة الغربيـة: وكيف يمكن أن يكون الجيش الاحتيـاطى كـل الشعـب وقـد قـاس الأمر فى فكره حسب موازين الجيوش النظامية ؟.

قال الشاه: نعم، إن ذلك مستحيل فى موازينكم.

أمّا بالنسبة إلى بلادنا، فعنـدنا العلماء ممثلون للإمام المعصوم عليه السـلام، وأمرهم مطاع لـدى جميع الناس، وإذا ما أفتى العالم فتوى (الجهاد المقـدس)، فلن تجـد من لا يُلبى هـذا النـداء، فطاعـة العالم فى فتواه كطاعة الله سبحانه، وعلى جميع المسـلمين ومن بلغ سـن الرشد الامتثال لأوامرهم.

قال الصدر الأعظم: فانخطف لون رئيس الدولة الغربية، وظهرت عليه آثار الدهشة والاضطراب.

نعم، إنّ مـا قـاله الشاه صـحيحٌ فى ذلك الزمن الغابر، إنّه هكـذا يكون الـدفاع الإسـلامى، فى زمان لم تتوفر فيه الوسائل الحديثـة التى تؤمّن الدفاع.

أمّا اليوم، فإنّ الجيش والـدفاع أصبح مؤسسة حديثـة تقوم بتـدريب الناس على السـلاح وتنظمهم على شكل المقاومة ليصبحوا على استعداد كامل، متأهبين لساعة الصفر.

فالجهاد الذى هو من أقسام الدفاع واجبٌ على كل مكلف مثل وجوب الصلاة والصيام،ولذا عُدَّ من فروع الدين.

شهادة جاسوس

(كينيازدال كوركى)()، وهو الجاسوس الروسى القيصرى الشهير الذى بعثوا به إلى إيران إبان الحكم القاجارى.

يقول دال كوركى فى مـذكراته(): إنّ روسيا كانت معجبـة بإيران ومواقفها الصـلبة أمام الإمبراطوريتين الروسيـة والعثمانيـة بالرغم من ضآلة عدد سكانها وانعزالها.

ويواصل دال كوركى: وكنا نسأل أنفسنا، ما هو سرّ قوتها، حتى تبين لنا أن سرَّ قوتها فى وحدة كلمتها وطاعة الدولة والشعب لعلمائها الذين يعتبرون أفضل حماة للقانون والاستقلال.

ولـذا كنت والكلامـ لـدال كوركى موفـداً من قبـل دولتى لتفريق كلمـة هؤلاـء العلماء، وقـد كنت أبـذل ستين ألف ليرة ذهبيـة لجلب ضعـاف النفوس والعقول إلى جـانبى لتنفيـذ أهـدافى، فكنتُ أكفّر بعضاً، وأفسّق بعضاً، وأقتل بعضاً، وكنت أنفّذ جميع ذلك بصـرف الأـموال الطائلة ومن تحت الستار. وأخيراً توصـلت إلى أقوى سـلاح وهو اسـتخدام الـدين كوسيلة لتفريق صـفوفهم وتمزيق ألفتهم، فوجـدت فى (على محمـد البـاب) خيرَ مطيَّة لتنفيـذ ذلـك. فقـد ادّعى الرجـل أنه بـاب (الإمـام المهـدى) ثم قال عن نفسه بأنه (الإمام المهـدى) ثم ادّعى بأنه أكبر من ذلك، وقد تمكّنا بواسـطة هذا الرجل وبعملنا الدؤوب الذى لا يعرف الانقطاع أن نفرّق كلمتهم، وأن نحدث شرخاً كبيراً فى صفوفهم.

أقول: هكذا عمل المستعمرون فى تمزيق أواصـر المسلمين، وتضـعيف القوة الإسـلامية. حدث ذلك فى غياب الوعى لدى السلطات التى كانت تحكم البلاد الإسـلامية. وعلى إثر ذلك، جرت حروب وسالت الدماء، وظهر الحزب البهائى() فى إيران، وبعد زوال روسيا القيصـرية وسقوطها على أيدى الشيوعيين، انتهزت بريطانيا الفُرصة فاحتضنت الحركة، وغذّتها بالمال والخطط، وحين ضعفت بريطانيا، قامت الولايات المتحـدة الإمريكيـة بالـدور نفسه، وأخيراً قامت الصـهيونية العالميـة بمـدّ يـد العون والمساندة إلى البهائية، وهكذا امتد الأـخطبوط فى إيران وغير إيران، وكـان بلاءً طالت مـدّته، وستطول أكثر طالما ظلّ المسـلمون غير متحـدين حكومـة وشعباً من أجل

تطبيق الشريعة الإسلامية وقطع دابر المفسدين.

وكل من أراد المزيد من الاطلاع على المخططات الاستعمارية للفتك بوحدة المسلمين، عليه أن يقرأ كتاب «مذكرات كينياز دال كوركى».

ومن الكتب المفيدة فى هذا المضمار: «لعبة الأمم» () و «أعمدة الحكمة السبعة» ()،و «التبشير والاستعمار» ()، و «بروتوكولات حكماء صهيون» ()، و «تشريح جثة الاستعمار»، و «مذكرات مس بيل» ()، و «مذكرات مستر همفر» () الجاسوس البريطانى، و «مجلة ملى تركستان»، و «الإسلام فى قبال الزحف الأحمر»، و «ظلام من الغرب»، و «تركستان فى ظل الشيوعية»، وغيرها من الكتب المهتَّمة بالهجمة الاستعمارية ضد البلاد الإسلامية().

الصبر يصنع الانتصار

كان لأحد مراجع طهران ابنٌ، بعثه إلى مدينة سامراء لتلقى الدراسة الدينية؛ وذلك فى عهد الإمام المجدد السيد الشيرازى رحمة الله عليه، وكان هذا الابن سيئ الأدب بحكم كونه شاباً غنياً، ولعدم تلقيه تربية سليمة فى بلاده، فكان يسىء للسيد الشيرازى بلسانه ويهمزه ويلمزه فى أعماله، وكلّما نُهى عن ذلك لم ينته حتى وصل الخبر إلى الشيرازى، وطلب من الشيرازى بعضُ حواشيه أن يأمر بإرجاع هذا الشاب إلى بلده، لكن الشيرازى لم يوافق على الطلب، وكان الولد مع إحسان الشيرازى إليه وإعطائه الراتب الشهرى وهو لا يستحقه، ومع ذلك ظل يتمادى فى غيّه. وهكذا طال الأمر، فأصرّ بعض الحواشى على إرجاعه إلى إيران، لكن الشيرازى ظلَّ ساكتاً لا ينبس ببنت شفة.

ومرّت الأمور على هذا المنوال عدَّة سنوات، وحدث تغيّر طفيف فى ثقافة وأخلاق هذا الشاب حتى جاء وفدٌ من طهران إلى سامراء، وتشرّف الوفد بزيارة الشيرازى رحمة الله عليه، فسأل منهم هل عندكم فى محلتكم عالم؟

وهل ترغبون فى إرسال عالم إلى بلدكم؟

فأجابوه بالترحاب.. فبعث الشيرازى إلى ذلك الشاب وطلب منه العودة إلى إيران ليصبح عالماً فى منطقة الوفد القادم. فلبّى الشاب ما طلب منه، فرافق الوفد وعاد إلى إيران معزّزاً مكرّماً. وتعجب الناس كيف قابل الشيرازى إساءة هذا الشاب بهذا الإحسان. ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح هذا الشاب عالماً مرموقاً فى مدينته، ثم أصبح مستشاراً ل (ناصر الدين شاه).

وعندما كان فى معية الشاه وقعت (حادثة التنباك) المشهورة التى أفتى فيها السيد الشيرازى بتحريم التّنباك، فأوصدت الأبواب أمام الشاه، ففكر ذات مرة أن يجمع العلماء فى مكانٍ واحد لعلّه يتمكن من إغوائهم فى نقض فتوى الشيرازى. فأوعز إلى مستشاره وكان عالماً وهو الشاب الذى كان فى سامراء أوعز إليه أن يقوم بجمع العلماء فى داره ويقول لهم بأن الشاه يريد زيارتكم.

وبالفعل جمع العلماء وحضر الشاه ذلك المجلس، ثم إنه تكلم حول فتوى الشيرازى قائلاً: (هل يحق لإنسان أن يُحرِّم ما أحلّه الله؟، مَنْ هذا الرجل المسّمى ب (محمد حسن الشيرازى) القابع فى سامراء؟

وكيف يُحرِّم ما أحلّه الله؟

فأطرق الجميع برؤوسهم، إلاّ العالم المذكور الذى جمعهم، والذى قال خلافاً للجميع الذين سكتوا ولم ينبسوا ببنت شفة.

قال: أيها الملك، إنَّ الإمام آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازى هو مرجع تقليد الشيعة فى كل العالم.

فغضب الشاه من هذا الجواب غضباً شديداً، وقال: ثم ماذا؟!،

قال العالم: إننا نتوقَّع منك أن تنفّذ أوامر هذا المرجع وإلاّ فنحن سننفذ أوامره بالسيف.

فقام الشاه وهو فى أشدّ غضب وتوتر، وهمهم مع نفسه قائلاً: ترانى أين جئت، جئت إلى بيت أى حمار!!

فغضب العالم منه وقال له بصوت مرتفع: يا صاحب الشارب الغليظ، ليس من حقِّك أن تتكلم حول مرجع تقليد الشيعة بمثل هذا

الكلام.

وانتفض المجلس، وفشلت خطة الشاه، بل باءت بالفشل الذريع. وانتشر الخبر، فكتب بعض الناس القصة إلى الشيرازى فى سامراء، وطلب الشيرازى أولئك الذين أشاروا عليه بإخراج الشاب لسوء أدبه، ثم إنه وضع إصبعه فوق اسم ذلك الشاب حتى لا تعرف حاشيته اسم الشخص الذى انتفض بوجه الشاه. وقال لبعضهم: إقرأ الكتاب، فلمّا قرأه، استحسن الجميع عمل هذا العالم الجسور المضحّى، وبالغوا فى الثناء عليه، وبعد ذلك رفع الشيرازى إصبعه عن الاسم، وكم كانت دهشة أولئك الذين طلبوا منه طرد الشاب وإعادته إلى بلده.

فقال لهم: أ رأيتم فوائد ذلك السكوت والصبر، فاعترفوا بحسن سياسة الشيرازى، ونظرته الثاقبة، العميقة، البعيدة المدى.

وهكذا يجب الحفاظ على العلاقة مع الناس مهما اختلفت أعمالهم ونظرتهم وأفكارهم إلّا فى حدود معصية الله سبحانه، وقد قال سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: عاشروا الناس بالمعروف معاشرةً إن عشتم حنّوا إليكم وإن متُّم بكوا عليكم ().

فالناس يختلفون فى أذواقهم وأفكارهم وآرائهم فلا نتوقع منهم أن يأتى رأيهم مطابقاً لرأينا مائة بالمائة، حتى لو كان هناك تطابق بمقدار واحد بالمائة، علينا أن نستثمر هذا المقدار لنربح المجتمع. وهذا ما قصده أمير المؤمنين عليه السلام فى كلامه المذكور.

الرسول صلى الله عليه و اله ولمّ الشمل

وعلى غرار ذلك هناك من يسأل: لماذا لم يطرد رسول الله صلى الله عليه و اله المنافقين من حوله؟. وقد غفل هؤلاء السائلون عن أمرٍ مهم هو أنه هل كان الأفضل لرسول الله صلى الله عليه و اله أن يقوّى المسلمين فى الشكل والجوهر أم يقوّى جبهة الشرك؟.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه و اله قد طرد المنافقين، لكان قد أضاف عدداً جديداً إلى المجتمع الجاهلى. ومعنى ذلك: توسع فى الجبهة المعادية للإسلام. فقد تخلّص الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله بحكمته البليغة من شريحة، كان يمكن أن تنصب له العداء السافر، فاستطاع بأخلاقه أن يُفرّق صفوف المشركين، فكسب أعداداً كبيرةً منهم، وواصل عملية الكسب.

وقد قال أحد الحكماء: دع المنافق فى نفاقه، فإن لم تقدر على إصلاح سريرته لا تُفسد صلاح ظاهره، فإذا مرّ عليك، أليس من الخير أن يسلّم عليك بدلاً من أن يشتمك. ثم لعلّ الله يهديه سواء السبيل، فينقلب صالحاً بعد أن كان طالحاً.

وهذا هو دأب المسلمين من قديم الزمان، فهم يقلّبون ويحولون من هو عدوٌ لهم، ليصبح ولياً حميماً. وقد قال سبحانه وتعالى: ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ().

كما أن الله سبحانه وتعالى قال أيضاً: وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ().

الناس سواسية

الناس سواسية كأسنان المشط()، بهذا المنطق الرفيع حكم المسلمون مساحة واسعة من العالم، وتقدّموا أكبر تقدم فى تطبيق ونشر الشريعة الإسلامية، وهو منطق العقل والعلم أيضاً.

فليس ثمة اختلاف بين الناس من حيث الفضل إلاّ بالكفاءة، والكفاءة الحقيقية تتجلى بالتقوى. ومعنى التقوى اجتناب المحرمات والتحلّى بالفضائل، حيث قال سبحانه وتعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ().

ومن مصاديق التقوى أن يرى الإنسان نفسه فى مرتبة أخيه الإنسان، ولا يرى أخاه دونه، وأصدق مثال على هذه الرؤية الصادقة صلاة الجماعة، حيث يقف المسلمون جميعاً جنباً إلى جنب كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ، ولا يشعر أحدهم بفضل على الآخر.

وإذا ما نظرنا إلى صلاة الجماعة التى يؤديها المسلمون، لرأينا فى صفوف الصلاة الهندى إلى جانب الإيرانى، وإلى جانبهما العربى، وإلى جانبهم التركى، وترى الأسود يقف إلى جانب الأبيض، والفقير إلى جانب الغنى، ولا تشعر بوجود فرق بينهم إلاّ بالتقوى.

وتلاحظ الشیء نفسه فی أیام الحج حیث یتساوی الشریف والوضیع والرئیس والمرؤوس، ونجد المالک والفلاح کلّهم بزیٍّ واحدٍ مُرتدین قطعتین من القماش.

والسؤال المطروح هو: هل نجد هذه المساواة فی المرافق الحیاتیة الأخری؟، ویمکن طرح السؤال بصیغة المصادیق:

هل یمکن لأی إنسان:

۱: أن یُسافر أینما یُرید بدون حدود وبدون جواز سفر وتأشیرة؟.

۲: وأن یبقی فی أی بلدٍ یرغب فیه بدون ترخیص، حاله حال إنسان ذلک البلد؟.

۳: وأن یشتری ویبیع کأصحاب البلد دون تفریق؟.

۴: وأن یتاجر، فیستورد ویصدّر أیة بضاعة یریدها إلی أی بلدٍ یشاء، وبأیة کیفیة یرغب إلیها، باستثناء الأشیاء المحرَّمة؟.

۵: وأن یؤلّف ویکتب ویبدی رأیه کإنسان له مطلق حریة التعبیر؟.

۶: وأن یعمل أی عمل شاء بالکیفیة التی یُریدها؟.

۷: وأن یدرس کیفما شاء، وفی أی معهدٍ علمی أو أکادیمیة، وأن یدرِّس کذلک؟.

۸: وأن یخطب ویتزوج کما یشاء، ومثلما یرید بلا شروط ولا مضایقات ولا إجازة من السلطات؟.

۹: وأن یقیم الشعائر الإسلامیة حسب ما أمر الله سبحانه وتعالی به بدون محظور أو تهدید أو إجازة من السلطات؟.

۱۰: وأن یعمل بقوانین الإسلام حسب ما أنزل الله سبحانه وتعالی، لابحسب القوانین الوضعیة؟.

وفی الیوم الذی یستطیع فیه المسلمون من تحقیق هذه الأمور العشرة وغیرها، فسیکون یوم الخلاص ویوم الانعتاق من الاستعمار، إذ لم یکن الإسلام یوماً مجرد عبادات، بل الإسلام عبارة عن مجموعة قوانین حیاتیة ومجموعة نُظم اقتصادیة وتنظیمات سیاسیة وقوانین تجاریة وأنظمة قضائیة وأحوال شخصیة وأوضاع اجتماعیة وطرق زراعیة ومعاییر أخلاقیة.

وتأتی العبادات لتقوّم تلک الأنشطة الحیاتیة ولتمنحها الأهداف

السامیة.

إلّا أننا ومع الأسف لانجد تلک القوانین والنُظم هی الحاکمة فی مجتمعاتنا الإسلامیة، بل بالعکس نجد ما هو عکس ذلک، نجد ما یخالف الشرع المبین وما یتناقض وأحکام القرآن.

فقد قال الإسلام: أَحَلَّ اللهُ الْبَیْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ()، ولکن تری التعامل مع البنوک الربویة التی تنتشر فی عرض البلاد الإسلامیة وطولها.

وقال الإسلام: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَیْسِرُ وَالأنْصَابُ وَالأزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ()، وإنک لتری فی البلاد الإسلامیة عکس ذلک، تری محلات بیع الخمور منتشرة وتباع کما یُباع الخبز.

وقال الإسلام: الزَّانِیَةُ وَالزَّانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (). أما فی البلاد الإسلامیة فتری بیوت البغاء وأماکن الدعارة منتشرة فی کل مدینة وحی.

وقال الإسلام: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

حِجَابٍ (). أمّا فی البلاد الإسلامیة، فتری النساء السافرات فی کل مکان، وتری السفور حتی بلغ مبلغ التعرّی، وینتشر فی البلاد الإسلامیة الاختلاط بشکل عجیب.

وقال الإسلام: تِلْکَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا (). أما فی البلاد الإسلامیة فتری القوانین الوضعیة وقد أخذت مکان القوانین الإلهیة.

وقال الإسلام: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللهِ کَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَلَمْ یُوحَ إلیه شَیْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ (). أمّا الیوم، فیقولون أکثر مما قالوا فی السابق، فالیوم یقولون: (إنّ ما عندنا أفضل مما أنزل الله)، فالذین یسنّون القوانین الوضعیة یقولون: (بأن قوانینهم أفضل من قوانین السماء)!.

وقال الإسلام: کَیْ لَا یَکُونَ دُولَةً بَیْنَ الأَغْنِیَاءِ مِنْکُمْ (). أمّا المسلمون الیوم، فکلهم فقراء، ولا تجد بینهم غنیاً إلاّ ما شذَّ وندر، وستجد بین المسلمین من هو دون مستوی الفقر.

وقال الإسلام: لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ()، أمّا فی عالمنا الإسلامی، فلا نجد بقعة خالیة من الظُلم، وکأنّ الظلم هو القاعدة السائدة، أما العدل فهو الاستثناء، فصاحب المُلک یظلم المزارع. وربّ العمل یظلم العامل، وکأنّ الإسلام لم یأت بقوانین إنسانیة لحمایة العامل والفلاح، ویعطی لکل صاحب حقٍّ حقَّه.

وقال الإسلام: الناس مسلطون علی أموالهم وأنفسهم (). أمّا فی البلاد الإسلامیة، فلا نجد رائحة للحریة، بل نجد الاستبداد والظلم والدیکتاتوریة والتسلط علی قدم وساق، فأصبح الناس لا سلطة لهم علی أموالهم، وهم عرضة للنهب والسلب علی أیدی السلطة بمختلف المعاییر والحجج الواهیة.

وقال الإسلام: لَا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْیَوْمِ الآخِرِ یُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ().أما فی البلاد الإسلامیة، فماذا تجدون؟! تجدون الحکومات، تلهث خلف الدول الاستعماریة الکافرة، وتشنُّ الحروب ضدَّ دول إسلامیة لحساب دول ملحدة أو کافرة.

وقال الإسلام: وَلَقَدْ کَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ (). هذا ما تجده فی القرآن الکریم. أمّا ما تجده فی البلاد الإسلامیة، فهو السجون ووسائل التعذیب بأشدّ أنواعها، والإعدامات ومصادرة الأموال وانتهاک الأعراض.

وقال الإسلام: (الأرض لله ولمن عمّرها)(). أما فی البلاد الإسلامیة، فتجد القوانین التی تمنعک من الاستفادة حتی من أرضک، فإذا أردت البناء أو الزراعة فعلیک أن تأخذ إجازة لذلک، فکیف لو کانت الأرض للدولة؟!.

وکان من نتائج عدم تطبیق حکم الله سبحانه فی الأرض، أن أصبح الملایین من المسلمین بلا مسکن وبلا طعام.

وأصبحت مساحات شاسعة من البلاد الإسلام بائرة.

وقال الإسلام: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (). أمّا فی البلاد الإسلامیة فلاتجد ذلک، بل نجد الیهودی مفضلاً علی المسلم، کونه یحمل جنسیة ذلک البلد، أما المسلم، فیُعتبر أجنبیاً، فلا حقَّ له بالحیاة.

وقال الإسلام: یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِی کَانَتْ عَلَیْهِمْ (). أما فی العالم الإسلامی، فقد وضعوا قوانین لم ینزل الله بها من سلطان، وأصبحت هذه القوانین هی المطبّقة فی البلاد الإسلامیة، وهی التی تقیّد حریة الإنسان، وتمنعه من ممارسة أنشطته الاقتصادیة والثقافیة والسیاسیة.

وقال الإسلام: (المسلمون کالجسد الواحد)(). أمّا واقع المسلمین، فمختلف تماماً، فقد أصبحوا أجساداً متفرقة وعناصر متشتتة، فهذا من عنصر فارسی یمجد القومیة الفارسیة، وذاک کردی یمجّد القومیة الکردیة. وذاک من عنصر عربی یمجِّد القومیة العربیة.

وقال الإسلام: (ما آمن بی من بات شبعاناً وجاره جائع)(). أمّا فی البلاد الإسلامیة، فلا تجد سوی الجیاع، وهم یعیشون جنباً إلی جنب مع المتخمین.

وقال الإسلام: جَاهِدُوا بِأَمْوَالِکُمْ وَأَنْفُسِکُمْ (). أمّا الواقع، فلا تجد من یجاهد حتی بلسانه، وکان من نتائج ذلک الذل والهوان.

وقال الإسلام: وَأَقِیمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّکَاةَ (). و فَأَنَّ لِلهِ

خُمُسَهُ (). أما الواقع، فیشهد أن هناک أعداداً لا یصلّون ولایزّکون ولا یُخمّسون؟

وقال الإسلام: وَبِالْوَالِدَیْنِ إِحْسَاناً (). أتری هل یُحسن الأبناء بحق آبائهم، وکم هم عدد الذین یبرّون آباءهم فی هذا الزمن الذی انعدمت فیه أخلاق الأسرة؟.

وقال الإسلام: وَأَنْکِحُوا الأَیَامَی مِنْکُمْ ()، فهل نجد ذلک فی مجتمعاتنا الإسلامیة أم نجد العکس تماماً، نجد العزوف عن الزواج؛ لأسباب تافهة وأعذار واهیة، ونجد انصراف الشباب والشابّات فی اللهو والمجون، ولا یفکرون بالزواج صارفین طاقاتهم الجنسیة فی أمور محرمة.

وقال الإسلام: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (). أمَّا الواقع، فإنَّ الملايين من المسلمين حُرموا من الحج بسبب القوانين الجائرة.

وقال الإسلام: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ()، وترى كثيرين يتركون الأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، وربّما يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهم فى عصرنا كثيرون.

وقال الإسلام: (على الوالد أن يحسن اسم ولده، ويحسن تربيته، ويزوّجه إذا بلغ)()، وترى الأسماء القبيحة حين تسمية الأولاد، وترى الإهمال فى تربيتهم وعدم رعايتهم عندما يكبرون، وعدم السعى لتزويجهم بأعذار واهية.

وقال الإسلام: (النظافة من الإيمان)()، وترى الأوساخ تنتشر فى الشوارع، والأزقّة، والبيوت، وسائر الأماكن الأخرى.

وقال الإسلام: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ()، وترى المسلمين يفتقرون إلى تصنيع أبسط أنواع الأسلحة.

وقال الإسلام: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (). أما فى الواقع، فتجد الإذاعات، والصحف، وقد مُلئت بالمهاترات والمنازعات، فالبعض يتهم البعض الآخر بأسوأ التُّهم.

وقال الإسلام: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ (). أما فى الواقع، فلاتجد سوى العمل بالظن السلبى، وهو متفشٍ فى أغلب الناس.

وقال الإسلام: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ (). أما فى الواقع، فتجد ظاهرة الانتحار وقد انتشرت فى بلاد الإسلام.

وقال الإسلام: مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً (). أما فى الواقع، فتجد الإبادة الجماعية والقتل على العقيدة، وسياسة التصفيات الجسدية للمواطنين؛ لمخالفتهم للسلطات الحاكمة.

وقال الإسلام: وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً (). وفى الواقع ترى المسلم، يتجسّس على أخيه المسلم، وترى ظاهرة الغيبة متفشية فى كل مكان، وقد قال الله سبحانه عنها: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ().

وقال الإسلام: (إن الله جميل يحب الجمال)(). فالجمال هو جمال الطبيعة، وهو الجمال الحقيقى الذى أنعم الله سبحانه به على البشرية، لكن فى الواقع أن البشرية، تلهث خلف الجمال المُزيف الذى لا قيمة له.

وقال الإسلام: (المسلمون إخوة يدٌ واحدة على من سواهم)(). أما الواقع، فنقيض ذلك، فالمسلمون أياد متفرِّقة بعضها ضد بعض.

وقال الإسلام: (الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه)(). بينما واقع المسلمين، يشهد عكس ذلك، فالمسلمون فى تراجع مُستمر، وتدهور فى المستوى الحضارى.

وقال الإسلام: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (). أما فى الواقع، فأمرهم يسوده الاستبداد والديكتاتورية.

وقال الإسلام: (طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة)(). أما فى الواقع، فنسبة كبيرة من المسلمين يعيشون حياة الأمية المطبقة، كما وأنَّ الجهل والتخلف هما صفتا العالم الإسلامى.

وقال الإسلام: (أشبهكم بى أحسنكم خلقاً)(). أما الواقع، فيشهد على سوء الخلق، وتدنّى مستوى الثقافة الأخلاقية عند الكثير من المسلمين.

وقال الإسلام: تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ()، لكن فى الواقع، تجد عكس ذلك، تجد التعاون على الإثم والعدوان يسود العلاقات بين الدول الإسلامية بدلاً من التعاون على البرّ والتقوى.

وهكذا، فإن الإسلام قال الكثير الكثير، لكن المسلمين عملوا بالقليل القليل. أمّا ما وافق عملهم لقول الإسلام فهو أشدُّ سوءاً مما لم يوافقه!، فقد قال الإسلام: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً () فقد عمل المسلمون بذلك.

وهى الآية التى وجدنا لها أكثر من مصداق فى الواقع المعاش. فقد هجر المسلمون القرآن، ولم يرعوا له ذماماً، ولم يعطوه أية قيمة، فأصبحوا لعنةً على التاريخ، وباتوا نهباً لليهود والحكام المأجورين، ففى ذات يوم رأى أمير المؤمنين عليه السلام جنازة وشاهد إلى جانب الجنازة وخلفها رجلين يضحكان، فقال عليه السلام: (كأن الموت فيها على غيرنا كُتب)().

أجل.. كأننا لسنا المستهدفين.. وكأن الإسلام نزل على قومٍ غيرنا.. وكأننا لسنا بمسلمين. وكأننا لم نرَ من الإسلام خيراً فتركناه وراء ظهورنا. وكأن الخير قد جاءنا من غيره فاتّخذناه سبيلًا.

لقد سلب منّا الكفار حضارتنا الإسلامية، وكادوا يسلبوننا الحياة أيضاً، لكننا مع ذلك نتبعهم في كل شيء. فهل وجدت ضحية تتبع الجلاد باختيارها إلى الذبح أكثر من المسلمين؟!، هذا هو حال المسلمين اليوم().

ألم يقل الشاعر (المسلم) متنكراً لإسلامه:

إنَّنا معشر الشبيبة قومٌ

قد رفضنا الشريعة الأحمدية

ألم يقل شاعر ثانٍ:

سلامٌ على كفر يوحِّد بيننا

وأهلًا وسهلًا بعده بجهنم

وقال شاعر ثالث:

آمنت بالبعث() ربَّاً لا شريک له

وبالميشيل نبيّاً ما لهُ ثان

وفى (سبيل)() كتابى جلَّ منزله ضربت بالذكر() عمداً عرض حيطان

فإننا أمة لا ينفعنا سوى الإسلام، ولا نجاة لنا إلّا بالإسلام، فلابُدَّ من إعادة الإسلام إلى الحياة.

لابُدَّ من إنقاذ الإسلام من براثن المستعمرين ودسائسهم.

لابُدّ من تطبيق الإسلام بصورة عملية فى كل مرفقٍ من مرافق حياتنا.

وإنّ أى تأخير فى ذلک إنّما هو ضياعٌ لحقوقنا..

وإن أى تبرير فهو تعزيز لسقوطنا مهما كانت تبريراتنا: وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ().

الاستعمار والنزاعات

طلبت بريطانيا من الحكومة العراقية إبَّان العهد الملكى أنْ تسنَّ قانوناً جديداً، يدعم المصالح البريطانية فى العراق، لكن الحكومة العراقية امتنعت عن تلبية الطلب خوفاً من رد فعل الشعب.

وذات يوم وقع نزاعٌ فى أكثر شوارع بغداد ازدحاماً بالمارة والسيارات وهو شارع الرشيد، وكان وراء هذا النزاع أسباب طائفية، حيث جُرح عدد كبير من المتشاجرين من السنّة والشيعة، وكان كل طرف يتّهم الطرف الآخر بأنَّه تعرَّض لمقدساته بالإهانة والسب، وكادت هذه الفتنة الطائفية أن تنتشر فى أرجاء العراق، لولا قيام السلطات بالإسراع لإخمادها، وإلقاء القبض على المسببين لها.

وعندما تم استجواب المعتقلين، أبدوا عدم علمهم بأسباب النزاع، وقالوا بأجمعهم: إنهم لا يعرفون خلفية النزاع إلّا أنهم مرّوا بالمكان فوجدوا نزاعاً بين السنّة والشيعة فلم يتمالكوا أنفسهم، حيث وجدوا أنفسهم مشتركين فى النزاع دون إرادتهم.

وبعد التحقيق الطويل، توصلت السلطات أن السبب المباشر للنزاع هو شخصان أحدهما سبّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والثانى سبّ عمر بن الخطاب، وبعد التحقيق مع هذين الشخصين تبين للشرطة أنّهما مسيحيان. وأنهما ليسا من أنصار الإمام على عليه السلام ولا من أنصار عمر. لذا أطلقت الحكومة جميع المعتقلين الأبرياء ممن ألقت القبض عليهم والذين أصبحوا ضحية لكيد هذين المسيحيين.

وفى نهاية المطاف تبين للناس أن السفارة البريطانية هى وراء هذين المسيحيين، وأن النزاع هو أمرٌ مفتعل قامت به السفارة البريطانية؛

انتقاماً من الحكومة الملكية؛ لرفضها الطلب البريطاني().

الأحزاب الكافرة والتفرقة

روى لي أحـد علماء الأقطار الإسـلامية، هناك في بلـدته حزبان متنافسان يكنّان لبعضـهما العـداء. وكان ابن أخي والقول للعالم منتمياً لأحد الحزبين، وكانت له علاقة خاصة برئيس الحزب الذي كان على مستوىً كبيرٍ من الوطنية، وعلى درجة من العداء للحزب الآخر.
قـال العـالم: وتبين لي من حـديث ابن أخي: أن زعيم الحزب عميـل للاسـتعمار، فـذكرت ذلك لابن أخي، لكنَّه لم يقتنع بقولي، فقد كان قليل التجربة، وعديم النضج، وهو أقرب إلى المراهقة من الرُشد.
وعندما قلتُ له ذلك تفجّر غيظاً من كلامي، ودخل معي في نقاش تافه، تمليه عليه مداركه القليلة، ومعلوماته الضحلة.
قـال هـذا العـالم: ذات مرة جـاء الشـاب مرعوبـاً إلى دارنـا وطلب مني إخفـاءه عن الأنظار، وبعـد أن أخفيناه وهـدّأنا من روعه قال: إن الحكومـة اقتحمت مقرّنـا، وطـاردت أعضـاء الحزب، فهربنـا بأنفسـنا، وإذا بنا نشاهـد في زحمـة المطاردة أن رئيس الحزب يلتجئ إلى السفارة البريطانية، فعلمنا حينذاك أن الرجل كما قلت أيها العم: إنه عميل بريطاني.
أقـول: هكـذا تقوم السـفارات بإيجـاد الأـحزاب الكـافرة في البلاـد الإسـلامية، وتقوم هـذه الأـحزاب بـدور خـبيث في تمزيق المجتمع الإسلامي، ولكي لا تنكشف ارتباطاتهم بالإنجليز، حاولوا أن يصبغوا أنفسهم بصبغة وطنية.
فالواجب علينا أن نتجنب كلَّ أشكال التفرقة مهما كانت المبررات ونحافظ على وحدة الصف مهما كان الثمن غالياً.

فرعون وسياسة فرِّقْ تَسُدْ

يقول الله سـبحانه وتعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ()، وفرعون() حسب التاريخ الذي بأيدينا هو أول من باشـر بتطبيق تلـك القاعـدة الاسـتعمارية (فرِّق تسـد)، وإن كان الإنسان بطبيعته، يميل إلى هـذه القاعـدة في غياب الـدين والضمير والخوف من العقاب الأخروي.
ولا يخفى أن مكروب الفُرقـة سـريع الانتشار وسـريع النفوذ إلى النفس البشـرية. إذ كل إنسان يُعِدُّ نفسه أفضل وأحسن من غيره، وكل شعب يرى نفسه أفضل من الشعب الآخر.
وبعض الناس يرون أن الشـخص الرفيع المسـتوى إنما تسـنّم هـذه المكانـة الرفيعـة بالاحتيال وبالطرق الملتوية، وقليلٌ من يعقل الأمور، وقليلٌ من يقدّر الظروف حقّ قدرها، وقليلٌ من يعلم أنّ الفرقة تعود بالسوء على المفرّق نفسه، فهو أول ضحايا الفُرقة.
على عكس التوحيد، فإنه عمل صعبٌ وشاق، بل إن الأصعب أن يلتزم الإنسان موقف الحياد بين الأطراف المتنازعة.

من تجاربي الشخصية

وقـد قمت بنفسـي بتجربـة ذلك في حياتي؛ ففي جميع الهيئات والتجمعات التي شاركت فيها، كنت أرى الاتجاهات المختلفة في هذه الهيئات، وكل اتجاه ينسب لنفسه الحق، وكان هؤلاء يأتون إليّ ويطلبون مني في الخفاء مقاطعة الاتجاه الآخر أو عدم الاعتناء به.
وكثيراً مـا كـان بعض أولئـك يـدعونني لأـن أقف إلى جـانبه في التظـاهر ضـد التيـار الآـخر، أو طرد ممثلي ذلـك التيار من الهيئـة أو الجمعيـة، وإذا تباطـأت في الامتثـال لأمـانيهم، كـانوا يظهرون البرود نحوي وأحيانـاً كـان بعضـهم يهـاجمني بـل ويقف مني في بعض الأحايين موقف الخصم.
هكـذا كانت حالتي وموقفي صـعباً للغايـة. فإذا ذهبت إلى بيت أحد الأطراف، كان الطرف الآخر، ينزعج مني، وإذا أعنت أحدهم في مشروعه، أو رحّبت به في مجلس أو ندوة كنتُ ألاحظ علامات الامتعاض على وجوههم.

وهكـذا كان الأمر، إذا ما أقـدمت علی تعیین أحد الإخوة فی إحدی المؤسـسات وكان هذا الآخر ینتمی إلی طرف، كان أفراد الطرف الآخر یشتدُّ امتعاضهم منی. كذلك إذا ما أبدیتُ تعاطفاً نحو مدرسة دینیة تابعة لطرف من الأطراف، حیث كانت مدارس علمیة كثیرة فی كربلاء یومذاك أو إذا لم أكن أبدی التعاطف الزائد لمدرسة تابعة إلی جهة أخری.

وفی بعض الأحیـان، كـان یقع نزاع بین طـالبین، فكـان كـل واحـد منهمـا، یطلب منی أن أقطع راتب مناوئه، وإذا لم أفعل أبـدی فتوراً نحوی. لذا كنت دائماً أقف موقف المسالم، وأتبنی موقف الحیاد إن لم أكن أسـتطیع الإصلاح، كل ذلك مع العلم أنی لم أكن سوی فردٍ لا یملك سلطة أو مالاً أو مقاماً.

الأصفهانی وثقافة الوحدة

نقـل لی أحـد الثقـات من وكلاء المرحوم الإمام السـید أبی الحسن الأصـفهانی رحمـة الله علیه، أنه كان وكیلًا عنه فی إحـدی المُـدن العراقیة، وذات یوم جاءه تاجر وأعطاه ثلاثمائة دینار، وقال: ادفع هذا إلی السید إذا ذهبت إلی النجف وائتنی بالوصل، وكان ذلك فی شهر ذی الحجة الحرام.

قال الوكیل: وبعد أیام صادف أن شاهدتُ التاجر فی مكان ما وإذا به یُسلِّم علیّ، ویقول لی: إنی أشـكرك علی إسـراعك فی إیصال الحقوق الشرعیة للسید، ثم أخرج من جیبه الوصل وكُتب علیه بخط السید وتوقیعه: إن المال قد وصل بیده عن طریق وكیله فلان.

قلت للتاجر: وكیف حصلت علی هذا الوصل؟

قال: كانت لنا جنازة فذهبت إلی النجف الأشرف لدفنها ولقیت السید فی الطریق وأخذتُ منه الوصل.

قال الوكیل: فقلتُ للتاجر: وهل لك أن تعطینی الوصل؟ قال: لا بأس وأعطانی إیاه.

وقد امتلكتنی الدهشة: كیف أن السـید أعطاه الوصل لمبلغ لم یصل إلیه، وبعد أیام وفی شـهر صـفر الخیر سافرت إلی النجف الأشرف وتشـرفت بزیـارة السـید فی بیته، وبعـد أن تفرّق الناس من حوله، أخرجتُ من جیبی الوصل وأعطیته للسـید وقلت له: هل هـذا خطكم وتوقیعكم؟

قال السید: نعم.

قلت: ومن أعطاكم المبلغ؟

قال السید: لم یصلنی المبلغ.

قلت: فكیف كتبتم الوصل؟

قال السید: لیس هناك فرق بین یدك ویدی.

ثم أضاف السید: إن التاجر جاء عندی وقال: هل وصلك المال؟

قلت له: أی مال؟

قال: المال الذین أرسلته بید الوكیل الفلانی، وكان قدره كذا.

قلتُ له: وهل تُرید الوصل؟

قال التاجر: نعم، ولذا كتبت له هذا الوصل.

قال الوكیل: فقلت للسید: لماذا لم تقل للتاجر إن المبلغ لم یصلنی بعد؟.

قال السـید: خشـیت أن تضـعف ثقته بك، ومن جراء ذلك تضـعف ثقته بكل عالم. ثم قال السـید: قلتُ فی نفسـی: إنه إما أن تعطینی المال، فقـد أدیت ما علیك. وإذا لم تعطنی فإنك بحاجة إلی المبلغ علی ذلك التقدیر ولا فرق بین اسـتلام المبلغ بنفسـی وأدفعه إلی المحتاجین أو تستلمه أنت وتسدّ به حاجتك وحاجة غیرك.

قال الوکیل: فتعجبتُ من تـدبیر السـید، وثقافته الدینیـة العالیة، وحکمته، وعمق نظره، وبُعد رأیه، ثم أخرجت المال وقدمته إلیه، فأخذه السـید وأعطـانی نصـفه، وکنتُ محتاجـاً إلیه فعلاًـ وکلّمـا ألححت علیه بعـدم أخـذ النصـف، لم یـوافقنی قائلاًـ: لابـدّ وأن تکون لک مصاریف ونفقات عائلیة أو اجتماعیة، والأفضل أن تنفقها فی مواردها.

وهکذا کان السید، یحفظ کرامة الدین، وکرامة وکلائه، ویُراعی وحدة الصف وتماسک المجتمع.

العمل من أجل الوحدة

بعض الناس وهم البسطاء یظنون أن توحید الصف ولو علی مستوی محدود، یمکن تحققه بمجرد القیام ببعض الأعمال الیسیرة، وهذا وهمٌ وخطأٌ محض وناتج عن فقدان معرفة الحیاة والبصیرة بأحوال الآخرین وبقضایاهم الاجتماعیة.

إنّ توحیـد الصف لیس مُعلقاً فی الفراغ بل هو کسائر الأمور الاجتماعیـة، یحتاج إلی مسائل کثیرة، منها: التدبیر والدعایة والخلق الرفیع وإنفاق الأموال والرعایة والحزم، إلی غیر ذلک من المسائل.

فلننظر إلی رسول الله محمـد صـلی الله علیه و اله، کیف أوجـد وحـدة المسـلمین بالأخلاـق والمـال والتبلیغ والمعاهـدات مع الأعـداء، وإعطاء المؤلفة قلوبهم، والإصلاح بین المتنازعین، ورعایة الأمور والأحداث بدقّة وحزم.

قال أحـد العلماء: لقد اسـتفدت شخصـیاً من هذه الخطوة قدر المسـتطاع فی مشاریع مختلفة، ونجحتُ إلی حد بعید فی توحید الصف، فکنت أبذل المال للصدیق والمناویء، وأبذل الهدایا وأضیّف خصومی، وأدفع بالتی هی أحسن، وأذهب لزیارة من لا یستحق، وکنت أعطی بعض أعضاء جهاز الأمن الراتب الشهری دفعاً لضررهم.

ویُضـیف هـذا العـالم: إننی لا أذکر ذلک لـداعی الفضل والمفخرة، بل أریـد أن أشـیر إلی أنَّ تجاربی الشخصـیة قادتنی إلی الحقیقیة التالیة: أنَّ العمل الوحدوی لیس معلّقاً فی الفراغ.

ویواصل هذا العالم: ذات مرة اطّلع أحد الأصدقاء أنی أعطیت مالاً لأحد، وهو یواجهنی بعداء شدید فتعجب، وقال لی باستغراب: بأی قانون تعطی المال لهذا؟!.

قلتُ متبسماً: بقانون کُل والعن، ثم نقلتُ له القصة التالیة:

کُلْ والعنْ

قـال لی أحـد الخطبـاء: اسـتدعتنی دائرة الأـمن فی إحـدی البلاد، وقـدَّمت لی مبلغاً من المال، ثم قال رئیس دائرة الأمن: وقّع أنَّ المال وصل إلیک.

قلتُ: لا أوقّع. قال: لا بأس بـذلک، ولکن امـدح رئیس الدولـة من علی أعواد المنبر. قلتُ: لا أمـدح أحداً. قال: أشـر إلی إنجازاته ولو بدون ذکر اسمه. قلتُ: لا أفعل. قال: إذاً فأکرمنا بسکوتک، ولا تذکره بشرّ. قلت: لا أغیّر طریقتی.

قـال رئیس دائرة الأـمن: إذاً، بـأی عنوان تأخـذ المـال؟ قلت: بعنوان «کُـلْ والعن» آکـل ماله وألعنه. قال الخطیب: فقهقه الرئیس، وقال: لابأس.

ثم أردف العالم لمن اعترض علیه: إن الإمام علی علیه السـلام کان یعطی المال للخوارج متأسـیاً برسول الله صـلی الله علیه و اله، حیث کـان یعطی المـال للمؤلفـة قلوبهم متخلقـاً بأخلاق الله سـبحانه وتعالی، حیث ورد فی الـدعاء: (عادتک الإحسان إلی المسـیئین)()، ثم قلتُ: ألا تری، إنّ فلاناً یخفف من عدائه إذا أخذ منی المال، إنه کان یقف بوجه مشاریعی لکنه بعد أخذه المال أصبحت مواجهته لی بنسبة ۵۰٪ بعد أن کانت ۱۰۰٪، وفی هذا ربحٌ کبیر.

قال العالم: وهکذا، فقد خفّف الرجل من موقفه ضد مؤسساتی وأراحنی من مشکلات جمّة.

إنّ الوضع المتردی للمسلمین محزنٌ جداً، فأعداء الإسلام مسلطون، وهم یشنّون الحروب والانقلابات فی کل مکان.

کما وأن إمکانات المسلمین علی کثرتها، تذهب هدراً، والانشقاق والنزاع قائم فی کل مکان علی قدم وساق، والفقر والمرض والجهل والفوضی، تغزو قطاعات کبیرة من المجتمع الإسلامی، کما وأنّ المنکرات متفشیة فی کل مکانٍ بأبشع الصور، والقوانین أصبحت غیر إسلامیة، أمّا المصلحون فقد کُمّت أفواههم وکُبلت أیدیهم (عالمها ملجم، وجاهلها مکرّم) علی قول المثل.

أمّا الجهة الدینیة المتمثلة بعلماء الدین والمتدینین، فهم مهانون ومطاردون إلی حد کبیر، بینما الأجواء أصبحت ملائمة ومناسبة لأعداء الإسلام من الملحدین والصلیبیین والصهاینة، فالإصلاح وتوحید الکلمة والتغلب علی السلبیات وزرع الأمل فی النفوس وإیجاد الوعی بحاجة إلی جهود وجهاد طویل.

وإنِّی لأظنُّ أن الأولیات التی نحتاجها فی هذا الصدد هو الإعلام والتثقیف، فمن أجل التخفیف من غلواء العداء السافر، لابدّ من توزیع ملیار کتاب فی العالم بمختلف اللغات ولمختلف المستویات. فی هذه الکتب لابدّ من تبیان ماهیة الإسلام، وماهیّة أعداء الإسلام.

دور المؤسسات فی الحیاة

کما ولابُدّ من تأسیس ملیون مؤسسة دینیة کالمساجد والحسینیات والمستشفیات والمدارس والمکتبات والجرائد والنوادی، ویجب إقامة ما لا یقل عن ملیون منظمة، ینتظم إلیها المسلمون، وفیها یتمّ استثمار طاقات الأفراد، وتقوم هذه المنظمات بأعمال سیاسیة وثقافیة واجتماعیة.

فلابُد من إیجاد منظمات تخصصیة للقیام بأعمال محددة.

مثلًا: منظمة لتشغیل العاطلین عن العمل.. ومنظمة لتزویج العزّاب.

ومنظمة للتنظیف.. ومنظمة لتجمیل المدینة.

ومنظمة لجمع المال.. ومنظمة للإصلاح الاجتماعی.

ومنظمة لتفعیل الاقتصاد وتصنیع البلاد.

ومنظمة لمکافحة المنکرات.. ومنظمة لتربیة الکوادر.

ومنظمة للتفکیر والإعداد للمستقبل.

وکان المسلمون فی السابق، یعملون علی شکل منظمات، فالفرد المسلم کان فی تعاونه ومؤازرته للآخرین منظمة بحد ذاته، ویومذاک تقدم المسلمون أشواطاً کبیرة إلی الأمام.

وتنبع أهمیة تشکیل هذه المنظمات هو أننا بحاجة إلی تجذیر تکویننا الحضاری علی أرض صلبة، والبناء لا یقوم إلّا علی أساس متین، کما وأنّ الشجرة لا تقوم إلّا بجذورها والحرکة لا تکون إلّا بخلفیة متینة کذلک؛ فإنّ الله سبحانه وتعالی قد أبی أن تجری الأمور إلّا بأسبابها().

وما ذکرناه قلیل بالنسبة إلی عوامل الهدم التی یمارسها الغرب() والشرق ضد المسلمین. فمثلًا فی سنة واحدة طبع الاتحاد السوفیاتی خمسین ملیون کتاب فی أربعمائة وثمانین لغةً عن حیاة لینین().

أما (ماوتسی تونغ)()، الرئیس الصینی السابق، فقد صنعوا له من التماثیل بعدد سکان الصین کما ذکرت ذلک مجلة الحوادث اللبنانیة.

فهل یمکن أن یتم النهوض فی العالم الإسلامی بدون وجود تشکیلات ومنظمات وکتب ومدارس وما أشبه؟!

نموذج الوحدة

ضرب الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله أروع الأمثلة فی الوحدة، فمن أراد الوحدة الإسلامیة فلیستعن بتراث الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله فی هذا المضمار، فإنه صلی الله علیه و اله استطاع أن یجمع الناس بکل الوسائل الممکنة، بالمال والأخلاق والمعاهدات. فتارة بالترهیب والتحذیر، وطوراً بغرس روح الفضائل فی أصحابه.

وكان رسول الله صلى الله عليه و اله قد أعطى كل تجمع دوراً سياسياً واجتماعياً، مع علمه الكامل بما تضمره نفوسهم ودخائل أمورهم، وبذلك استطاع خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه و اله إدارة الأمور على أحسن وجه، ولمَّ الشعث مهما كلَّفه ذلك من الثمن.

وقد يتساءل من لا اطلاع له ويقول: لماذا لم يفعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك وهو الذى عاصر الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله وكان أقرب الناس إليه وهو تلميذه، وقد رأى كيف عامل الرسول صلى الله عليه و اله أعداءه، أما كان الأفضل لأمير المؤمنين عليه السلام أن ينتهج النهج نفسه، حقناً لدماء المسلمين، وحفاظاً على وحدتهم؟.

الجواب: إن عمل الإمام عليه السلام كان امتداداً لعمل الرسول صلى الله عليه و اله، فلو كان الرسول فى مكان أمير المؤمنين لفعل الفعل نفسه.

لقد كان عملُ الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله هو تأسيس الدولة والمجتمع الإسلاميين، والتأسيس بحاجة إلى جمع الأفراد، فالكثرة العددية ذات أهمية بمرحلة التكوين، فقد كان رسول الله صلى الله عليه و اله يكتفى بشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، حتى لو كان المتشهد متناقضاً مع نفسه. وكان رسول الله صلى الله عليه و اله يغض طرفه عن أخطاء وتجاوزات أصحابه، فلو لم يفعل ذلك لكان أكثر الناس فى صف الكافرين، ولتكاتفت أيدى الأعداء ضد الإسلام، وقضت على الحركة الوليدة وهى فى مهدها.

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد قام بثورة تصحيحية إن صح التعبير لتصفية ما علق بالإسلام خلال عقدين من الزمان. فالإسلام قد ترسَّخ فى نفوس الذين أحبوا الإسلام، والذين لايريدون الإسلام كان عليهم أن يحددوا موقفهم، فإذا كانوا معادين للإسلام، فالمواجهة هى الأسلوب الأمثل معهم، أما إذا لم يشهروا العداء ضد الإسلام، فالإسلام يحترمهم، ويحترم حقوقهم.

فكانت حركة أمير المؤمنين عليه السلام حركة تصحيحية لإزالة الأدران عن الجسد الإسلامى، ولو لم يفعل ذلك لبقى الجوهر والحصى مخلوطاً، ولفقد المسلمون الرؤية الصحيحة للإسلام.

فلو لم يفعل أمير المؤمنين عليه السلام ما فعله، لكنت قد رأيت المؤمن والمنافق، وأرباب الدنيا وأرباب الدين، وعباد الله وعباد الشهوات كلَّهم فى صفٍ واحدٍ، ولكان معاوية() بن أبى سفيان..

والمغيرة بن شعبة() قدوات للمسلمين.

ولما كان هناك فرقٌ بين أبى ذر الغفارى()..

وعمرو بن العاص()..

فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخلال السنوات القليلة من حكومته أن يضع فاصلًا بين الناس الخيرين والناس الأشرار، وأن يفصل بين من على شاكلة أبى ذر الغفارى ? ومن على شاكلة عمرو بن العاص.

أما فى زمن رسول الله صلى الله عليه و اله فقد كان إعلاء كلمة الإسلام هو الهدف الأسمى فى قِبال كلمة الوثنيين التى كان لابدَّ من إسقاطها وزوالها، وفعلًا لم يذهب رسول الله صلى الله عليه و اله إلى بارئه حتى أزال كابوس الوثنية، وأقام صرح التوحيد، وفى زمن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن هناك خوف على كلمة التوحيد، ولم يكن هناك خوف على الموحّدين، حيث ترسخت جذور التوحيد فى نفوس المسلمين.

وفى عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حان الوقت الذى يجب فيه تمييز الشرير عن الخيِّر.

إن إعلان رسول الله صلى الله عليه و اله الحرب ضد أبى سفيان()..

وعمرو بن العاص..

وخالد بن الوليد()..

كان سيؤدى حتماً إلى تضعضع المسلمين ممّا يُنتج تقوية جبهة الوثنيين.

أمّا فى عهد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن هناك خوف من نتائج هذا الصراع، فكان على الإمام أن يقف ليكشف زيف المزيفين

حتی يعرف المسلمون الدين الصحيح ويميزونه عن الدين المزيف.

وما معاوية بأدهی منی

أما قصة دهاء معاوية، ونعت أمير المؤمنين الإمام علی عليه السلام بالضعف السياسی فهذا كلام الأعداء وكلام من لا يعرف علياً عليه السلام، ولا يدرك حقائق الأمور، فعلیٌّ عليه السلام كان رجلًا سياسياً من طراز الإسلام()، أمّا معاوية فقد كان رجلًا سياسياً من طراز الدنيا() وهنا تكمن الفروقات فی سياسة علی عليه السلام وسياسة معاوية.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يتحرك بأفق أوسع من أفق معاوية الذی كان لا همّ له سوی أن يعيش لأيام معدودات فی بحبوحة من العيش الرغيد.

ولذا وجدنا علياً عليه السلام يبقی خالداً فی النفوس بينما ذهب معاوية إلی سلّة المهملات، تلاحقه اللعنة الأبدية حتی من عشيرته وقبيلته().

فهل هذه هی السياسة؟!

اللعنة الأبدية التی تلاحقه مدی الدهر، أم التفاخر به علی كل لسان؟

لقد تمكن علیّ عليه السلام من امتلاك القلوب، ولم يكن هناك أذكی منه فی امتلاك القلوب إلّا رسول الله صلی الله عليه و اله، وبعد شهادته جاء أبناؤه وأبناء أبنائه، وشكلوا الحكومات تلو الحكومات فی المغرب ومصر والكوفة وطبرستان.

لقد استطاع معاوية أن يعبّئ أهل الشام؛ ليسبُّوا علياً عليه السلام، فسبُّوه طيلة حكمه()..

وحكم من جاء من بعده() حتی عهد عمر بن عبد العزيز()، لكن ماذا حدث بعد ذلك؟ هل نقص شیءٌ من علی عليه السلام؟، لقد ارتفع سبّ علیّ عليه السلام وحلّ محله الثناء والتبجيل، والملاحم الشعرية التی قيلت فيه، لكن ماذا كان مصير معاوية؟. لقد تحوّل إلی مسبَّة حتی يومنا هذا().

علی أیّ حال: فإنّ الإمام عليه السلام نفّذ دوره الذی أراده له الله سبحانه أن ينّفذه، واستطاع أن يفصل بين الخير والشر، بين النور والظلام، بين الصدق والكذب، وبين العدل والظلم، بينما معاوية لم يستطع أن يحقق حلم أبی سفيان بتأسيس الدولة الأموية القوية التی تستمر إلی آخر الدهر().

استطاع معاوية بالدهاء أن يحقق بعض المكتسبات الدنيوية المادية إلّا أنّه خسر كلَّ شیء، وأصبح لعنة إلی آخر الدهر.

فإذا كان مقياس النجاح والفشل هو بقاء الذكر الحميد فإنّ معاوية قد خسر معركته مع أمير المؤمنين عليه السلام الذی لازال ذكره يعلو فوق الأسماء، بل إنه خسر معركة الحياة.

أما عن شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كانت شهادته تتمة للأدوار التی قام بها فی حياته، فقد كشفت شهادته زيف الدعايات الأموية المضللة، كما وأنّ الموجة العاطفية التی أوجدتها شهادته، كان لها فاعلية فی الارتباط بالإمامة؛ حيث إنّ القائد بحاجة إلی العقل والعاطفة، والإمام عليه السلام بشهادته كوَّن أعظم عاطفة حول نفسه.

أمّا ما عُرف عن الإمام عليه السلام بشكواه من أهل العراق ومن أصحابه() فهو ليس دليلًا علی ضعف سياسة الإمام، بل جاءت هذه الشكوی بمثابة الإدانة لأهل الشر، وهو جزء من سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فی الكشف عن النماذج البشرية الخيِّرة والشريرة، فقد استخدم أمير المؤمنين عليه السلام كلا الأسلوبين: الكلام والعمل؛ للكشف عن المتخاذلين عن أداء التكليف الشرعی مع الإمام عليه السلام.

فالكلام يُفسر بمرماه لا بمعناه، ولذا لا يُفسر قوله تعالی: وَمَنْ كَانَ فِی هَذِهِ أَعْمَی فَهُوَ فِی الآخِرَةِ أَعْمَی وَأَضَلُّ سَبِيلًا ()، بالعمی الظاهری، وما قلناه ليس إلّا ضمن المقارنات الزمنية، أما نحن فنعتقد أن علياً عليه السلام كانت له جهة ملكوتية، فلا يعمل عملاً، ولا

يتكلم بكلمة إلاّ عن إرادة الله سبحانه:

عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ? لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ().

ثمّ إنَّ حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: حياته في عهد رسول الله صلى الله عليه و اله، وفي هذه المرحلة قام الإمام عليه السلام بمساعدة ابن عمه الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله في هدم بنيان الكفر، حتى إنَّ أحد علماء السنة قال شعراً:

ألا إنما الإسلام لو لا حسامه

كعفطة عنز أو قلامة ظافر

أمّا أولئك الذى يعتِّمون على دور الإمام عليه السلام في غزوات رسول الله صلى الله عليه و اله فهم جاهلون لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، أو متجاهلون نواصب.

ومثلهم مثل من يأخذ بفقه أبي حنيفة()، وينسى تشريع رسول الله صلى الله عليه و اله، (فلولا سيف على لما قام للإسلام قائمة) () كما قاله رسول الله صلى الله عليه و اله.

القسم الثاني: حياته عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و اله، فقد قضاها أمير المؤمنين عليه السلام بالعمل الدؤوب لتصحيح الوضع الإسلامي. وكان مما قام به في هذه المرحلة:

١: نسف الانحراف ديناً ودنياً المتمثل بحرب الجمل أي الحرب مع الناكثين.

٢: مواجهة حالة الإفراط في الدنيا، وهي المتمثلة في حرب صفين، وهم القاسطون من أعوان معاوية طلّاب الدُنيا.

٣: مواجهة الإفراط في الدين المتمثل في النهروان، وهم المارقون().

وقد أدى الإمام عليه السلام جميع تلك الأدوار، بإخلاص حتى أصبح قدوة حسنة.

وكانت هذه الساحات الأربعة التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام هي سلسلة واحدة، فلو لم يقم الإمام عليه السلام بدور واحد من هذه الأدوار، لجاءت حياته ناقصة ولاحتاج الإنسان إلى قدوة أخرى، تبيّن له الدور الذي لم يكمل.

العلماء وأخلاق الوحدة

يحكى عن المجدد الشيرازي رحمة الله عليه أن رجلاً طلب منه بعض المال؛ ليقضي به حاجته، وبما أنه كان ينوي الذهاب إلى بغداد، وكان هذا الشخص يسكن مدينة بغداد، فطلب منه أن يعطيه حوالة لأحد التجّار؛ خوفاً من ضياع المال في الطريق.

واستجاب المجدد الشيرازي لطلب هذا الرجل وكتب له حوالة بثلاث ليرات عثمانية إلى أحد التجّار في بغداد، وقام الرجل بتزوير الحوالة بوضع نقطة أمام الرقم ثلاثة، ليصبح المجموع ثلاثين ليرة، وجاء بالحوالة المزوّرة إلى التاجر، إلّا أن التاجر استغرب من مبلغ الحوالة، فشكّ فيها، لذا استمهل الرجل حتى يهيئ المال.

أخذ التاجر الحوالة، وبعث بها إلى المجدد، يسأله عن مقدار المبلغ، أعاد المجدد الحوالة إلى التاجر وقد أمضى على المقدار وهو ثلاثين ليرة.

وهكذا أخذ هذا الشخص ثلاثين ليرة بدلاً من ثلاث ليرات، وهو لايعلم بما دار بين التاجر والمجدد.

وبعد أيام ذهب هذا الرجل إلى سامراء، حيث قابل المجدد فأمره بأن ينتظر حتى يفرغ المجلس، ولمّا فرغ المجلس انفرد المجدد بالشخص وقال له بلسان المعاتب: هل تجوز السرقة من الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، ألا تعلم أنّ المال هو مال الإمام المهدي عليه السلام، فانفعل الرجل انفعالاً شديداً، عندما عرف أن السيد على اطلاع بما فعل. فلم يستطع أن يُجيب.

ثم واصل المجدد الشيرازي كلامه للرجل: إنّي حفظت ماء وجهك وصدّقت على الثلاثين، ولكن هل كان تصرُّفك صحيحاً؟

هذه نبذة من أخلاق العلماء الذين استطاعوا بواسطتها أن يجمعوا الصفوف، فيقرّبوا البعيد.
وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: آلة الرئاسة سعة الصدر ()،وهذا الكلام مطلق وهو يشمل كل أقسام السعة، سعة الصدر فی البذل، سعة الصدر فی الستر على الناس، سعة الصدر فی الحلم، سعة الصدر فی تحمّل أذى الناس، سعة الصدر فی الصبر.. وهكذا.

وللنظرات تفسير

نقل لی أحد المثقفين أنه ذات مرّة زار أحد مراجع التقليد فی داره، وكان الرجل المثقف يُقلّد ذلك المرجع لكنه ومنذ تلك الزيارة ترك تقليده بسبب نظرة استغراب، وجّهها إليه المرجع ولم يعرف هو تفسيرها.
أقول: لكننی فهمت معنى ومفهوم تلك النظرة، وإنی لأقطع أنها من أجل غاية صحيحة.

مداراة الناس

وسمعتُ أنّ عالماً لم يعطِ يده لمقلدٍ له أراد تقبيلها، فعدل ذلك المقلد عن تقليده له.
وعالمٌ آخر أبعد مقلداً له فی يوم ممطر، لئلا يقبّل يده؛ احتياطاً وخوفاً من الطهارة والنجاسة، فترك ذلك المقلِّد تقليده.
وهناك قصص وقصص، وهی كلُّها تعطی الإنسان دروساً بليغةً فی آداب المعاشرة والسلوك وحشد الصفوف، منها:

حذاء يحوّل الصديق إلى عدوّ

جاءنی اثنان يتنازعان على (حذاء)!، وكان أحد المتنازعين صديقاً لی، والآخر ليست بينی وبينه صداقة، وقد رأيتُ أن الحقَّ مع الثانی، فأعطيتُه الحقَّ، ولم أكن أعلم أن هذا الحكم سيغيظ ويُغضب صاحبی وصديقی، وبسبب ذلك قاطعنی مقاطعةً صارمةً، وانقلب يهاجمنی كأنَّه عدوٌّ لدودٌ، وظل على موقفه حتى يومنا هذا، وقد مرّ على الحادثة ما يقارب العشر سنوات، لو كنت أعلم أن الأمر سيصل إلى هذا الحدّ، لكنت على استعداد أن أمنحه ثمن الحذاء من جيبی الخاص، وهو لا يساوی يومذاك أكثر من نصف الدينار.

من الصداقة إلى العداوة

كان لی صديقٌ آخر من الكسبة، يعتقد بی ويقلّدنی ويدفع لی الحقوق الشرعية وكان عضواً فی بعض مؤسساتنا الخيرية، وذات مرة وقعت منازعة بينه وبين زوجته، وحضرا عندی لحل هذا النزاع، فقلت له: إن كان الحقُّ مع زوجتك فاللازم أن تتنازل، وإن كان الحقُّ معك، فعلى الرجل مسؤولية إدارة زوجته؛ لأنّ الله تعالى يقول: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ().
ثم نصحتهما قائلًا لهما: إنی لأرجو أن تجتمعا ثانيةً على ما كُنتما عليه، وقبلا النصح ورجعا إلى حالتهما الطبيعية، لأنَّ النزاع بينهما قد حصل لأمورٍ تافهة. ثم تبين أنَّ الرجل المذكور ثارت فی نفسه فيما بعد ثورة عنيفة. من كلمتی (إن كان.. وإن كان)، وتبين لی أنّهُ كان يُريد أن أقول له: إنَّ الحق معك مائة فی المائة، وكان هذا اللقاء هو آخر لقائی به وانتهى معه عمر صداقتنا، وكان أيضاً آخر يوم من عضويته فی مؤسستنا. ثم إنّه لم يكتف بهذا القدر بل صار فی صف المناوئين المهاجمين، وهو كذلك إلى يومنا هذا، وقد مضى على الحادثة حتى الآن زهاء سبع سنوات.
وهناك قصص كثيرة أخرى وقعت لی فی المجتمع، وكلما وقعت لی حادثة من هذا القبيل كنت أقول لنفسی: إننی لازلت فی أول الطريق فلم أصل إلى عمق المجتمع، مع العلم أنی كنت أتجنَّب الكلمات الغليظة وأستعين دائماً بالعبارات اللينة.

كيف نفهم المجتمع؟

وهناك قصة واقعية أخرى أسردها؛ لكي تدركوا مدى ضآلة عقلية بعض الناس، لقد كنتُ في محضر بعض المراجع، فجاءه شخصان، يتنازعان حول (بئر بالوعة)، وكان كل طرف يدّعي أن البالوعة له. وكنت أعرف أحدهما أنّهُ متدين وخيّر ويحب الصلاح، وتحدث كل واحدٍ منهما فأدليا بأدلتهما وحججهما.

وأخذ المرجع يشرح للرجلين شرحاً حيادياً: إنه إن كان كذا، فالبئر لهذا، وإن كان كذا، فالبئر لذاك، ولم يحكم العالم بشيء، وإذا بهذا الإنسان الذي كنتُ أعرفه بالصلاح، يقول بالحرف الواحد: (إنْ كان الإسلام يحكم بأن البئر له، وليست لي، فأنا بريءٌ من هذا الإسلام)!.

وأضاف إلى حديثه كلمات كفر؛ لا أريد نقلها.

وهنا يستطيع الباحث أنْ يكتشف السبب الكافي خلف المقاصد الذاتية لبعض الأفراد على غرار (شهيد الحمار)، و(شهيد أم جميل)()، وسائر الذين كانوا يرتدّون لأتفه الأسباب، أو الذين جاؤوا لقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام من أجل حفنة من المال. فليس غريباً أن تنقلب الصداقة إلى عداوة من أجل حذاء، أو بسبب كلمة، ولا عجب أن يتبرأ الإنسان من دينه بسبب بالوعة، فلا عجب في ذلك.

لو كنت أعلم الغيب

حصل لي مع صديق كان يُقلدني، ويعطيني الحقوق الشرعية، ويحضر صلواتي في الأوقات الثلاثة، ويدافع عنّي أشدّ دفاع، وكنت أمرُّ على دكانه في طريقي إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام. وذات مرة مررتُ به فسلمتُ عليه على عادتي إلاّ أنّهُ ردَّ سلامي بفتور، وقد حملت فعله هذا على خير، لكنني سلمت عليه مرةً ثانيةً وثالثةً ورابعةً، وكررتُ السلام؛ في كلِّ مرة كنتُ أمرّ فيها على دكانه، وكان يتلقاني بنفس الفتور السابق، فتعجبتُ من أمره لأني لاأعرف أنني قصّرتُ بحقِّه، فرأيت أحد أصدقائي؛ فطلبت منه أن يذهب إليه، ويسأله عن سبب هذا الفتور؟.

وبعد مدّة جاء الصديق، وقال: نعم، إنّه ممتلئٌ منك غيظاً.

قلت: لماذا؟!.

قال: لأنه أقام مأتماً حسينياً في بيته ولم تحضره.

قلت: ولكنني لم أكن أعلم بوجود المأتم، فهل أخبرني حتى يلومني على عدم الحضور؟!.

قال الصديق: قلتُ له ما ذكرته لي إلاّ أنّه ردَّ قائلاً: صحيح إني لم أخبره، ولكن لماذا هو لم يعلم بوجود المأتم؟!

فيا للعجب! هل أعلم الغيب؟ أو عندي أجهزة تنصُّت تكتشف المآتم قبل وقوعها؟.

وطالت فترة ابتعاده عني، إلى أن اكتشف أن الخطأ منه وليس مني، فعاد إليّ معتذراً وتحسنت الصداقة بيننا وبينه، وجزاه الله خير الجزاء.

مقابلة الهجر بالإحسان

كنت أمرّ على صاحب دكان في طريقي إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، وأسلّم على صاحبه كما كانت عادتي في السلام على صاحب كل دكان يقع دكانه في طريقي، وذات مرَّة سلمتُ على صاحب الدكان، وإذا به يصرف وجهه عني ولا يُجيب، وتكرَّرت القصَّة مرّات ومرّات حتى تأكدت أنه لا يريد الإجابة على سلامي، ولم يكن بيني وبينه صداقة حتى أبعث إليه برسول يستفسر منه عن السبب، لكنني واصلت السلام، وهو واصل تجاهله للردِّ على السلام.

فتأمّلت كثيراً، وفكرت بعدم السلام عليه، لأنَّ سلامي عليه ليس بواجب وإني أحمّله تكليفاً شرعياً في الرد على السلام، كما أن عدم

رده للسلام بمثابة الإهانة لی، وأنا أفکر فی تغییر موقفی منه وإذا بی أتذکر قول الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام حیث قال: (لا یکونن أخوک علی قطیعتک أقوی منک علی صلته)(). وتذکرت قول الإمام السجاد علیه السلام فی دعاء مکارم الأخلاق: (وسددنی لأن أعارض من غشّنی بالنصح وأجزی من هجرنی بالبرِّ)()، ولذا أخذتُ أکرّر قول الإمام علیه السلاممرّات ومرّات وأسلم علیه حتی استحیا وأجاب ببرود، ثم بعد مدة أجابنی بحرارة قلیلة. وهکذا حتی رجع إلی سابق عهده.

ولمّا استفسرت عن حاله، قیل لی: إن شیوعیاً من أصدقائه أثرّ علیه وحوّله ضدی، لکن إصراری علی السلام أعاده إلی رشده؛ لأنه کشف له عن عظمة الإسلام.

العلماء فی مواجهة الإلحاد

استغلّ الشیوعیون انقلاب عبد الکریم قاسم()؛ فقفزوا إلی السلطة، وسیطروا علی المراکز الحساسة فی الدولة، وشرعوا فی القیام بأی عمل مخالف، للشرع والعقل والقانون؛ فقتلوا خصومهم وسحبوهم فی الشوارع وهَتکوا أعراض الناس ونهبوا الأموال، وقام عبد الکریم قاسم بفسح المجال أمامهم؛ لأنهم ادَّعوا حمایته من عبد الناصر()، ومن الأحزاب القومیة الموالیة له، هذا أولاً، وثانیاً أراد عبد الکریم بمؤازرته للشیوعیین أن یُفهم الغرب أن الشیوعیین سند له حتی لا یقوم الغرب بانقلاب ضدّه هکذا کان یقول الناس . وثالثاً أراد عبد الکریم أن یکسب ودَّ الاتحاد السوفیاتی، ویحظی بحمایته له من خلال دعمه للحزب الشیوعی فی العراق.

هذا فی الظاهر، أمَّا فی الحقیقة، فإن حکم عبد الکریم قاسم لم یکن إلاّ حکماً إنجلیزیاً برداء من الشیوعیة، وذلک لإخراج أمریکا من المنطقة.

وقد ذکر ذلک سفیر بریطانیا فی مذکراته، ونقلتها مجلة الحوادث اللبنانیة، والموضوع لا ـ یستحق الإطالة؛ لأنه لیس فی صلب موضوعنا()، لکن ما نرید أن نقوله: إن أحد أسباب التفرقة هو طغیان الإلحاد والفساد فی العراق طغیاناً هائلاً، وقد فکّر والدی رحمة الله علیه فی التصدّی لهذا الطغیان والفساد بما یستطیع، وبأمر منه شکّلنا وفداً من علماء وخطباء کربلاء المقدسة وذهبنا إلی النجف الأشرف، والتقینا بجمع من العلماء والخطباء، ودعوناهم إلی توحید الجهود لصدّ التیار الإلحادی، وکانت النتائج کما أردناها.

ومرةً ثانیة، أرسل والدی وفداً إلی النجف الأشرف؛ لزیارة السید الحکیم رحمة الله علیه() وداعیاً إیاه لزیارة کربلاء المقدسة؛ لأجل توحید الجهود، وتکتیل الطاقات فی مواجهة السلطة، ولإثارة الناس ضد الحکم وأعوانه، وقد لبّی السید الحکیم رحمة الله علیه هذه الدعوة فجاء إلی کربلاء واستقبلناه استقبالاً جماهیریاً کبیراً، وقدّم له والدی رحمة الله علیه مکانه فی إمامة الناس فی حرم الإمام الحسین علیه السلام.

وقمنا أیضاً بزیارة المسؤولین فی بغداد لأجل نصیحتهم وإنذارهم بخطورة الشیوعیین وخطورة الأوضاع، ابتداءً من (عبد الکریم قاسم) رئیس الوزراء آنذاک و(نجیب الربیعی) رئیس مجلس السیادة، وانتهاءً بسائر الوزراء وذوی النفوذ أمثال (أحمد صالح العبدی) الحاکم العسکری العام و(محسن الرفیعی) رئیس الاستخبارات و(أحمد محمد یحیی) وزیر الداخلیة و(فؤاد عارف) وزیر الدولة وغیرهم().

وقمنا أیضاً من أجل تکتیل الناس، وجمع طاقاتهم بإقامة مهرجان أمیر المؤمنین علیه السلام الکبیر فی الثالث عشر من رجب، یوم مولد الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام، وکان مهرجاناً خطابیاً سیاسیاً إعلامیاً، وکان یمثل صوت الشیعة المعبّر عن أحاسیسهم و أمانیهم، وکان یحضر المهرجان مسؤولون من بغداد، فیستمعون إلی الخطب والقصائد التی تشید بمواقف العلماء، وتطالبهم بموقف صلب من أعداء الإسلام.

وقد استفدنا من هذه البرامج والمناسبات فی لمّ شعث المتدینین، وتوحید کلمة العلماء والخطباء ضد الأوضاع السیئة آنذاک، ممّا کان له أبعد الأثر، لا فی ذاک الیوم بل حتی یومنا هذا، وفی المستقبل أیضاً، وهکذا أصبح للوحدة ورصّ الصفوف أعظم الأثر فی حفظ

البلاد من التيارات المعادية.

وقد نوّهتُ إلى ذلك: لأشير إلى حقيقة مهمة أن أسلوب مقابلة الغرب والشرق بادئ ذى بدء يكون برصِّ الصفوف وتوحيد العاملين على الساحة الإسلامية.

العمل الفردى والجماعى

من الحقائق الثابتة فى العمل أن ثمن التوحيد باهظ، بينما ثمن التفرقة أكثر غلاءً، فالإنسان إذا انخرط فى وحدة ما، وإن كانت مكوَّنة من عشرة أفراد مثلاً فإنه لو قام بتشكيل هذه الهيئة بنفسه، فإنّها تأخذ من أعصابه وراحته؛ نظراً للمضايقات التى يتلقاها من بعض الأفراد، كما نشاهد فى الهيئات والجمعيات والبرلمانات ومجالس الشيوخ وغير ذلك.

لكن لو انفرد الإنسان، وأراد تفادى هذه المشاكل، لابد وأن يقع فى مشكلة التأخر ومشكلة غلبة الآخرين عليه، وهاتان المشكلتان تأخذان أكثر من واقعه وسيادته وفكره وأعصابه، وإنّ هذه حقيقة يجب أن يفهمها كل إنسان تقدمى، وكل إنسان له هدف فى هذه الحياة.

نعم، من لا يفهم من الحياة إلّا الأنانية والاستئثار، لا يسير إلّا وراء الغرور والشخصية الموهومة، ولا يصل إلى تحقيق المفاهيم السامية بل المفاهيم الخاطئة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا وحشة أوحش من العجب)().

ذلك؛ لأنَّ العجب والغرور، يجعلان الإنسان، يعيش فى أتعس حالة، فهو وإن كان يعيش بين ألف إنسان إلّا أنّه يبقى غريباً عنهم فى واقعه المعيشى والاجتماعى.

فلو صلّيت صلاة الجماعة وصلّى خلفك مائة ألف إنسان، ولو ارتقيت المنبر واستمع إليك عشرات الألوف، ولو جاءت المليارات من الأموال واستطعت أن تعطى من هذه الأموال رواتب طلبة العلوم الدينية ورواتب للفقراء والمساكين. لو استطعت أن تكوّن بساعدك الشخصى المدارس والمستشفيات، ثم إنّك ألفت المئات من الكتب فى شتى الموضوعات العلمية والفنية ولو.. ولو...

لو فعلت جميع ذلك، عليك أن تعرف بعد ذلك أن عملك كله لم يخرج من كونه عملاً فردياً، وخليقٌ به أن ينهار؛ لأنّ كل عملٍ فردى مآله إلى الانهيار.

وبالعكس، لو كوّنت هيئة للعلماء للنظر فى شؤون الناس، وللنظر فى شؤون العلماء.

ولو كوّنت جماعة للخطباء، لوضع برنامج متطور للخطابة.

ولو كوّنت جمعية، لأى أمرٍ من الأمور الدينية والاجتماعية أو ما أشبه ذلك، فعليك أن تطمئن أنك أنجزت عملاً اجتماعياً ليس بقاؤه ببقائك، ولا ذهابه بذهابك.

لذا من الواجب على الإنسان أن يكون بعيد المدى، عميق التفكير، وأن يحمل مشاريعه على أكتاف المجتمع، فإن ذلك سوف ينفعُه أولاً؛ لأنه الضمانة على بقائها مهما تقلّبت الظروف، وينفعه ثانياً بتوفير الوقت له فى أنْ يعمل مشاريع ومؤسسات أخرى حيث لا يقدر على مثلها.

مثلاً: إذا قام بمشروع لوحده، فإنّ المشروع الواحد، يأخذ كل وقته ولا يدع له مجالاً فى تكوين مشاريع أخرى.

اليهود والتنظيم

يُقال: إن فى أمريكا ثلاثة ملايين من اليهود، كما وأن فى أمريكا ثلاثة ملايين من العرب()، وكلنا يعلم أن يهود أمريكا، قبضوا على زمام الاقتصاد والجامعات والإعلام فى هذا البلد بالرغم من كره الأمريكيين لهم.

ومع أن نسبة العرب مساوية إلى نسبة اليهود إلّا أن تأثير العرب فى الحياة الأمريكية لايعدّ شيئاً يُذكر، فقد عجزوا عن الدفاع عن عدالة قضيتهم فى فلسطين.

والسبب فى ذلك أن يهود أمريكا منظَّمون ويعملون فى نطاق مؤسسات قوية تبلغ فى تعدادها ثلاث عشرة منظمة، وتشكّل هذه المنظمات مجموعة واحدة تسيطر على الاقتصاد والإعلام. بينما يعيش العرب مبعثرين ومشتّتين لا يجمعهم جامع.

من هنا، كان اتحاد اليهود سبباً فى تقدمهم وازدهارهم وسيطرتهم.

بينما تحوّل تفرق العرب إلى عامل للضعف والعجز والشعور بالمهانة.

والغريب حقاً أن يتفرّق المسلمون أشتاتاً وفى ثقافتهم الإسلامية تركيز على الاتحاد والتعاون، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ().

والأعجب من ذلك أن الأعداء الذين لا يجمعهم جامع إلّا المال والمصلحة، قد اتحدوا ووحّدوا صفوفهم، وقد وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ()؛ لأنهم يندفعون بدوافع المصلحة التى تُلغى ولو مؤقتاً جميع الخلافات وعوامل الفُرقة.

أرجو من الله سبحانه التوفيق، وأن نكون أهلاً لإقامة الوحدة الإسلامية، وأملنا كبير بذلك؛ لأن الوقت لم يفت بعد، وقد جاء فى المثل: (السمكة كلّما أخذتها من الماء كانت طازجة).

الحفاظ على الأمثولة

عاصر المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه فترة الهجوم الاستعمارى على الدين بكل مظاهره، فكانت السلطات العميلة تهاجم رجال الدين المخلصين، وتنزع عمائمهم بالقوة، وعندما لم تفلح سياسة القوة فى تحطيم الحوزات العلمية، قام الاستعمار بإعداد جمع من رجال الدين المزيفين، الذين كانوا يفعلون كل منكر أمام مرأى ومسمع من الناس، فلم يتركوا رذيلة إلّا وارتكبوها؛ ليشكك الناس برجال الدين، وينحرفوا عنهم.

وقد أدرك السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه خطورة هذه السياسة، وكان على قدرٍ كبيرٍ من الذكاء والفطنة، فاختار أُسلوباً فريداً فى مقاومة تلك السياسة الغربية؛ إذ أخذ يُشجّع الناس على ارتداء العمائم، وكان يضع العمامة بنفسه على رؤوس الأشخاص اللائقين والذين يتحمسون لطلب العلم، حتّى ازداد أصحاب العمائم عشرات الأضعاف.

قال لى الخطيب سلطان الواعظين رحمة الله عليه(): (لقد ازدادت الانتقادات الموجهة نحو السيد نتيجة سياسته تلك، فذهبتُ إليه وقلتُ له: إنَّ الناس ينتقدون عملكم هذا، ألا ترون أن بعض من ارتدى العمامة على أيديكم لا يستحقها؟ أليس من الأفضل الكف عن هذا العمل؟

تبسّم السيد، وقال: ما أشبه كلامك هذا بكلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله الذين جاؤوا إليه يستنكرون عليه وجود بعض المسلمين غير اللائقين! فهل كفَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله عن قبول إسلام من جاء يُريد الإسلام؟!

ثم واصل السيد الأصفهانى: إنّنا أصبحنا فى زمن يجب علينا أن نستمر فى هذا العمل، لتلافى بعض النقص الذى أوجده الاستعمار فى صفوف أهل العلم، فإذا مضى الاستعمار فى تنفيذ مآربه، وتمكن من تشويه سمعة علماء الدين، فإنّه لا يسقط أهل العمائم وحسب، بل سيكون سبباً لإسقاط لواء الإسلام، فهل نرضى بهذه النتيجة؟!. وأنت تذكر بعض الذين ظهروا غير لائقين، فلماذا لا تذكر الذين ظهروا لائقين، وسدّوا فراغاً فى الدين، أما ترى البُستانى وهو يعطى الماء للأشجار فترتوى منه الزهور والأشواك معاً، ولما لم تكن لرسول الله صلى الله عليه و اله سلطة على إبقاء الناس هداة مهديين لدين الله سبحانه، حيث ورد فى القرآن الكريم: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ().

فهل لى أنا سلطة الهداية؟.

ثم واصل السيد قائلاً على سبيل اللطيفة : إنك سلطان الواعظين، فإذا ذهب الواعظون فهل يبقى لك سلطان؟ كلا، وإنى سلطان أهل العلم، فإذا ذهب أهل العلم فهل تبقى سلطتى؟!.

أقول: وكان السيد الأصفهانى رحمة الله عليه بهذا الموقف ينظر بعيداً جداً، ولذا قاوم الاستعمار بهذا الأسلوب، كما وضع أشخاصاً واعين على رأس الأمور، كالسيد هبة الدين الشهرستاني؛ الذى كان يرأس مجلة العلم، والشيخ محمد رضا المظفر()؛ الذى فتح المنتدى، والشيخ محمد جواد البلاغى()، الذى كان يجاهد الأفكار الهدّامة، والشيخ الأمينى()، الذى بحث فى نظرية الإمامة عند الشيعة من خلال موسوعة (الغدير)، والشيخ أغا بزرك الطهرانى()، الذى أردف الحوزة العلمية بأبحاث أساسية فى الرجال والمصنفات. فهؤلاء بأجمعهم كانوا يشكلون مجموعة عمل قوية، كانت تتولى تحريك المرجعية الدينية فى زمن كثرت فيه التحديات.

القمّى وجمعه للعلماء

لقد أفسد الاستعمار بلاد إيران، ونشر المنكرات، وقيّد الحريات، وصادر الأموال، وعمّ الفساد فى أرجاء البلاد، مما حدا بالسيد حسين القمى رحمة الله عليه() أن يقوم بنهضة فى إيران، وقد اتّخذت الحكومة أسلوب التهجير للتخلّص منه، فسُفِّر من إيران إلى العراق واستقر فى مدينة كربلاء المقدّسة، فقام بتجديد الحوزة العلمية فى كربلاء، بعد أن آلت إلى الاندراس، فجمع السيد القمى حوله فريقاً من العلماء الواعين العاملين، الذين كانوا يُساعدونه فى الأمور العلمية والدينية.

وبعد زوال الاستعمار العسكرى من إيران فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، رأى السيد أن يذهب إلى بلده؛ ليطالب السلطات بإرجاع الأمور إلى نصابها، فذهب يرافقه المرحوم والدى رحمة الله عليه ومعهم مجموعة من العلماء إلى إيران وبقى فى طهران فترة من الزمن، مصراً على السلطات هناك بإرجاع الأمور إلى نصابها، وقد وفّقه الله سبحانه وتعالى لإنجاز ما أراد، وإلى اليوم ينعم الإيرانيون بنتائج الأعمال الجبارة التى قام بها فى إيران.

ولعل أهم عمل قام به السيد القمى رحمة الله عليه توحيد كلمة العلماء للمطالبة بالحقوق الإسلامية، ورصُّ الصفوف مما أفزع السلطات التى تيقنت أنّها إنْ لم تمنح العلماء تلك الحقوق فالثورة فى طريقها لقلع قصورهم وقلاعهم.

فاتّعظوا يا أولى الألباب

لأجل إعطاء نموذج عن تضامن العلماء؛ نذكر هذه القضية التاريخية:

كان للسيد حسين البروجردى رحمة الله عليه() مجموعة كبيرة من المسلحين، من عشائر (الألوار) وهى تعدُّ بمئات الألوف. وكانت هذه العشيرة رهن إشارة السيد البروجردى. وعندما قام السيد حسين القمى رحمة الله عليه بإعلان مطالبه، وضع السيد البروجردى هذه العشيرة المسلّحة تحت تصرف القمّى، وكان لهذا القرار أثرٌ فى تراجع السلطات، وإسراعها فى منح العلماء الحقوق التى كانوا يطالبون بها.

وقف أيضاً إلى جانب السيد القمّى بقية العلماء الأعلام، كل ذلك نتيجة لجهوده التى أثمرت فى توحيد كلمة العلماء، واستثمار هذه الوحدة فى المطالبة بالحقوق المشروعة.

لذا يجب على العلماء مهما كانت ظروفهم الشخصية، وكيفما كانت آراؤهم الفردية أن يوحّدوا صفوفهم لتقديم الإسلام ولصد التيارات التى تهبّ من بلاد الكفر والملحدين، ولإزالة المنكرات التى تتفشى فى المجتمع بين آونة وأُخرى. ولقد قال سبحانه وتعالى: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ()، فيوم للدين ولأهل الدين، ويوم يتغلب فيه الباطل، ولكن الكلمة الأخيرة ستكون حتماً للدين وأصحابه.

وإن تعجَّل فيها الظالم الأثم

للمتقين من الدنيا عواقبها

ذکریات سفیر

قبل أعوام قرأت کتاباً لأحد سفراء ألمانیا وکان ممثلاً لبلاده فی إیران، یذکر فی هذا الکتاب ذکریاته عن إیران، ولا أتذکر هل تُرجم الکتاب إلی العربیة أم أن الکتاب کتبه باللغة العربیة؟.

یقول السفیر تحت عنوان (الملاّ والبازار) أی العالم الدینی والسوق، ما ملخصه:

«إنّ الإیرانیین یقلّدون ویتّبعون مرجعاً لهم وهو یمثل نبیّهم، وهذا المرجع أمره نافذ فیهم، فعلی کل مسلم أنْ یطیع المرجع إذا أراد الآخرة، ومجتمعهم متماسک بحیث إنَّ أی إنسان لا یجرؤ أنْ یخالف المرجع، لا خوفاً من الآخرة فحسب، بل خوفاً من الناس المسلمین أیضاً، إذ یعدّ المخالف للمرجع خارجاً عن الدین، وعندهم أنّ الخارج عن الدین، لا یحلّ لهم أن یؤاکلوه أو یتعاملوا معه، ولا حتی یزوّجوه ویعاشروه، هذا حال (الملاّ) وهناک فی طهران مکان یسمی البازار وفی البازار أعاظم التجّار، وعلی أکتافهم تدور رحی الاقتصاد والتجارة، وکل الکسبة متصلون بهؤلاء التجّار الکبار ویحترمونهم احتراماً بالغاً».

وبعد وصف کامل لهم، یستطرد قائلاً:

«فإذا أرادت الدولة أنْ تسنّ قانوناً القانون الوضعی اطّلع (الملاّ) علی ما تنویه الدولة فیوعز إلی البازار بإغلاق المحلات احتجاجاً علی القانون وإضراباً سلمیاً عن العمل، وإذا تعطّل البازار تعطلت طهران کلها وتوقفت الحیاة التجاریة والاقتصادیة. وساد الهرج والمرج والفوضی فی کل البلد؛ مما تضطر الدولة علی الانسحاب من القرار».

ثم واصل قائلاً: «ولذا فإن أردنا أن نحصل علی النفوذ فی هذا البلد، فیجب علینا أن نتخذ خطوتین:

۱: أن نسقّط «الملاّ»، بأنْ نزیل مکانته من القلوب بمختلف الوسائل حتی لا یکون أمره واجب الطاعة عند الناس.

۲: أن نُسقط البازار، بأنْ نفرّق التجار، ولا نجعل لهم مجمعاً واحداً حتی إذا فرض أن جماعة من التجار أطاعوا الملاّ کانت هناک أسواق ومحلات أُخری فتکافح مفعول البازار فلا یؤثر فینا إضراب البازار علی الاقتصاد والتجارة، وبالنتیجة تتمکن الدولة أنْ تمرّر قانونها بدون الاصطدام بالملاّ والبازار».

أقول: وهذا ما فعلوه فی إیران وغیر إیران من سائر البلاد الإسلامیة، فقد أضعفوا سُلطة الدین وشتتوا جمع المسلمین ثم مرّروا قوانینهم بسلام، وبلا أیة معارضة أو بمعارضة ضعیفة لا تُسمن ولا تُغنی من جوع، ولنحاسب، ثم نفکر فی العلاج؟.

ألیس فی کل بلاد الغرب توجد نقابات وأحزاب، فإذا أرادت الحکومات تمریر قوانین ضارة بالبلد، یوعز رؤساء تلک الأحزاب والنقابات إلی أفرادها وأجهزتها الإعلامیة ونحوها بالإضراب، فیشلّ المجتمع وتعمّ فیه الفوضی، وأخیراً تجبر الحکومة علی الانسحاب؟.

ألیس علماء المسلمین هم فی طلیعة المخلصین للوطن الإسلامی ویضحّون فی سبیل مصالح المسلمین؟

أما العلاج، فلیس المهم البازار بذاته بل سیطرة العالِم علی المجتمع، بحیث إنَّه متی شاء تمکن من شلِّ الاجتماع، لیکون ذلک سیفاً بیده ضد القوانین التی تضر الدنیا أو الدین. وکل ضرر علی أحدهما ضررٌ علی الآخر، فضرر الدنیا ضررٌ للدین، لأنّ (من لا معاش له لا معاد له)، وضرر الدین هو ضرر الدنیا، لأنّ الدین وُضع لمصلحة الإنسان، والمجتمع فی یومٍ ما کان منظماً تلقائیاً بحیث إنَّ أمراً واحداً من العالِم کان یحرک المجتمع تحریکاً یجعله ینفذ ما یُرید.

أما الیوم فلا یتحرک المجتمع حتی بألف أمرٍ؛ لضعف الوازع الدینی عند الناس ولتشتت المجتمع وانقسامه إلی تیارات وجبهات، فعلی المتدینین أنْ یقوموا بالمهمة المزدوجة:

أولاً: أن یهتموا بکل الوسائل والسُبل بزرع الإیمان فی النفوس حتی یُخرج ثماره فی إقبال النفوس علی طاعة العلماء.

ثانیاً: أن ینظموا المجتمع تنظیماً إسلامیاً حتی یُعطی ثماراً فی العمل علی الساحة السیاسیة، وکلا الأمرین ممکن فی البلاد الحرة، أما

البلاد التی ترزح تحت نیر الدیکتاتوریة، فکلا الأمرین صعبٌ وبحاجة إلی التضحیة، لکن لیس بمستحیل، فمهما کان الجو خانقاً فالإنسان یتمکن من أن یتنفس ولو بصعوبة، وحیث إنَّ الوسائل والسبل فی العالَم اختلفت، فزرع الإیمان بحاجة إلی وسائل حدیثة وأسالیب جدیدة، کما وأنّ التنظیم بحاجة إلی ألف مقوّم ومقوّم، فلیس مجرد أنْ دُعی الناس إلی شیء أجابوا، مهما کانوا مؤمنین؛ وإن کان الداعی من أبرع الأشخاص وأکثرهم علماً وفضلاً.

انهيار القوّة

لقد کان غریباً حقاً انهیار الجبهة الدینیة، وتشتت کلمة العلماء فی العراق، فبمجرد قیام انقلاب ۱۴ تموز سنة ۱۹۵۸م، رمی الجمیع اللّوم علی العلماء وأخذوا یتسآءلون لماذا لم یقفوا؟ ولماذا لم یتصدوا؟ ولماذا؟.

لکن النظر العمیق فی التأریخ الإسلامی یهوّن الخطب، أما انهارت الجبهة الإسلامیة بعد الرسول صلی الله علیه و اله وارتد الناس إلاّ القلة؟

وهل یُشکک فی بناء الرسول صلی الله علیه و اله؟ أما انهارت جبهة المسلمین بعد استشهاد الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام وصفا الجو لمعاویة، بعد ما قاومت جبهة الإمام وخاضت الحروب؟. أما انهارت جبهة الکوفة أیام الإمام الحسین علیه السلام بمجرد أن جاء إلیهم الإمام بعد تلک الرسائل والمکاتیب؟.

إنّ کلَّ ذلک معللٌ بعلة واحدة فی الجمیع هی انهیار القوة، فانهارت الجبهة، والقوة کانت متمثلة بالنبی والوصی، ? وبموتهما انهارت القوة فانهارت الجبهة والقوة التی کانت متمثلة فی عشائر الکوفة، وبتدخل الشام انهارت قوة الکوفة، لأن الشام کانت أقوی، ولذا انهارت جبهة الإمام الحسین علیه السلام، وکذا حدث الشیء نفسه فی العراق، فقوة الدین کانت تکمن فی عشائر العراق الذین کانوا یملکون السلاح، فإذا أرادت الحکومة شیئاً خلاف الدین، التجأ العلماء إلی العشائر، وتدخّل السلاح فی المعرکة إلی جانب العلماء، ولذا کانت الحکومة تخشاهم لا لأنفسهم، ولا لأنّ الحکومة کانت متدینة، بل لأنّ عالم الدین کان مزوداً بالسلاح، ومن قرأ تاریخ العراق الملکی، رأی کیف وکم مرة تدخلت القوة العشائریة لنصرة کلمة العلماء، مما دفع بالسلطة إلی التراجُع.

سياسة قاسم

أمّا عبد الکریم قاسم فقد ضرب العلماء بإشارة من الانجلیز، بغیة عزل العلماء عن المجتمع العراقی وفسح المجال أمام الشیوعیین الروس. ولیستطیعوا فی غیاب العلماء تمریر قوانین جدیدة ضد العراق وشعبه، ولیتمکنوا من إخراج الأمریکان من البلاد.

وکانت أول خطوة قام بها عبد الکریم قاسم، هو تجرید العشائر من السلاح تحت ذریعة المؤامرة.. والعشائر هی ذراع المرجعیة فی کل زمان.

ثم فصل بین رؤساء العشائر وأتباعهم من الفلاحین تحت ذریعة الإقطاع وتحت ذریعة الإصلاح الزراعی. ونحن نعرف أنّ الإصلاح الزراعی تحوّل إلی إفساد زراعی. ثم ضرب أصحاب رؤوس الأموال الشیعیة، الذین کانوا یموّلون المرجعیة تحت ذریعة التلاعب بالأسواق.

وبتجرید العلماء من قوة العشائر ومن قوة المال، أصبحوا بلا حول ولا قوة، فانهارت الجبهة الدینیة بسهولة کما هی القاعدة: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِیلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَحْوِیلاً ().

ومما هو جدیر بالذکر، أن الدکتور عبد الصاحب علوان، وهو وزیر فی الحکم القاسمی، کتب کتاباً حول الإصلاح الزراعی یراه أمراً حسناً، وألّف الأخ السید الصادق() کتاباً فی الإصلاح الزراعی الإسلامی، سمّاه (الإصلاح الزراعی فی الإسلام)؛ بیّن فیه خطوط الإصلاح الزراعی الإسلامی، وقارن بینه وبین الإصلاح الزراعی السائد فی العراق، وفی غیر العراق مقارنة عقلائیة، مما أظهر لکل

باحث أنْ لا نسبة بين الأمرين، وأن الإصلاح الزراعى الإسلامى ليس هو الأفضل وحسب، وإنما الإصلاح الزراعى السائد فى البلاد اليوم ضارٌ بالزراعة، وهو الذى جلب الويلات للفلاح والأرض مما أدى إلى نزوح الفلاحين من الريف وتركهم لأراضيهم.

وقد منعت الرقابة على المطبوعات طباعة هذا الكتاب، ثم بعد ذلك أجازت طباعته وقامت بعد انتشاره بشراء كمية كبيرة منه؛ لئلا يقع بيد الناس. وقد وصل كتاب الأخ إلى يد الدكتور الوزير فيما بعد، عن طريق أحد العلماء الذى يعتبر صديقاً للطرفين.

لما رأى الدكتور كتاب السيد صادق، تعجب كثيراً، عن جرأة السيد صادق فى الرد عليه وهو وزير، لكنه وبحكم موضوعيته كدكتور، كان عليه أنْ يرد على آراء السيد صادق، وهذا الذى وعد به، وبعد مدة سأله العالم الذى يكن له صداقة قوية، وقال فى زيارته: هل كتبت رداً على كتاب السيد صادق، ضحك وقال: أنا مأمور بتنفيذ هذه الخطة، وليس لنا حق فى اختيار إصلاح زراعى آخر، وكان هذا هو جوابه لصديقه!

وتكرر نفس الموضوع معى عند لقائى بالدكتور عبد الرحمن البزاز()، رئيس الوزراء فى عهد عبد الرحمن عارف().

فقد جاء إلى كربلاء وزارنى فى مقبرة المرحوم الوالد رحمة الله عليه، وكان برفقته جمع كبير من الساسة والوزراء والضباط.

كما كان برفقتى جمعٌ من العلماء والخطباء.

قلتُ له فيما قلتُ: إنّ قانون العقوبات البغدادى () قانون، وضعهُ قائد الحملة البريطانية، والعراق اليوم مستقل، وعليه أنْ يرمى من على كاهله كل ما يمتُّ بالاستعمار بصلة، فلماذا هذا القانون سارى المفعول، مع العلم أنه طُبع فى أوله: أنّ القانون من وضع قائد الحملة؟

وأضفت: هذا القانون فيه سيئات لا يوجد مثلها فى القانون الإسلامى.

أليس من الأفضل والحال هذه أن يُغيّر هذا القانون إلى قانون إسلامى فى باب العقوبات؟!

ضحك عبد الرحمن البزاز، وألمع إلى أننا مجبورون على تنفيذ هذا القانون، وإن لم يصرّح بهذا اللفظ تخوفاً ممن كان معه().

من نتائج الفرقة

إنّ الفرقة التى أحدثها عبد الكريم قاسم بين العلماء والعشائر، وبين ملّاك الأراضى والمزارعين، أوقعت العراق فى مآسٍ ومهالك كبيرة. ولم يزد فى العراق شىء ولم ينقص، إلّا أنّ الإنجليز أرادوا استبدال عملائهم، خوفاً من انتشار النفوذ الأمريكى، وكان الضحية لهذه السياسة هو الدين والمسلمين.

وإن العراق لا ـ يرجع إلى السعادة والرخاء إلاّ ـ بالتمسك بحبل الله المتين ونبذ الخلافات والنزاعات والتبصُّر بدسائس الاستعمار ومكائده.

قصة الحاج عبد

يُقال: إنه كان فى قديم الزمان مكارى () اسمه الحاج عبد يأتى بالزوار إلى مدينة كربلاء المقدسة، وكان سيئ الأخلاق، وكان هناك رجلٌ من أهل العلم يزور الإمام الحسين عليه السلام كل عام فى الأربعين، وكان ينزعج من أخلاق الحاج عبد كثيراً، لكنه كان يضطر إلى تحمّله، حيث إنَّه المكارى الوحيد الذى كان يأخذ نصف المبلغ من المسافرين.

وفى إحدى الرحلات غمرت المياه الطريق، وكانت يومها بحيرة الرزازة متصلة بكربلاء، فأخذت السفن بحمل الناس إلى كربلاء، ففرح ذلك العالم الذى كان يأتى لزيارة الأربعين بالوسيلة الجديدة للوصول إلى كربلاء، وكانت فرصة كبرى أن تخلّص من (الحاج عبد) وأخلاقه السيئة.

ومع اقتراب موعد زيارة الأربعين جاء هذا العالم إلى البحيرة وأراد أن يركب السفينة وإذا به يفاجأ بأنّ ربان السفينة هو (الحاج عبد) نفسه فاسترجع قائلًا إنا لله وإنا إليه راجعون ركب السفينة على مضض، وعلى طول الطريق كان مبتلياً بالحاج عبد.

ومرّت السنوات، ومضت الأيام وإذا ب العربانة التى تجرّها الخيول تظهر ويبدأ باستعمالها بين كربلاء والمدن الأخرى.

ففرح هذا العالم أن أنقذته العربانات من الحاج عبد، ففى الرحلة القادمة سيكون على متن إحدى هذه العربانات. وازداد تعجبه وتألّمه عندما وجد صاحب العربانة هو الحاج عبد أيضاً، وما حيلة المضطر إلاّ ركوبها.

ومرّت الأيام وتحولت وسائل النقل وظهرت السيارات فى مدينة كربلاء وبدأ باستخدام السيارات بين كربلاء والمدن الأخرى، فشكر الله صاحبنا على هذه النعمة، وفرح أنه قد تخلص من الحاج عبد، لكن لم تطل فرحته كثيراً عندما عرف أنّ سائق السيارة هو الحاج عبد أيضاً.

أقول: وقصتنا نحن العراقيين مع الحكومات المتعاقبة فى العراق، هى قصة هذا العالم مع الحاج عبد، ففى العهد الملكى كان الحكم فى الظاهر بيد الملك فيصل الأول، ثم ولده غازى() ثم ولده فيصل الثانى()، ثم انتقل إلى عبد الكريم قاسم، ثم إلى عبد السلام عارف()، ثم إلى عبد الرحمن عارف، ثم إلى البكر()، ثم إلى...

فالوجوه كانت تختلف، لكن الحاكم الرئيسى هو الاستعمار، وفى كل مرة له لباس وشكل جديدان. فلا عجب أن بقى الاستعمار كل هذه الفترة كما بقى الحاج عبد، لأننا لم نعمل على التخلص منه.

وسائل الإنقاذ

فإذا أردنا التخلُّص من ا لاستعمار كان لابد من تحقيق الأمور التالية:

أولاً: الوعى الجماهيرى، فبدون الوعى الجماهيرى يتشكل «الحاج عبد» كل يوم بأشكال مختلفة مستفيداً من جهل الناس، وقد قرأنا فى المنطق عن الجن أنّه: جسمٌ خفيف نارى، يتشكل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير إلاّ الأنبياء والأولياء؟

ثانياً: بالاتحاد ونبذ كل أنواع الفُرقة، فما دامت الفُرقة، ف «الحاج عبد» تبقى بيده مقاليد الأمور، وفى المثل مادام الطمع موجوداً تعيش الكلبجة ().

وكل من يشتكى من «الحاج عبد» وهو فى الوقت نفسه يفرّق بين الناس، مثله مثل من يدفع ويسحب بيد.

ثالثاً: بالاكتفاء الذاتى وقطع دابر كل حاجة إلى الأجانب من جهة الأموال والسلاح والصناعة وغيرها، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام فى كلمته التى لا تُثمن: (احتج إلى من شئت تكُن أسيره)().

وطالما فقدت هذه الأمور الثلاثة، فلا رجاء فى التخلص من «الحاج عبد» وقيل فى المثل: مادام ليلك كذا فنهارك هكذا.

إننا نفتقر اليوم إلى هذه المقومات الثلاثة، لا فى بلدنا العراق وحسب، بل فى أغلب بلاد المسلمين، فالمفترض أنْ نشرع فى ذلك كلٌ بقدره وبقدرته لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها ().

فالمرء مكلّف بما يتمكن، فإذا لم يقدر على إيجاد الوحدة العامة، عليه أن يجمع على الأقل عشرة أنفار فى هيئة أو جمعية؛ لتصبح هذه الهيئة نواة للاتحاد الكبير.

والمرء الذى لا يقدر على تصنيع البلاد، عليه أن ينجز ما هو أقل من ذلك. وأن يوجد مصنعاً صغيراً بدلاً من المصنع الكبير، فإذا عمل كل واحد منا بهذا المنطق فسيكون هناك تقدمٌ فى البلاد.

وكيف كان الأمر، فإنّ الهدف من هذا الكتاب هو توحيد الصف، وبالمناسبة يقول الشاعر الإيرانى: (اتحدت فيك الملاحة والجمال.. ولذا غزوت العالم)()، نعم بالاتحاد يُغزى العالم.

المكر البريطانى

نقل لى أحد الثقات: أنّ إيران كانت تقترب بخطوات سريعة نحو الولايات المتحدة وتبتعد بنفس المسافة عن بريطانيا.

فدبّرت بريطانيا خطة زرع الاختلاف بين الطرفين؛ لتقع القطيعة ولتستفرد بريطانيا بإيران مجدداً، وكانت هناك سقاية ماء، بناها رجلٌ من أهل الخير يُسمى نوروز خان، وكانت هذه (السقا خانه) لقدمها معروفة لدى أهل المنطقة، وإلى جانب هذه «السقا خانه» رجل أعمى يتكفف بالقُرب منها، فعزم هذا الرجل المكفوف زيارة أقربائه فى بلدته هذا فى ظاهر الأمر أما فى واقع الأمر فإنّ الأخبار السرّية ترددت أن البريطانيين أخذوه إلى لندن.

وفى لندن أجريت له عملية جراحية عاد بعدها بصيراً، ثم أرجعوه بعد أن شفى إلى محله فى طهران، وجلس فى مكانه المعتاد بالقُرب من «السقا خانه» يتكفف، وتعجب الناس الذين كانوا يعرفونه وأخذوا يختبرون بصره فوجدوه شيئاً آخر غير ذلك الأعمى الذى عرفوه فى السابق، ولمّا سألوه ماذا حدث لعينه وكيف عاد بصيراً؟

خطب فى الجماهير وقال بشكل مختصر: رأيت البارحة فى منامى أنّ سيداً جليلاً وقف بالقرب من السقا خانه وقال لى: أنا الموكّل بهذه «السقا خانه» فهل لك من حاجة؟

قلت: نعم أريد أن أبصر بعينى.

قال لى: امسح يدك على (السقا خانه) ثم ضع يدك على عينك ففعلت كما طلب منى وإذا بى أرتد بصيراً، وانتشر الخبر فى الأرجاء أنّ «سقا خانه نوروز خان» تُشفى من الأمراض وتأتى بالمعجزات! فازدحم الناس حولها وأخذ عملاء الإنجليز يبثون الدعاية، ثم فى الأثناء شفت «السقا خانه» أعرج معروفاً بالعرج فعاد سليماً، طبعاً بواسطة عملية فى لندن، وآخر مشلول اليد بواسطة عملية فى لندن أيضاً.

وأخذ الناس يأتون إلى السقا خانه زرافات زرافات، بقصد الشفاء، واعتكف المرضى حولها لا يبرحونها، ليل نهار.

وذات مرة زار السفير البريطانى السفير الأمريكى وأخذا يتجاذبان الحديث حول سخافة عقلية المسلمين، كيف أنّ السقا خانه تتحول إلى طبيب لشفاء المرضى، ومن فرط ما سمعا قررا أن يذهبا إلى «السقا خانه» ليأخذا من الناس الملتفين حولها صوراً يبعثانها إلى بلديهما،ليتعرّف الغرب على سخافة المسلمين وزارا كما قرر «السقا خانه»، وعند وصول عربتهما قرب «السقا خانه» سرت شائعة بين الناس أنّ سفير أمريكا جاء لهدم «السقا خانه» فاستعدّ له الناس البسطاء، وحسب الخطة المدبرة من قبل السفير البريطانى، ولما نزل من (العربانة)() وبيده جهاز التصوير الذى ظنّه البعض أنه قنبلة، فأسرع صاحب المقهى الذى كان قد هيأ نفسه للهجوم على السفير الأمريكى، وحمل (سماوره)() المملوء بالماء المغلى، وأفرغه على رأس السفير الأمريكى فهرب السفير البريطانى ب (العربانة) تاركاً السفير الأمريكى بين أيدى الناس، الّذين وسعوه ضرباً بالعصى والسكاكين حتى قتلوه فى مكانه ولم تفلح محاولات الشرطة فى إنقاذ حياته، وكل ما استطاعوا أن يفعلوه أنهم أنقذوا جثته من الإحراق.

وبهذه الخطة المحكمة والمُدّبرة وقعت أسوأ قطيعة بين أمريكا وإيران، وكسب البريطانيون الجولة.

ولا۔ يخفى: أن للإنجليز فى كل مكان من العالم الإسلامى «سقاخانەنوروز خان»، ففى العراق صنعوا الصنيع نفسه، وقد نقل لى من شاهد ذلك مباشرة ورأى بعض مكفوفى البصر الذين شفوا ببركة «الإنجليز» فى الخفاء وببركة الشىء فى الظاهر.

ولم أستطع أنْ أتعرّف على أهداف هذه السياسة البريطانية فى العراق آنذاك.

قصة من البحرين

نقل لى بعض الثقات أن الإنجليز حرّكوا خفية قاضياً من قضاة البحرين المحترمين أن يسبّهم فى مجالسه لقاء أجر كبير، وفعل القاضى المغفل ذلك، وإذا بالناس يفاجؤون باحتجاج الحكومة البريطانية على البحرين، وتبين بعد ذلك أنهم أرهقوا كاهل البحرين بمعاهدة مذلة، أسندت هذه المعاهدة إلى إهانة حكومة بريطانيا فى البحرين علنا، فكان جزاء ذلك على البحرين أن تؤدى ثمن هذه الإهانة.

أقول: إنّ الشرق والغرب بمختلف حكوماتهم لا۔ يزالون كالسابق، يكيدون للمسلمين ليفرقوا كلمتهم ويضربوا بعضهم ببعض،

ویضطروهم للانضواء تحت نیر المعاهدات والأحلاف، والمسلمون لا یزالون علی سابق عهدهم من البساطة وحسن الظن، والتسامح والغفلة، ولا علاج إلّا بتطبیق ما ذکرناه فی (حکایة الحاج عبد).

من هنا، کان یجب علینا أن ننظر إلی مصالحنا لا إلی ما تفرضه علینا سیاساتهم، ویجب علینا أن نوحّد کلمتنا، وألّا ننخدع وإنْ رأینا أنّ الأعمی قد أبصر، أو الأعرج أصبح سلیماً فی مشیه، وأنَّ الأبکم نطق فجأة، إلّا بعد أنْ نتحقق، هل ذلک ببرکة «حیلة مخفیة» أو ببرکة کرامة ظاهرة.

وصدق الشاعر الفارسی الذی قال ما ترجمته: إلی الوقت الذی لا یفیق الشیخ من غفلته فإنّ القافلة ستبقی جاثمة فی مکانها().

ناصر الدین والوحدة

عندما أعلن المجدد الکبیر رحمة الله علیه عن تحریمه للتنباک فی إیران، وفشل محاولات الإنجلیز فی منع تحقق هذه الفتوی، فکّر الإنجلیز فی إیجاد ضغط من جانب الحکومة العثمانیة علی الحکومة الإیرانیة فی عدم نقض المعاهدة أو علی المجدد لنقض الفتوی، ولذا ذهب سفیر بریطانیا إلی السلطان عبد الحمید() الخلیفة العثمانی المشهور، وقال له فی أول کلامه:

هل فی البلاد الإسلامیة الشرقیة أو الوسطیة أکثر من إمبراطوریتین، إمبراطوریة الخلافة وإمبراطوریة الشاه؟

قال عبد الحمید: کلا، فلا حکومة ثالثة للمسلمین!

قال السفیر: فمن هذا الرجل الذی یسمّی محمد حسن الشیرازی الذی یُقیم فی سامراء وما هو شأنه؟ وکم جیشه؟ ألیس هو فی بلدٍ من بلادکم، وکیف یتمکن من الإتیان بجلائل الأعمال التی هی من اختصاصات الحکومات الکبیرة!

فأحسّ السلطان عبد الحمید بالمکیدة، وقال له بالحرف الواحد: إنه عالم دینی لیس له جیش ولا سلاح ولا مملکة وإنما له خادمان ینفذان أوامره، وهذا هو کل ما یملک؟

قال السفیر متلهفاً: ومن هما ذانک الخادمان؟

قال عبد الحمید هما: ناصر الدین شاه وعبد الحمید فانقطع السفیر وبُهت ولم یحر کلاماً، وعلم أنّ خطته فاشلة، وکان موقف ناصر الدین شاه فی دعم العالم الجلیل المجدد الشیرازی هو من ثمرات الوحدة الإسلامیة، وقد أفهم السلطان عبد الحمید أنه متمسک بهذا المبدأ.

أقول: وبقدر ما کانت الوحدة الإسلامیة قوة ومنعة، کان التفرّق ضعف وانحطاط. ولا یخفی أنّ عبد الحمید کان إلی جانب ألمانیا، ولذا قال هذه الکلمة لسفیر إنجلترا.

وقد سمعت أحداً یقول بحسرة: إن فتوی المجدد الشیرازی فی تحریم التنباک کشفت قوانا، وکانت هذه القوة مخفیة؟. قلت له: أبهذه البساطة تؤخذ الأمور؟.إنّ ألف خطةٍ وخطةٍ، وألف تدبیرٍ وتدبیر استُخدمت ضد المسلمین وحطمت قِواهم وسلبت دینهم ودُنیاهم.

إنّ الغربیین والشرقیین علی اختلافهم متفقون علی تحطیمنا، وکانت أول وصایا (لینین) هدم الخلافة العثمانیة وغزو إیران.

ولم تتوان جمعیة الاتحاد والترقی() فی تنفیذ مآرب لینین، وکانت الجمعیة مرتبطة بالاستعمار الغربی.

وجاء فی أحد بنود المعاهدة السرّیة بین حکومة أمریکا وحکومة الشاه بتقویض صلاحیات رجال الدین فی إیران.

أتری کیف أن الشرق والغرب علی ما بینهما من عداء ظاهری متفقان علی تحطیم بلادنا وهدم کیاننا وسلب دیننا؟.

وما ذکرناه لیس إلّا سطراً من کتاب ضخم من تاریخ الکفار وکیدهم للمسلمین.

إنّهم علی اختلافهم فی الأفکار متفقون علی تحطیمنا، ألیس ذلک حافزاً لنا علی الاتفاق مع وحدتنا فی المبدأ والعقیدة والشریعة؟.

وقد قال الشاعر:

وهل ینفع العطشان إلّا فراتها

ومادام لم نفعل نبوء بغصة

هكذا تفعل الدنيا بأبنائها

كـان السـيد المسـيح عيسـى عليه السـلام يسـافر من بلـدٍ لآخر، وكان معه ثلاثـة من الـذين أظهروا الإيمان به، وفی الطريق مرّوا بمكانٍ فوجدوا ثلاث قطع من الذهب، ولما رأى الأصدقاء الذهب ارتخت أرجلهم ولم يتجرؤوا أن يأخذوها أمام السـيد المسـيح عليه السلام، إذ كان السيد المسيح رمزاً للزهد، وقد علَّمهم الزهد والعزوف عن الدنيا، ففكّر كل واحدٍ فی حيلة للانفصال عن المسيح عليه السلام. وبدأ كل واحد يتخلى عن السـيد المسـيح عليه السـلام بشكلٍ أو آخر. الأول اعتذر واستأذن السيد المسيح بالعودة والرجوع.. والمسيح عليه السلام يأذن له وينصحه بأن لا تغره الدنيا ولا يرتكب حراماً من أجلها. وهكذا الآخران.

ولما انفصـلوا عنه جاؤوا واجتمعوا على الـذهب يتنازعون عليه، وأخيراً قرروا تقسـيمه بالسوية، وعندما جلسوا للتقسـيم قالوا: نحن جياع ونخشـى إنْ ذهبنا بالذهب إلى المدينة سينكشف أمرنا، فليذهب أحدنا إلى المدينة ويشترى لنا طعاماً، قال أحدهم: أنا آتيكم بالطعام، فقد وجد هذا الثالث أنّ هذه أفضل وسيلة للتخلص من الاثنين، حيث سيضع السمّ فی الطعام، فيموتا ويصبح الذهب له وحده.

وعنـدما ذهب إلى المدينـة اتفق الإثنان أن يقتلا صاحبهما، ليخلص الـذهب لهما فيقسـمانه نصـفين، بـدل أن يكون نصـيب كل واحد منهما الثلث.

وهكـذا كـان، فقـد وضع الثـالث السّم فی الطعام، وجاء به إلى صـديقيه، وما إنْ وضع الطعام على الأرض، حتى هجما عليه وقتلاه، ثم جلسا يأكلان الطعام، فانتشر السم فی جسميهما، وماتا فی الحال.

وعندما عاد السـيد المسـيح عليه السـلام ومرّ بذلك المكان وجد الذهب فی مكانه، والثلاثة إلى جانب الذهب ممددين، فحركهم فلم يتحركوا، فعرف أنّهم ميتون، حينها قال عيسى عليه السلام لتلاميذه: هكذا تهلك الدنيا أبناءها وتبقى هی فی مكانها.

وقال الشاعر:

إنّما الدنيا فناء ليس فی الدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ولعمری عن قريب كل من فيها يموت

أقول: وهذه هی عاقبة الاختلاف، فی الدنيا العار، وفی الآخرة النار.

وعلى العاقـل أن يعتبر بهـذه القصـة أكبر اعتبار إن كان له قلبٌ أو ألقى السـمع وهو شـهيد. إنّ عاقبـة الاختلاف الفشل وعاقبـة الاتحاد التقدّم واقتطاف الثمر، يقول الشاعر:

لسانک لا تُبدی به سوءة امرئٍ

فكلك سوءآتٌ وللناس ألسن

وعينک إنْ أهدت إليک معايباً

من الناس قل يا عين للناس أعين

وفی كلمـة ذهبيـة عـن السـيد المسـيح عليه السـلام قـال: (مـا لكم لا ـ ترون الجـذع فی أعينكم، وترون القـذى فی أعين أخيكم). وفی الحديث: (ضع أمر أخيک على أحسنه)().

وفی حـديث آخر: (إنْ شـهد عندک خمسون قسامة وقال لک قولاً، فصدّقه وكذبهم)()، أی لا ترتّب أثراً على كلامهم، فی غير مورد الشهادات الشرعية.

وبهـذه الخطوات يتمكن الإنسان من أن ينظر إلى الناس بمنظار صـحة أعمالهم وحسن نياتهم وسـلامة أهـدافهم، وهكـذا يخطو خطوة كبيرة نحو الألفة وتوحيد الكلمة.

أما إذا نظر إلى الناس بمنظار سوء الظن، وحمل أعمالهم على الفساد بأنهم خونة لصوص سُراق فاسدو العمل، فإنّه لا يجتنى من ذلك إلّا الإهانة لنفسه أولاً، وتفكك عُرى الاجتماع ثانياً، إذ: (لا يجتنى الجانى من الشوك العنب، ولا من الحنظل يُجتنى الرُطب).

لا تزكّوا أنفسكم

ذات مرة كان أحـد المؤمنين فى حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام ورأى زائراً يضـجّ ويبكى بكاء مراً ويتوسّل بالإمام عليه السـلام بـأن يرد إليه نفقته المسـروقة قائلاًـ بحرقـة: يـا أمير المؤمنين، ليس لى مـال غيره، وأنـا هنا غريب وإذا لم أحصل على مالى، كان معنى ذلـك أن أتكفف، وهـل ترضـى أنت بـذلك وأنا ضـيفك، وهكـذا كان يقول ويكرر هـذا الكلام بأسـى ولوعـة، وأخـذ يـدعو ويلحّ ويتضرع.

فتأثر هـذا المؤمن من هـذا المشـهد تأثراً بالغاً، وتوجه إلى الإمام وأخـذ يخاطبه كالمعترض يا أمير المؤمنين إذا لـم تسـتجب دعاء هـذا الرجل ولـم تكشف له عن سارقه، فمتى وأين يُستجاب دعاء المؤمنين بكم؟.

وفى الليل رأى هـذا الرجل الإمام عليه السـلام فى المنام: ويظهر أنّه كان قابلاً لهذا المقام حتى يرى الإمام ليسـمع جواباً، فقال له الإمام عليه السلام: إن كان شأننا كشف اللصوص لكشفناك أولاً وقبل سارق هذا الزائر!.

قال: وكيف يا أمير المؤمنين، وهل أنا سارق؟

قال الإمام عليه السلام: أجل، ألم تأخذ من فلان مقداراً من المال أجرة على قضاء صلاة الميت، ولم تأت بالصلوات إلى الحال؟

نكّس الرجـل رأسه أمـام الإمـام عليه السـلام وقـام من منـامه فزعـاً مرعوبـاً، وتاب إلى الله تعالى عن ذنبه، وأدّى ما كان عليه من قضاء العبادة.

نعم، أيّنا منزّه حتى نحاسب الناس على أعمالهم؟

(وأى عبـدٍ لك ما ألمّا)، وإنى لا أتكلم فى هذا الموضوع الآن من الوجهة الدينية والأخلاقية، بل بالنظرة الاجتماعية، وإن الإغضاء عن سيئات الآخرين أول الطريق إلى الألفة والمودة.

حزب المؤتمر وتوحيد الهند

انظر إلى الهند، فقد كان المسلمون يحكمون فيها، وقد أخذها الإنجليز من المسلمين وأعطوها إلى الهندوس، وهذه الحقيقة تظهر لمن طالع تاريخ الهند().

وإنى لأتعجب كثيراً كيف أن المسـلمين طيلة ألف سـنة لم يتمكنوا من إدخال جميع الهند فى الإسـلام، فهل كان الشـعب الهندى غير راغب فى الإسـلام، أم أنّ هناك تقصـيراً من قبل القادة؟ فإيران والعراق ومصـر وسوريا وتركيا وإندونيسـيا وغيرها من البلاد الإسلامية دخلت فى الإسـلام بمجرد أن حكمها الإسـلام، وقـد قبلت بالإسـلام طواعيـة لا جبر ولا إكراه، وإنما كانت الحكومـة التى تأخذ البلاد ترفع الموانع التى تحول دون دخول غير المسلمين إلى الإسلام.

أمّا القسم الإسـلامى من الشـعب الباكسـتانى والشـعب الهنـدى فليس الكلام حولهم، بل الكلام حول كل الشـعب، والكلام حول هـذا الموضوع طويل وله محلٌ آخر.

وإنما الكلام الآن فى أن حزب المؤتمر()عنـدما تشـكّل لتحرير الهنـد بزعامـة (غاندى) كان يتعامل مع شـعب يتكون من ثلاثمائة دين ومئات الولايات، وثلاثمائـة لغة ولهجة، وكان صـعباً على حزب المؤتمر استيعاب هذا الكم الهائل والمتناقض من الشـرائح الاجتماعية،

إلاّـ أنه فى أول خطوة قام بها هو توحيد الجمع الهائل من اللهجات والقوميات فى بوتقة واحدة، وبعد خمسين عاماً من الجهود المضنية، استطاع أن يوحّد البلاد وينقذ العباد من الاستعمار.

إلاّ أن حالنا نحن وبعد خمسين سنة من الاستعمار، ومن العمل لأجل إزالته، لانزداد إلاّ انقساماً، وبالاستعمار إلاّ تمسكاً. والحال أنّ ديننا يأمرنا بالوحدة والتعايش والألفة، يقول القرآن الكريم: وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً () ويقول:

وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ().

والحال أنّ ديننا واحد ولغتنا هى القرآن، وإن كانت لنا لغاتٌ شتى.

ولا قوم أفضل من قوم فى ديننا.

ألم يحن الوقت لأن ننبذ كل أنواع التفرقة، ونوحّد الصف ونقوم بنهضة جبارة نطرد فيها الاستعمار الاستيطانى والاستعمار الاقتصادى والاستعمار الفكرى من بلادنا لترجع إلينا سعادتنا وسيادتنا، ولا تُنهب ثرواتنا، ولا نقوّى الكفار على أنفسنا، ولا يصافح بعضنا الشرق وبعضنا الغرب، وتكون بيننا الحروب والمهاترات بصورة مستمرة.

والوحدة المنشودة هى التى تتم فى ظل الدين فقط.

أما الوحدة التى يريدونها تحت ظل القومية فهى سيف يقطع أوصال الأمة ويمزق الجسد الواحد().

والوحدة فى ظل حزب واحد أو مبدأ واحد هو التشتت والتفرقة والتمزّق.

أمير المؤمنين عليه السلام والوحدة

يتساءل البعض عن مغزى عدم تجريد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لسيفه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و اله ومطالبته بحقه من أعدائه وانتقامه ممن اعتدى على فاطمة الزهراء عليها السلام؟

فى الجواب نقول: إنّ علياً عليه السلام لو فعل ذلك لذهب الإسلام ولم يبق من الإسلام حتى الاسم. كما قال ذلك لزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام. ذلك بأن أكثر المسلمين كانوا جديدى العهد بالإسلام، وكان المسلمون محدقين بأعداء كثيرين يحيطون بهم من كل جانب، فالفرس من جانب والروم من جانبٍ آخر، كانوا يتحينون الفُرص للانقضاض على المسلمين.

فلو كان علىّ عليه السلام قد جردّ سيفه، كان يؤدى ذلك إلى انقسام الجسم الإسلامى، وكان هذا الانقسام سيؤثر على ضعيفى الإيمان الذين كانوا سيتركون هذا الدين مع أول انقسام، حينذاك لكانت الدولتان الفارسية والرومية، قد انتهزت الفُرصة وانقضّت على الدولة الفتية وقضت على المسلمين، ولكان حال الدولة الإسلامية حال دولة الأندلس فيما بعد.

لذا كان قرار أمير المؤمنين عليه السلام بعدم المطالبة بحقه وجلوسه فى البيت هو عين الصواب كما كان له فى نهوضه أول الدعوة الإسلامية فضل بدء الإسلام.

من هنا، يجب علينا أن نجعل هذه المنطلقات أمام أعيننا فى كافة تحركاتنا وسكناتنا. ثم نتقدم لتوحيد الصف وتقديم الإسلام إلى الأمام، دون الاهتمام بالامتيازات والاعتبارات الأُخرى.

مَن فرَّق المسلمين؟

قال أحد الغربيين فيما قرأته فى إحدى الكُتب: إنّ علينا نحن أنْ نصنع تمثالاً من ذهب لمعاوية بن أبى سفيان، ونضع له تمثالاً فى كل بلد، لأنه هو الذى لم يدع علياً عليه السلام أن يتقدم، وأنْ يحكم البلاد وينشر الإسلام فى الأصقاع().

أقول: من حقهم أن يثنوا على معاوية لأنه استطاع أن يشق عصا المسلمين وأن يمزّق وحدتهم ويقطع أوصالهم بحربه مع الإمام أمير

المؤمنين على عليه السلام، تلك الحرب التى حالت دون أن يتقدم المسلمون خطوة واحدة.

فلولا معاوية لكانت البشرية قد عرفت الإسلام بصورة أوضح ولاكتشفت العدالة، عدالة أمير المؤمنين عليه السلام ومساواته بين نفسه وأبسط رعيته، ولكان الإسلام قد انتشر تحت ظل هذا الإشعاع النير. وقبل معاوية هناك أيضاً من شوّه صورة الإسلام ومنع من انتشاره. إلّا أنّ ما يسلى الفؤاد أنّ القرآن الكريم وعد المستضعفين بأنهم سيورَّثون الأرض من أيدى الكفّار، وأنهم سينتصرون بقيادة مهدى هذه الأمة (عجل الله فرجه) على الشرق والغرب فيدخل الجميع تحت ظل الإسلام العظيم.

من أخلاق الوحدويين

جاء أحد تجار إيران إلى كربلاء المقدسة فى زمن المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهانى رحمة الله عليه وكانت معه حقوق شرعية للسيد، وكان الرجل لم ير السيد ولم يعرفه من قبل ولا حتى يستطيع أن يميّز صورته عن الآخرين.

وفى ليلة وصوله سأل عن السيد فأرشده بعضهم إلى عالم آخر كان جالساً فى حرم الإمام الحسين عليه السلام، فسلّم لهذا العالم الحقوق الشرعية التى كان يجب أن يُسلمها إلى السيد أبو الحسن الأصفهانى وهو يظن أنه السيد نفسه.

قال التاجر: فى صباح ذلك اليوم ذهبتُ إلى الحرم الشريف وتوجهتُ إلى المكان الذى يصلى فيه السيد داخل الحرم، وإذا بى أراه مختلف الوجه عن ذلك العالم الذى سلمته المال فى البارحة، لكننى قلتُ فى نفسى لعلى على خطأ فيما أرى وأشاهد من المخالفة بين العالم وبين السيد، لأن وقت تسليم المال كان فى الليل ولم يكن فى الحرم فى ذلك الوقت النور الكافى.

على أى حال: تقدمتُ إلى السيد وطالبته بورقة إيصال بالمال الذى قدمته له البارحة، وقلتُ فى نفسى إذا أعطانى السيد الإيصال فإن ذلك دليل أنه هو الذى قبض منى المال وإذا لم يعطنى فإنّ ذلك دليل على أن المال أخذه غيره.

قال السيد: لا بأس تعال إلىّ بعد شروق الشمس فى الدار.

ذهبتُ إلى السيد فى الموعد المقرر فى الصباح فى داره، فقال لى: كم كان المال؟ لأن الأموال التى استلمتها مختلفة.

فقلت له المقدار، فكتب السيد إيصالاً بالمقدار الذى ذكرته وأعطانى الوصل.

قال التاجر وفى الليلة التالية شاهدتُ العالم الذى أعطيته المال عوضاً عن السيد فى الحرم، حينها تيقنت أنّ المال لم يصل إلى السيد.

وفى الغد ذهبتُ إلى السيد وقلت له: سيدنا كيف تعطينى الوصل بما لم تستلمه، ونقلت له حكايتى مع السيد.

فردّ السيد الأصفهانى: نعم، إنى عرفت أنّك اشتبهت وأعطيت المال لفلان لأنه يشبهنى لكن ما الفرق بينى وبينه؟ أليس هو أيضاً عالمٌ ووكيلٌ للإمام الحجة عليه السلام وأنت لم تقل لذلك العالم إنّ المال للسيد أبو الحسن حتى لا يأخذه منك.

قال التاجر: خرجتُ من عند السيد وأنا متعجب من أخلاقه الرفيعة كيف يحافظ على سمعة العلماء، وكيف يواظب على وحدة الصف وإن كان فيه تنازل عن قدر كبير من المال؟

وهكذا، يجب أن يكون كل إنسان يُريد الحفاظ على وحدة الصف، فالحفاظ على الوحدة ليس بالشعار والكلام المعسول الخالى من العمل، بل بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة وبالتغاضى عن الأمور الجزئية والابتعاد عن نقاط التشنج. وهى أمور ليست بسهلة، وليس كل واحد قادراً على التمسك بها، لذا ترى القائلين بالوحدة كثيرين والعاملين به قليلين، بل أقل من

القليل.

وحدة صفّ المقاتلين

استغرب القادة العسكريون فى بلاد فارس من تقدّم المسلمين وانتصارهم عليهم بالرغم من قلتهم عدداً وعدةً، وضعف كفاءتهم العسكرية، فى وقتٍ كان الجيش الفارسى يتفوق عليهم فى العدَّة والعدد، وفى الكفاءة العسكرية وفنون القتال، ومن الخبرات الكثيرة

التی اکتسبها فی حروبه الماضیة مع الروم وغیرهم.

فکان انتصار المسلمین علیهم مدعاة لأن یعیدوا النظر والتفکیر فی أسالیبهم وخططهم، فاجتمعوا للتشاور فیما بینهم وأخذوا یدلون بدلوهم ویطرحون آراءهم.

قال أحدهم: إنَّ السبب هو الدین الذی یقاتلون باسمه؟

وجاء الجواب من أحدهم: کلاـ إنّ دینهم مزیّف حسب عقیدة الفرس یومذاک ثمَّ إنَّ الدین لاـ یُوجب أی تقدم، ألیس الرومان أصحاب دین، والفرس قد انتصروا علیهم؟

قال آخر: إنّهم سحرة.

فأجابهم آخر: کلا، فالسحر لا یوجب انتصاراً فی الحرب، ولا یتسبب فی هزیمة جیش بأکمله.

وقال ثالث: إنّه بالصدفة انتصر المسلمون ولیس هناک سبب حقیقی وراء انتصارهم.

فأجابه البعض: کلاـ لاـ یمکن أن نؤمن بالصدفة، فالصدفة لاـ تکرر الشیء نفسه، ثم هل التکتیک الحربی یعرف الصدفة؟ وهکذا دوالیک.

وقال أحدهم: أری من الأفضل أن نسأل المسلمین أنفسهم وذلک بأن نختطف أحدهم ونسأله عن علة انتصارهم علینا، فاستحسن الجمیع هذا الرأی. فبعثوا بقوة عسکریة لخطف أول مسلم یجدونه منفرداً ویأتون به إلیهم.

وفعلاً تم خطف جندی من جنود المسلمین وجاؤوا به إلی خیمة القیادة، ولما أراد المسلم الجلوس، جمع ما تحته من الفراش وجلس علی الأرض، فأثار ضحک واستهزاء الجمیع.

ثم إنهم قالوا له: کان عندنا سؤال أردنا أن نسألک به، والآن صار السؤال سؤالین؟

قال المسلم: وما هما؟.

قالوا: أما السؤال الأول فهو: لماذا جمعت الفراش من تحتک وجلست علی الأرض؟.

السؤال الثانی: کیف استطعتم أنتم معاشر المسلمین أنْ تحققوا النصر علینا مع قلة عددکم وعُدتکم؟.

أجاب المسلم: أما الجواب عن السؤال الأول فهو، إننا نعمل بتوصیات نبینا صلی الله علیه و اله بأنْ نساوی بین أنفسنا وبین الآخرین سواء فی الحضر أم فی المغیب، وإخوانی المسلمون فی جبهات القتال لا فراش لهم، فکلهم عندما یجلسون، یجلسون علی الأرض، وکان حریاً بی أن أتأسی بهم، وأشارکهم هذا الأمر، بأنْ أمتنع عن الجلوس علی الفراش.

أما الجواب علی السؤال الثانی: نحن وحدة واحدة لیس بیننا من یشعر أنّه فوق الآخرین، ولذا إذا أجار جیش العدو أحدنا کأنما أجاره القائد،.وبهذه الروح تتقوی عزائمنا وتتضاعف إرادتنا وتشتد سواعدنا علی القتال فنغلب الأعداء.

قالوا: وهل بإمکانک أنت أن تجیر جیشنا؟

قال: نعم.

قالوا: فأجر حتی نشاهد صدقک عن کذبک؟.

قال: لا بأس، ثم أخذوه إلی ساحة المعرکة فصاح فی المسلمین: أیها المسلمون، إنی قد أجرت جیش الفرس یوماً ولیلة، فقبل قادة الجیش الإسلامی إجارته لهذا الجیش، وکفوا عن القتال فی المدة المقررة.

وهنا أخذ القادة من الجیش الفارسی ینظر بعضهم إلی بعض، ثم یشیرون إلی حقیقة لم یکن باستطاعتهم طمسها هی أنّ وحدة المسلمین المتماسکة والصادقة، هی السبب فی تقدمهم وانتصارهم.

الهیئات نواة الوحدة

تقدّم الكلام فى السابق أنّ توحيد الصف يحتاج إلى الوعى الكامل وإلى انخراط المسلمين ومشاركتهم فى هيئات وانتظامهم فى منظمات عامة فى الحقول المتنوعة، كحقول تتعلق بأمر الدين وأمر الدنيا، ثم وجود تناسق وتناغم مشترك بين هذه الهيئات والمنظمات بحيث تشكل بمجموعها نسيجاً واحداً متكاملاً، كنسيج الجيش الواحد الذى يتكون من رتل مدرعات ورتل طيارين ورتل مظليين ورتل مشاة وهكذا.

وممّا هو جديرٌ بالملاحظة أن أسوأ ما تُمنى به الهيئات العاملة هو سوء ظن بعضها بالبعض الآخر، وكيل التُّهم جزافاً، ثم المقاطعة ثم عمليات التخريب، مما يصرف كل الطاقات أو أغلبها فى الهدم عوضاً عن البناء، ولذا يصبح ضرر هذه الهيئات فى مثل هذه الحالة أكثر من نفعها فى بعض الأحيان.

لنفترض أنّ هناك فى بلدٍ إسلامى جمعية عاملة ومجلة ومدرسة ومكتبة ونادياً، فالجمعية تقوم بتوجيه اتهام الجمود إلى أصحاب المجلة، وأعضاء المجلة يتهمون طلاب المدرسة وأساتذتها بالعجز عن أداء الخدمة الإعلامية المطلوبة، وطلاب المدرسة يتهمون أعضاء المكتبة باستغلال المكتبة لأغراضهم الشخصية، وأعضاء المكتبة يتهمون المنتسبين إلى النادى بانحرافهم عن الخط الإسلامى، وما ذكرناه من باب المثال، كما هو واضح.

لماذا هذا الاختلاف؟

لماذا هذا التنافر؟ لماذا هذا التراشق بالاتهامات؟

أليس الجميع يعملون لهدف واحد؟

أليس الواحدة من هذه الهيئات تكمِّل الأُخرى؟

وهل مساحة العمل باتت ضيقة إلى الحد الذى لا تتسع للآخرين حتى يتكالب كلٌّ ضد الآخر، فباستطاعة أصحاب الجمعية أن يفتحوا مدرسة، وأصحاب المدرسة أن يفتحوا مكتبة، وأصحاب النادى أن يفتحوا مدرسة وهكذا، فالبلاد الإسلامية هى من السعة بحيث لو أضفنا جميع هذه الأنشطة لما استطعنا أن نستوعبها بكاملها، فالبلاد الإسلامية بحاجة إلى مئات الألوف من المؤسسات والهيئات وغيرها.

وعندما يدخل أىّ مسافر إلى مدينة ما ويرى الأنشطة المكثفة يفرح من قلبه، ويقول: كم هذه المدينة ممتازة وفيها أنشطة كثيرة، لكن ما أن يدخل مدينة أخرى خالية من الأنشطة حتى تشمئز نفسه مما يرى فيقول: يا ليت بينى وبينها بُعد المشرقين، فالذى يراه هو المهاترات والتخريب وكيل الاتهامات والقطيعة.

سألتُ أحد العلماء وقد زار مدينة من هذا القبيل، كيف وجدتها؟ قال: وجدتها معملاً للغيبة والتهمة.

أقول: إنّ أية هيئة عاملة إنْ أرادت التقدم السريع واستقطاب أنظار الناس فليس عليها إلّا أن تشتغل بعيوب نفسها عن عيوب الآخرين سواء كانت هذه العيوب عيوباً حقيقية أو عيوباً وهمية، فإنّ من عادة الناس تعظيم العامل الصامت واحتقار العامل المهاجم، مهما كان له من مبررات التهجم.

إنّ الهيئة إذا لم تتمكن من قطع الطريق أمام المهاترات لا تستطيع العمل بصورة دؤوبة، وهنا تتحقق نصف المهمة وهى إيقاف نصف الحملات؛ لأنّ كل هيئة إذا امتنعت عن المهاترات معناه: زوال نصف هذه المهاترات، ويبقى النصف الآخر من مسؤولية الطرف الآخر.

حكمة بهلول

يُقال فى التاريخ: إنّ كفّاً خرجت من دجلة فى زمن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث كان سجيناً ببغداد، وقد تفرّجت أصابع الكف، وتحيّر الناس فى أمرها لمن هى؟ وما المقصود منها؟ وخافوا أن يذهبوا قريباً منها وازدحم الناس حول النهر ينظرون إليها باندهاش كبير، وأُخبرت السلطة العباسية بذلك، فأرسلت من يذهب إلى الماء ليجد أصل الكف؟ لكنهم فوجئوا بأنّ الكف متصلة

بذراع كأنها حديد لا تتحرك ولا تتزحزح، قال البعض: إنّ ذلك من الغيب، وقال آخرون: إنّه سحرٌ، وفسّر كل واحد منهم تفسيراً.

وبينما هم فی اختلاف واضطراب، مرّ بهلول() فوقف قبال الكف ورفع يده وقد قبض أصابعها إلّا إصبعی السبابة والوسطی، وإذا بالكف الخارجة من دجلة تغوصُ فی الماء وتغيب، فتعجب الناس من هذا الحادث وسألوا بهلولاً عن السبب؟.

قال: إنّ الكف كانت تشير إلی أنه لو اتحدّ خمسة تمكنوا من التقدم، لكنی أشرت اليها بأنه لو اتحد إثنان تمكَّنا من التقدم، ولما رأت الكف صدقی غابت بعد أن وصلت إلی مرادها من توعية الناس إلی طريق التقدم.

فهل هذا صحيح؟ نعم مائة فی المائة، ولكن بشرطها وشروطها.

من المعروف أنّ كفاً واحدة لا تُحدث صوتاً إلّا إذا انضمت إليها أكفٌ أخری، وهذا غير صحيح.

جرّب: اضرب يدك علی الحائط أو أی جسم صلب ثم انظر هل تُحدث اليد الواحدة صوتاً؟ أليس أول كل حركة فكرة إنسان ثم إنسان ثان ثم ثالث، وهلمّ جرّا.

الرسول الأعظم صلی الله عليه و اله كم فرداً كان أول ما نزل عليه الوحی؟ وكم فرداً كان السيد المسيح عليه السلام، وكم فرداً كان موسی عليه السلام،وكم فرداً كان غاندی()؟.

فكل الأديان والمذاهب والتيارات، حقاً كانت أو باطلاً، ابتدأت بفرد، أما شرطها وشروطها، فالشرط الأساسی هو الاستقامة، والشروط هی: الحزم والصبر ومعرفة الظروف والاستفادة من الفُرص.

ولعلّ الكفّ التی ظهرت فی نهر دجلة إن كان الأمر واقعاً كانت تُشير إلی إمكان التخلص من هارون وظلمه بالاتحاد أو كانت تشير إلی إمكان خلاص الإمام عليه السلام من السجن بالاتحاد، وسواء أكان هذا أم ذاك فلم يعمل المسلمون للتخلص من هارون وعصره المُظلم الأسود.

ولم يُقدم الشيعة علی تخليص الإمام عليه السلام من السجن فذاقت كلتا الطائفتين وبال عدم عملهما.

ربَّ مشهور لا أساس له

اشتُهر عند جماعة من المغفلين تسمية عصر هارون العباسی() بالعصر الذهبی، لنری هل صحيح هذا أم مغالطة؟ أم أنّ ذلك من قبيل قلب المفاهيم كما يُسمی الأسود أبيض والأعمی بصيراً؟.

إنّه يكفی للدلالة علی ظلم هارون أن نعرف أنه أقام حكومته علی أجساد العلويين، وكان يقتل فی كل ليلة ستين علوياً بين شيخ وشابٍ ويلقی بجثثهم فی البئر()، لا لظُلم اقترفوه إلّا لأنّهم قالوا له: قف عند حدّك ولا تتخذ مال الله دولاً وعباده خولاً، ويكفی قتله للإمام موسی بن جعفر عليه السلام بعد أن سجنه وقد أطال سجنه لا لجرم ارتكبه، إلّا لأنه عالمٌ عابدٌ مصلٍ صائمٌ يهدی إلی الحق، ويرشد إلی الصواب..

وفی دولة هارون كان الفجور والخمور والخلاعة المنتشرة فی البلاط العباسی، وكان هارون أول من يعقر كاسات الخمر مع ندمائه من أمثال أبی نُواس()، ولا مكان للأخيار فی حكم هارون العباسی، ثم ماذا كانت حصيلة ذلك المُلك العريض الذی يُقال عنه إنه كان يقول للسحابة: «أمطری حيث شئت فسيأتينی خراجك» ().

فهل كان فی عهد هارون اختراعٌ علمی بالمستوی المطلوب؟.

أم تقدمٌ فكری؟.

أم تقدّم حضاری؟.

هل تم اكتشافٌ علمی فی عهد هارون العباسی بالمستوی المطلوب؟.

إنّ من المخجل حقاً أنْ يُسمّی عهد هارون بالعصر الذهبی وهو الذی يسهر الليالی مع الغلمان والجواری، يعقر الخمور ويرتكب

الفجور، لقد فاتت هارون الفرصة الذهبية. فكان باستطاعته أن يجهِّز الجيوش لنشر دين الله الحنيف، وكان بمقدوره أن ينشر الفضيلة والتقوى، وكان باستطاعته أن يفتح فى كل قرية مدرسة لكثرة العلماء ولوفرة الأموال، فماذا فعل هارون حتى يستحق هذا اللقب؟.

هل ترك شيئاً يستحق الذكر والتفاخر؟!، فهؤلاء البابليون والكلدانيون والفينيقيون والسومريون والآشوريون والفراعنة والساسانيون وغيرهم وغيرهم ذهبوا وتركوا لنا آثاراً تدل على حضارتهم وتقدمهم.

أما هارون فماذا ترك لنا وذهب؟.

أجل ترك لنا قصائد المجون التى كانت تُتلا فى مجالسه.

ترك لنا حفلات الرقص والغناء والزنا وصنع المخنثين وشرب الخمور ولعب القمار.

ترك لنا كبت الحريات وخنق الأنفاس وإشاعة الفوضى وقتل الأبرياء.

لقد بيّض هارون العباسى وجه جنكيز خان()..

ونيرون()، وهتلر()، وموسولينى()، وستالين() وأضرابهم.

إن من المخجل حقاً أن يأتى أديسون() بموارده المحدودة بثلاث آلاف اختراع، أحدها الكهرباء ويؤتى بمُلك هارون الواسع والعريض ببضع ترجمات لبعض الكتب وساعة إن صحت هذه المقولة، فعلى أى منطق يُسمى هذا العصر بالعصر الذهبى؟!

إقصاء العلماء عن الحياة

برع الغربيون وعملاؤهم فى العراق فى ابتكار آخر الأساليب والطرق التى تكفل لهم إزاحة علماء الدين والمتدينين عن مراكز الحكم، مستخدمين شتى الحيل فى ذلك، مثل: أسلوب الاتهام وأسلوب التجميد وأسلوب القتل والتشريد وأسلوب الإغراء.

فقد كان العلماء مُتّهمين بمختلف التّهم المزعومة، اتُهموا بالتجسس والعمالة كما كان يحدث فى زمن الملكيين والجمهوريين فى العراق، وكان الإنجليز إذا أرادوا تحطيم سمعة عالم من العلماء، اتهموه بالعمالة لهم.

واستخدموا أساليب التجميد، فقد رأيتُ شخصاً كبيراً، التفّ حوله جماعة من المرتزقة، وأدخلوا فى روعه أنهم ثقات، ثم جمّدوه عن التحرك بوحى من عملاء المستعمرين.

وأما أسلوب القتل والتشريد، فالجميع يعلمون، كم قتلوا، وكم شردوا من رجال العلم ومن المتدينين؟.

وأما أسلوب الإغراء؛ فأتذكر أن السلطات كانت تمدح كل رجل دين لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يتدخل فى الأمور الاجتماعية، وكان الرؤساء والمسؤولون يزورون كل من هو على هذه الشاكلة، بينما كانت الحكومة تهمل زيارة العالم النشط وتذمُّه قائلةً له: ما له والتدخل فى الشؤون السياسية؟! فالواجب عليه أن يصلّى جماعة وأن يستخير ويُجيب عن الأسئلة الفقهية فقط.

وفى نظر السلطة أن واجب الخطيب هو وعظ الناس وإرشادهم فقط وتعليمهم الصلاة والصيام ثم ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

وأخذت هذه الفكرة، تنتشر فى المجتمع، فالناس على دين ملوكهم، وهكذا حتى وصلت الحالة إلى أن (ذكر المقارنة بين الدجاجة المحلية والدجاجة الأمريكية) صار سياسة. وأن التكلُّم حول تحريف اليهود للقرآن، صار سياسة، وهى أمور محظورة!.

وقامت السلطات باعتقال أحد الكتّاب؛ لأنه كتب كتاباً حول تحريف اليهود للقرآن الكريم()!.

الاستعمار ورجال الدين

ومن باب الطريفة: أنّ خطيباً صعد المنبر وقال: أيها الناس، إن الإمام الحسين عليه السلام، أصابه الزكام فى المدينة المنورة فى يوم من الأيام، ثم اشتدّ مرضه، ولم ينفعهُ معالجة الأطباء حتى ابتلى بمرض ذات الرئة، وتوفى هناك!، ثم شيع جثمانه تشيعاً لائقاً به وصلى عليه

ولده الإمام السجاد علیه السلام، وأودع فی البقیع علی رسم الأمانة، ثم نقُل جثمانه الطاهر إلی کربلاء المقدسة!.
ثم نزل الخطیب من المنبر بعد أن أدّی مراسم الدعاء، فضج الناس لکلامه هذا، مستنکرین هذا التحریف، وانتشر خبر الخطیب فی الأرجاء، فاستدعی من قبل السلطة؛ یسألونه عن کلامه هذا وما مغزاه، وأرادوا إدانته؛ لأنه تسبب فی البلبلة.
قال لهم الخطیب: إنکم تمنعون الخطباء من التکلم فی هذا الموضوع، فإذا قلتُ: یزید بن معاویة الخمار، أو یزید المستبد، أو یزید اللاعب بالکلاب قتل الحسین علیه السلام العابد، الزاهد، المصلّی، الصائم، الآمر بالمعروف، والناهی عن المنکر، والمجاهد فی سبیل الله، قلتم: لِمَ ذَکَرت الخمر، وذکرت الاستبداد، وذکرت لعب الکلاب، وذکرت الأمر بالمعروف، والنهی عن المنکر، وذکرت الجهاد؟! وإذا لم أذکر هذا وذاک، فعلمونی کیف أذکر مصاب الإمام الحسین علیه السلام، وماذا أقول فوق منبری؟ وهل تأمرون بأن أترک المنبر وأصبح بقالاً؟!
هکذا استطاع المستعمرون وأذنابهم، أن یصادروا الوعی من عند المسلمین، وتبعاً لانعدام الوعی أصبح المسلم یظنّ أنه غیر مسؤول، ولذا أخذ کلٌّ جانباً، وتجنّب العمل، خصوصاً العمل الاجتماعی الذی هو المقصود فی ما نحن فیه، وإذا أراد الإنسان العمل، نصحه أصدقاؤه بترک العمل؛ خوفاً من المشاکل، وحتی إذا تبنی العمل، فإنما یتبناه إذا کان عملاً سطحیاً، ویتجنب الأعمال التی فیها عمق.
إنِّی رأیتُ أشخاصاً، یتجنّبون التفاف الشباب حولهم خوفاً من أن یُقال لهم: إنّه (حزبی)، کما رأیت شباباً یتجنّبون العمل خوفاً من التهمة نفسها، کما رأیت أناساً یتجنبون التکلُّم حول الاقتصاد،والحریات الإسلامیة،وحقوق العامل والفلاح؛ خوفاً من أن ینسب إلیهم التبعیة للرأسمالیة أو الشیوعیة.
إنَّ عملیة الإنقاذ بحاجة ماسَّة إلی العمل، والعمل لا یثمر إلّا عندما یصبح عملاً جمعیاً، فالعمل الفردی فوائده قلیلة جداً ف ید الله مع الجماعة ()، والعمل الجمعی لا یکون إلّا بالوعی، والوعی له مقومات من أهمها: الرؤیة الثاقبة، والممارسة الصحیحة. فبدون الرؤیة، لایتحقق الوعی، کما وأنه بدون الممارسة لا تکمل الرؤیة، قال الله تعالی: وَالَّذِینَ جَاهَدُوا فِینَا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنَا () فالهدایة الکاملة إنما تکون بممارسة الجهاد.
إنَّ مَثل الهدایة مثل الاکتشاف، فکل اکتشاف یفتح للإنسان الباب لاکتشافٍ آخر مکمّل للاکتشاف الأول. کذلک الجهاد، وهو من ثمرات الهدایة البدائیة فهو سببٌ للهدایة الکاملة، ولذلک قال سبحانه: سُبُلَنَا بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد.
وکیف کان، فاللازم علی المتدینین أن یزدادوا وعیاً، وأن یعودوا بقوة إلی مزاولة الحیاة، سیاسیاً، واقتصادیاً، وغیر ذلک من سائر الحقول، وإلّا فمادام المتدینون منسحبین عن الحیاة لا یتمکنون من إقامة کلمة الله وحکم الله فی الأرض، فالکلمة والحُکم لمن سیطر، محقّاً کان أم علی باطل.

من مقومات الحرکة

من أهم مقومات أیة حرکة هم الجماهیر، فمن فقد الجماهیر؛ لا یتمکن من الحرکة، ومن وجد الجماهیر، تمکّن من الحرکة، والجماهیر کانوا ولا یزالون علی نمط واحد، فبمقدار ما تتمکن الحرکة من کسب الجماهیر، تتمکن من الوصول إلی أهدافها، وإلّا فهی لا تقدر علی شیء.
إنَّ العالِم الدینی الذی لا جماهیر له، لا مقلِّدین له أیضاً، والخطیب الذی لا جماهیر له، لا یُسمّی خطیباً، والمؤلف الذی لا جماهیر له، لا قیمة لکتبه، والإمام الذی لا جماهیر له، لا یتمکن من إقامة صلاة الجماعة، وحتی الحاکم الذی لا جماهیر له یسقط بصورة طبیعیة، أو یُسقطونه بالقوة، لذا فإنّ من أراد العمل، أول ما علیه هو الحفاظ علی الجماهیر بکل ثمن، والإنسان إذا لاحظ المصلحین والمراجع الکبار، رأی أهم میزة فیهم أنَّهم یلاحظون الجماهیر، حتی قال رسول الإسلام صلی الله علیه و اله: (إنه ما من مرة نزل علیّ جبرائیل إلّا وأمرنی بمداراة الناس)().

فمن تبجّح بأنه صريح، وأنّهُ لا ـ يعرف المداراة، يجب عليه أن يعيد النظر فى تعامله، فالمداراة هى أساس النجاح فى العمل، مثلاً الخطيب الصريح الذى يستمع إلى مواعظه ألف إنسان؛ يجب أن يعلم أنه إذا كان مُدارياً، كان سامعوه خمسة آلاف.
كما وأن توحيد الفئات، ورصَّ الصفوف بحاجة إلى المداراة، والمداراة لا تعنى ألّا يكون الإنسان صريحاً بل يجب أن يكون صريحاً بتعقل وحكمة. وهذا معنى المداراة().

مداراة المجدّد الشيرازى

يُنقل عن المجدد الشيرازى رحمة الله عليه أنّهُ وكَّل عالماً على بلدة، وبعد مدة قصيرة تصرَّف ذلك العالم ببعض التصرفات غير اللائقة، وجاء بعض الثقات إلى المجدد، وأخبروه بتصرف ذلك العالم المشين، وطلبوا منه عزله، لكن المجدد لم يعزلْه. وتكرّر الأمر فى المرة الثانية والثالثة، وفى كلِّ مرَّةٍ، كانوا يراجعون المجدد، و المجدد لا يحرك ساكناً حتى طار صوابهم، فقالوا للمجدد بعد نفاذ صبرهم: هل أنتم فى شك من كلامنا؟!.
قال المجدد: كلا، فإني أعتقد بما تقولون، ولكنى أفكرُ فى شىء وهو أنّ هذا العالم، كان له من المنزلة عند الناس مقدار خمسين فى المائة مثلاً ووكالتى له زادته خمسين فى المائة أخرى، فصار اعتباره مائة فى المائة، فإذا عزلته أخذتُ منه ما كان له وما زدته أنا، ولا يحقّ لى شرعاً أن آخذ ما كان له، ولذا أفكرُ فى طريقة أستطيع بها أن آخذ ما زدته وأبقى ما كان له من الخمسين مثلاً.
أقول: مثل هذا المرجع المدارى للناس إلى هذا الحد، يستطيع أن يحقق وحدة الصف، وبالتالى يتمكن ومن خلال الوحدة أن ينسف المستعمر بفتوى واحدة.

جاسوس بزىّ راهب

روى لى أحد الثقات، قال: جاء إلى مدينة كربلاء المقدسة أحد الوزراء فى العهد القاجارى()، وكان صديقاً لى، وإنّه حكى لى هذه الحكاية:
قال الوزير: كان فى بعض الجبال الموجودة فى أطراف طهران راهب مسيحى، يتعبّد لله فى صومعته منذ عشرات السنين، وكان بمرأى ومسمع من القوافل الذاهبة والعائدة، وكان الناس معجبين بعبادته وانقطاعه عن الناس.
وفى ذات يوم جاءنى إنسان وقال: إنّ الراهب الفلانى يدعوك فى يوم كذا فى صومعته، قال الوزير: فتعجبتُ وقلتُ فى نفسى: ما للراهب ولى؟ ولكنى لبّيت دعوته.
وفى اليوم المحدد، ذهبتُ إليه، وإذا بى أرى جماعة من الشخصيات أيضاً عنده مما تبين أنهم كانوا مدعوين، مثلما أنا مدعوٌّ، وكل من جاء كان متحيراً من هذه الدعوة غير المرتقبة.
قال: فتكلّم الراهب، وبلغ عمره مائة ونيفاً، حسب ما يظهر من تقاطيع وجهه.
قال: قد انقضى عمرى وقرب موتى، ولا أظن أنّه بقى من عمرى إلّا أيامٌ معدودات، وأنى دعوتكم لأمرين:
الأمر الأول: أن أظهر الإسلام أمامكم؛ لتشهدوا لى يوم القيامة عند رسول الله صلى الله عليه و اله بإسلامى، فإذا متُّ جهّزوا جنازتى حسب المراسيم الإسلامية، فإنى بمطالعاتى اقتنعتُ أنَّ الإسلام على حقٍّ، وأنَّ المسيحية منسوخة.
الأمر الثانى: أُريد أن أُبيّن لكم حقيقة مهمة، وهى:
أنى ومنذ شبابى أسكن هذا الجبل وفى هذه الصومعة، وفى الظاهر أنا راهب، ولكن فى الباطن كنتُ جاسوساً بريطانياً على إيران، وكنت مركزاً للأخبار التى أجمعها بواسطة عملائى عن العشائر والبلاد، وكنتُ أراقب تحركات إيران، وأُقدم التقارير حول هذا الأمر، وقد تبتُ إلى الله عزوجل، بعدما عرفت أحقِّيَّة الإسلام عن سالف أعمالى وإنى أعلمكم أن هناك من أمثالى الكثير فى البلاد

الإسلامية وهم جواسيس متلبسون بلباس الرهبانية أو الأطباء أو ما أشبه ذلك، وأعمالنا الرئيسية هى الاستطلاع وإيجاد الفرقة والاختلاف بوسائلنا الخاصة،فلا تعتمدوا بعد ذلك على مظهرنا الخارجى.

قال الوزير:

إن الرجل قال كلامه هـذا وقد تعجب الجميع من ذلك، وكان عجبهم من الأمر الثانى أكثر من عجبهم من الأمر الأول؛ إذ ليس هناك من يستطيع أن يستوعب أن مثل هذا الراهب المنقطع فى هذا الجبل لعشرات السنين، يصبح جاسوساً بهذا الزّى.

قال الوزير:

ولم تمض بعد ذلك إلاّ مدّة قليلة حتى أُخبرنا بأنّه قد مات، وعمل بحسب وصيته من تجهيزه ودفنه فى مقابر المسلمين().

أقول: المشكلة ليست فى بعث الجواسيس إلى بلادنا، المشكلة تكمن فى ضعف الجسد الإسلامى وتمكن الجواسيس من اللعب بمقدرات المسلمين، فالميكروب موجودٌ فى الهواء دائماً لكن لا يصيب إلاّ الإنسان الضعيف قليل المناعة، أما قوىّ المناعة فلا يُصاب بالميكروب أبداً.

فالحكومة العثمانية() والحكومة القاجارية، لم تكونا بالمستوى المطلوب، ولم تكونا بالدرجة المثلى، فبينما كان الغرب يتقدم أشواطاً إلى الأمام، كانت الحكومتان ترقدان فى نوم عميقٍ، وكانتا تكرران عبارة (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)()، وكان حكامهما يعتقدون أنّ هذه العبارة كافية لصنع التفوّق، ناسين أو متناسين الآية الكريمة: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (). والآية الكريمة ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (). والحديث الوارد عن أبى عبد الله عليه السلام: (أبى الله أن تجرى الأشياء إلاّ على الأسباب)().

لقد ولّى ذلك العهد، ولم يعد للحكومة القاجارية، ولا للحكومة العثمانية وجودٌ بيننا.

وهلُمّ إلى واقعنا اليوم:

فهل حكوماتنا اليوم بالمستوى اللائق؟

وهل شعوبنا حسب الوصف المطلوب؟

ذلك سؤالٌ يُجيب عليه منطق تأخر المسلمين القاتل. ومنطق تفوُّق الغرب والشرق الساحق.

فمن غير المشكوك إخلاص بعض الجماعات فى الشعوب، ولكن هل الإخلاص وحده ينفعنا؟، إنَّه ما لم نأخذ نحن المسلمين بكل أسباب الدنيا، بالإضافة إلى الأخذ بأسباب الدين، لا يمكن أن نتفوق مطلقاً، فإذا أخذنا بالدنيا وحدها، وعلى فرض تمكننا الكبير فى مجال الدُنيا وإحاطتنا الكاملة بها، إلاّ أننا سنكون حينذاك مساوين لغيرنا فى هذا المجال، أما إذا أخذ بالدنيا وبالدين معاً فسنتفوّق على الآخرين، ولَتقدمنا على الآخرين؛ لأن ما عندنا ونحن متحدّون أكثر مما لدى الآخرين.

فلو جمعنا الموارد فى بلادنا الإسلامية لكانت أكبر من موارد الولايات المتحدة وأكبر من موارد أية دولة عظمى أخرى.

ومعنى ذلك سيكون عالمنا الإسلامى هو القوة العظمى لكن هذا لا يتحقق إلاّ من خلال الدين.

فالدين وحده يوحدنا ويرتب صفوفنا.

أمّا إذا تخلينا عن الدين، فسنبقى متفرِّقين متمزّقين، والتمزّق لا يأتى إلاّ بالتراجع إلى الخلف، بالإضافة إلى أنّ البعثرة والتشتت ستزيدنا ضعفاً على ضعفنا؛ لأن الواحد منَّا سيُحارب الآخر، وهذه هى النتيجة الحاسمة لكل بعثرة وتشتّت.

تطويق الخلافة العثمانية

لقد اشتركت الحكومات الغربية بأجمعها فى تمزيق الخلافة العثمانية، وبالأخص دولة بريطانيا()، ومن شاء المزيد من المعلومات فى هذا المجال عليه بكتاب (أعمدة الحكمة السبعة) للورنس العرب، وسيجد أن الدور الذى كان يقوم به لورنس هو توجيه فيصل بن الحسين توجيهاً مباشراً()، وفيصل يومذاك كان من أبرز القادة العرب الذين قاموا بالثورة ضد العثمانيين.

إنّ فيصلًا وأمثاله، كانوا يعملون من الداخل، أمَّا الإنجليز والفرنسيون والروس، فكانوا يعملون من الخارج، حتى تمكنوا من هدم الإمبراطورية الواسعة الأرجاء().

وممّا يذكره لورنس: لمّا دخل فيصل سوريا فاتحاً، ضرب موعداً بينه وبين (الجنرال أللنبى)()، ذهب فيصل إلى (أللنبى) برفقة لورنس().

فكان ممّا قاله لورنس عند لقاء الطرفين: (لقد قُدتُ الهلال إلى الصليب بعد حرب دامت ألف سنة)().

والإشارة إلى الحروب الصليبية التى فتكت بالأمة الإسلامية، والتى انتهت إلى انتصار الصليب على الهلال، ذلك الانتصار الساحق؛ وأى انتصارٍ كان أعظم من انتصار الكفار على المسلمين، انتصاراً فكرياً وعملياً، ذلك الانتصار الذى هدَّم دنياهم، وجعلهم يتركون دينهم، وهذا ما يُعبَّر عنه بالاستعمار الفكرى. وتتكرر المأساة اليوم مرّةً أخرى ومرّةً ثانية وثالثة.

فالمسلمون؛ تراهم اليوم أكثر سرعة من الغرب فى تمزيق الإسلام، فهل كانوا مجبرين على وضع القوانين المخالفة للإسلام؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الخمور وبيعها بصورة علنية فى أسواق المسلمين؟!

وهل كانوا مجبرين على إباحة الربا فى البنوك؟!

وهل كانوا مجبرين على أن يميز الواحد منهم الآخر، هذا كردى، وهذا عربى، وهذا تركى، وهذا فارسى؟!

لقد اتجهت حكوماتنا الإسلامية إلى الأمور الجزئية، وتركت الأمور الرئيسية، اتجهت الحكومة العثمانية إلى سياسة التتريك بدلاً من سياسة نشر الوعى الدينى.

وأخذ الولاة المسلمون، يحتقرون المسلمين من غير الترك، كما أخذوا يُضيِّقون الخناق على الشيعة فى العراق() وغير العراق، ولذا وجدنا الجميع، قد ثاروا ضد الخلافة العثمانية؛ لأنَّها كانت حجر عثرة أمام تقدّم المسلمين فى عصر كانت فيه كل الشعوب تتسابق نحو التقدم.

وبسبب هذه السياسة الهوجاء، قامت الشعوب بالثورة على الخلافة العثمانية، وقد تصدّى العثمانيون للثوّار بشكلٍ قاسٍ فنصبوا المشانق، وساقوا الناس إليها.

فكل من اطّلع على حياة «بالدز» فى تركيا، ومجازر جمال باشا السفاح فى لبنان وسوريا، ومجازر حمزة بك فى العراق، يدرك حجم ذلك؛حيث إنهم قتلوا ونكّلوا وعذّبوا الأبرياء وسجنوا الصالحين وصادروا أموال الناس.

وكان الأمر يزداد سوءاً على سوء، وقد اغتنم الغرب والشرق تلك الفُرصة الذهبية للانقضاض على الخلافة العثمانية، وتمكّن الغربيون من تحطيم هذا الكيان خلال بضع سنوات بينما استغرق بناؤه أكثر من خمسة قرون.

ويعود السبب فى ذلك إلى التفرقة، وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول: وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ () و وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا ().

كانت سوريا الكبرى جزءاً من الخلافة العثمانية، وكانت تضم كلًا من لبنان وفلسطين والإسكندرونة وسوريا والأردن، فكل هذه الدول كانت تشكل بلداً واحداً، ولمّا جاء المستعمرون فى الحرب العالمية الأولى()، قسّموا هذه البلاد، فأعطوا لبنان للمسيحيين، وفلسطين لليهود، والإسكندرونة للأتراك، وجعلوا سوريا والأردن دولتين مستقلتين، ولكل دولة حُماة، وقادة، ودُعاة، وعندما أعلنت عصبة الأمم() عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها، تشكل وفدٌ من هذه البلاد وذهب إلى عصبة الأمم لتقرير مصير شعوبها وإرجاع بلادها واحدة كما كانت.

ألف سنة لتفريق المسلمين

وكان من جملة الوفد شخصٌ مسيحى اسمه بطرس، يقول هذا الرجل: (فجئنا، وذهبنا، ولقينا من لقينا، وتكلّمنا. ولكن كانت النتيجة

التسویف، والمماطلهٔ، والوعود، والکلام المعسول) کما هو الحال الآن حول فلسطین.

قـال بطرس: وفی ذات یوم، اسـتدعانی أحـد زعماء الغرب، والـذی بیـده زمام الأمور، وقال لی بالحرف الواحـد: (عزیزی بطرس، أنت لماذا؟ قلت: ولِمَ؟، قال: إنّا تعبنا ألف سـنهٔ منذ الحروب الصـلیبیهٔ کی نفرِّق هؤلاء المسـلمین()، والآن تمکَّنا من ذلک، فالمسـلمون إذا کانوا یطلبون الوحدهٔ، کان لهم الحق فی ذلک، أما أنت المسیحی، لماذا جئت معهم()؟!

أغرقوهم بالفرقهٔ

قال أحد الزعماء الصـلیبیین لأعوانه بالنسبهٔ للمسلمین: «أغرقوهم بالفُرقهٔ»، وکان الأمر کما قال؛ حیث انتشرت التفرقهٔ فی بلاد المسلمین بکافهٔ صنوفها وأشکالها:

۱: التفرقهٔ فی العنصریهٔ.

۲: التفرقهٔ فی الإقلیمیهٔ.

۳: التفرقهٔ فی لون البشرهٔ.

۴: التفرقهٔ فی القُطر.

۵: التفرقهٔ فی البلد.

۶: التفرقهٔ بین المالک والفلاح والعامل.

۷: التفرقهٔ بین السیاسهٔ والدین.

۸: التفرقهٔ بین الأقوام والأعراق.

۹: التفرقهٔ بین أبناء المحلهٔ وأبناء المحلهٔ الأخری.

۱۰: التفرقهٔ بین الحکومهٔ والشعب.

۱۱: التفرقهٔ بین هذه الفئهٔ وتلک، وبین هذا الحزب وذاک.

شعار عدم التفرقهٔ

من یریـد العمل من أجل إنقاذ بلاد المسـلمین من براثن الغرب، علیه أولاً وقبل کل شـیءٍ أن یرفع شـعار (عدم التفرقهٔ)، فإنَّ رسول الله صلی الله علیه و اله انتصـر عندما رفع هذا الشـعار وطبّقه علی واقعه، فقد جمع بین بلال الحبشـی، وسـلمان الفارسـی، وصهیب الرومی، وأبی ذر العربی، فلا فرق فی الإسلام بین اللون والجنس واللغهٔ.

کما کان المدنی، والمکی، والیمنی، والبحرانی بمنزلهٔ واحدهٔ، وهکذا کانت جمیع الشعوب والطوائف منصهرهٔ فی بوتقهٔ واحدهٔ تحت لواء الناس سواسیهٔ ()، و إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاکُمْ ().

ولو کان رسول الله صـلی الله علیه و اله یفعل ما یفعله المسـلمون الیوم، لما کان قـد بقی من الإسـلام شـیءٌ، ولم یحقق الانتصار الکبیر علی دول الشـرق والغرب، لقد أصبـح حالنا ونحن نختلف لأبسط الأمور، نختلف حول هلال شـهر رمضان، وهلال شهر شوال، وهلال شهر ذی الحجهٔ، مع أن الشهر یثبت برؤیهٔ الهلال؟ وطالما للرؤیهٔ میزان ومعیار، فلماذا هذا الاختلاف؟!.

إنّ منشأ جمیع هذه الاختلافات غالباً هو الهوی().

قلت: (غالباً)، لأنه نادراً ما یکون الاختلاف حسب الاجتهاد.

ثم إنّ ثقـهٔ الشـهود لا تعتبر عنـد بعض طوائف المسـلمین، بالإضافهٔ إلی ذلک یمنحون جائزهٔ لمن رأی الهلال، وماذا سـتکون النتیجهٔ؟ طبعاً عیداً سعیداً فی کل عید، عیداً بلا اختلاف، وصوماً بلا اختلاف.

عدم رعایة الموازین

ذات مرّة حکم القاضی بهلال شهر شوال، ولما استفسر عن الشهود، قیل: إنّ شاهداً واحداً شهد الهلال، فذهب جمعٌ إلی ذلک الشاهد وسألوه: هل أنت رأیت الهلال؟، قال: نعم.

فأقسموا علیه بدینه ومذهبه إن هو شاهد الهلال.

قال: لم أر الهلال؟.

فقالوا له: ولِمَ قلت ذلک؟.

قال: رأیت أنّ أمة محمد قد هلکت من الصوم، فقلت: أفرّج عنهم قلیلاً.

إن مثل هذا الرجل مثل ذلک الجاهل الذی سرق خبزاً ورماناً، ثم تصدق بهما، ولما سئُل عن ذلک؟ قال: السرقة سیئة واحدة، والتصدّق بعشر حسنات، وإذا طرحنا السیئة الواحدة عنها، بقیت لی تسع حسنات.

إنَّ الاختلاف حول الهلال، ینشأ غالباً من عدم الخوف من الله عزوجل، ومن عدم رعایة الموازین الإسلامیة فی الشهادة.

إنی لا أقول بتوحید بلاد المسلمین فی أول الشهر، فإنَّ استظهاری الفقهی علی خلاف ذلک، کما ذکرناه فی الفقه()، فحال الصیام حال الصلاة فی اختلاف الأفق، وإنّما أقول: لماذا الاختلاف فی قطرٍ واحدٍ وبلدٍ واحدٍ؟

ألیس هذا الأمر یُوجب الأسف الشدید، وکثیراً ما یصبح النزاع علی شیءٍ وهمی.

لک وحدک الربح

ومن الحکایات التی مرّت علینا فی حیاتنا، ذات مرّة کنا مُسافرین من بلدٍ إلی بلدٍ آخر وکان للسیارة دلّالان، قد جمعا أجرة الرکاب، وکل واحد منهما توهّم أن الآخر هو الذی فاز بحصة الأسد ثمناً للدلالة، فتنازعا داخل السیارة ونحن سائرون حتی وصل الأمر إلی الضرب، وتوسط الرکاب بینهما، وأقنعوهم بالحل الوسط، وهو أن ننزل فی أول محل استراحة، ویکون الربح بینهما بالتناصف، قبل کل واحدٍ من الدلالین هذا الحل علی مضض، ونزلنا فی أول موقف لحل المشکلة، وبعد أنْ أجرینا الحساب تبیّن أن الربح لا یزید عن أربعة فلوس عراقیة فقط، وکانت الأجرة المقررة لکل راکب فی ذلک الوقت فی العهد الملکی هی عشرون فلساً.

أُغرق الجمیع فی الضحک لهذه النتیجة، أما الدّلالان وبعد أن شرب کل واحد منها جرعة کبیرة من الخجل، قال للآخر: لک وحدک الربح، أنا لا أریده.

سوء الظن بالآخرین

ویذکر فی التاریخ أنّ فقیرین أحدهما أعمی والآخر بصیر،کانا یستعطیان، فقدّم لهم أحد الخیّرین سلَّة من العنب، فأخذ الأعمی یأکل حبّة حبّة، ثم أخذ یُسرع فی التهام السلّة حبّتین حبّتین، ثم أخذ یلتهم العنقود مرّة واحدة، ثم أخذ السلّة بعده وقال لزمیله: ما لک قد أکلت کلّ العنب، وقد حرمتنی منه؟ والحال أن صدیقه المُبصر لم یأکل بعد ولا حبّة واحدة.

أقول: إنّ أغلب المنازعات التی تقع بین الأفراد هی من هذا القبیل، فإمّا أن یکون النزاع علی شیء تافه جداً أو علی لا شیء.

إنّ بعض الظن إثم

شاهدتُ فی حیاتی الکثیر من هذه المنازعات، فذات مرّة حضرت مجلساً لأحد الخطباء، وشاهدت الحاضرین وکأنَّهم لا یعرفون اللغة الفارسیة، وکان الخطیب یُلقی خطبته باللغة الفارسیة.

وبعد لیلة حضرت مجلس خطیب ثانٍ، وکان الحاضرون کلهم من الشباب، ولا یعرفون إلاّ العربیة، والخطیب یُلقی علیهم باللغة العربیة. وبعد انتهائه من الخطاب اشتکی لی الخطیب أن زمیله قد سحب أهل مجلسه، فقلت له: من حسن الصدف أنی کنت حاضراً مجلس زمیلک اللیلة البارحة، وکان الأمر خلاف ما تقول، وبعد توضیح من قبلی، قبل هذا الکلام علی مضض.

الخبر الکاذب

وهنا تذکرت قصة من اصطدمت سیارته، فأشیع أنّه قد مات، وأقام بعض أصدقائه مجلس الفاتحة إلی روحه، وینقل لی القصة نفس المیت المزعوم. وهو حالیاً حیّ یُرزق.

قال: دخلتُ مجلس فاتحتی وأنا أعلم لمن الفاتحة، وإذا بالجمیع ینـدهشون، ویتفاجؤون بمیتهم یرونه حیاً، وأخذ الجمیع یسألوننی: ألست متّ فی حادث السیارة؟

قلتُ: کلا، وإنی الآن حیٌّ والحمد لله.

قال أحدهم: عجیب، لقد نقل لی شخص أثق به أنک قد متَّ!.

اختلاف فی محل اختفائی

لظروف أمنیة، اختفیت فترةً من الزمن فی عهد الاستبداد البعثی فی العراق، الذی جاء بقطار أنجلوأمریکی() وکنت خلال فترة اختفائی علی اتصال دائم بالمجتمع عبر الأقرباء والأصدقاء الخاصّین().

وقد راحت حول اختفائی تسعة أقوال:

قسم قالوا: إننی فی کربلاء المقدسة فی محلة حی الحسین علیه السلام.

وقسم قالوا: إننی فی قریة الجریة القریبة من کربلاء فی إحدی البساتین.

وقسم قالوا: إننی فی النجف الأشرف.

وقسم قالوا: إننی فی بغداد.

وقسم قالوا: إننی فی الکاظمیة.

وقسم قالوا: إننی فی الکویت.

وقسم قالوا: إننی فی سوریا.

وقسم قالوا: إننی فی لبنان.

وقسم قالوا: إننی فی إیران.

وکان بعض الناقلین لهذه الروایات، یقولون: إنهم رأونی فی المکان المعین.

وکل هذه الأقوال لا أساس لها من الصحة إطلاقاً،فإنی لم أمرّ علی تلک المناطق التی ذکروها حتی مرور الکرام، فکیف البقاء فیها؟!.

التجربة أکبر برهان

إنَّ الأخبار التی تتناقلها الألسن لا تتطابق مع الحقیقة مائة بالمائة، فهناک إضافات علی کل خبر، یضیفها الشخص الناقل، بناءً علی حالته النفسیة والاجتماعیة، ویمکن أن نجرّب ذلک فی أیة حادثة تقع، من موتٍ، أو عرس، أو دهسٍ، أو ما شابه ذلک، فلو کان خمسة أشخاص شاهدوا الحادث، لکان لکل واحد من هؤلاء الخمسة روایة خاصة به، تختلف عن روایة الشخص الآخر.

ولو أردت أن تجرّب هذه القضیة بصورة عملیة، اهمس فی أذن شخص کلاماً معیناً، واطلب منه أن ینقل هذا الکلام همساً فی أذن

شخص ثـانٍ، ثم الثـانى ينقـل للثالث، ثم الثالث ينقل للرابع، ثم الرابع ينقل للخامس، ثم إسأل الشـخص الخامس ماذا وصل إليك عن ذلك. فحتماً سينقل شيئاً غير الذى همست فى أذن الأول، إما يُنقِص من الكلام أو يُضيف عليه.

وهذا هو السر وراء هذا الاختلاف الذى نشاهده فى أرقام التاريخ وفى حوادث الحياة.

حتى نجد هذا الاختلاف فى تاريخ مواليد ووفيات الأئمّة، ? مما هو ليس محل الكلام الآن.

والمقصود: أنه كثيراً ما يكون سـبب النزاع والاختلاف، سوء الظن والأخبار الكاذبـة عن عمدٍ أو اشـتباه، فاللازم على الإنسان أن يُحقق ولا ـيبنى عمله على شـفا جُرفٍ هـارٍ فانهـار به فى نار الفُرقـة والاختلاف، الأمر الـذى يحرق أولاً من أساء الظنّ ثم يحرق غيره. قال الله تعالى: اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ().

وفى آية أخرى: وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ().

نازع الأسد دون الهرّة

أحد الحكماء أوصى ولده قائلاً له: لا تُنازع أحداً، وإن نازعت، فاحفظ هذه الحكمة: (لا تُنازع هراً بل نازع الأسد)، معللاً ذلك: أنك إن نـازعت الهرة سواء غَلبت أو غُلبت، فـأنت مغلوبٌ لا ـ محالـة، أما إذا غَلبت قال الناس: ألا يخجل فيُنازع الهرّة؟، وأما إذا غُلبت فأنت مغلوبٌ ومهان.

أمّا إذا نازعت الأسد، فإنك غالبٌ، سواءٌ غَلبت أو غُلبت، قال الناس: إنه عظيم حيث يستعدّ لمنازعة الأسد.

لا طاقة لى بالنزاع

تنازع اثنان فى أمرٍ من الأمور، ثم أنهى أحدهما النزاع، بينما كان الآخر يستمر فى النزاع، قيل للذى أنهى النزاع: لماذا أنهيت؟

قال: لأنى عرفتُ أنى لا أطيقُه، فإنّ طاقتى فى الخصام نصف طاقته، قلتُ فى نفسى: مادام الأمر كذلك لماذا أصرف طاقتى عبثاً.

أقول: إنّ الإنسان يجب أن يتنكب النزاع بكل قواه الضابطة، وإذا اضطر اضطراراً شرعياً، عليه رعاية هذه الأمور المهمة:

١: لا يخرجه سخطه عن طاعة الله سبحانه وتعالى.

٢: قيل لأحد المعصومين: ? وما الحيلة؟ قال عليه السلام: (ترك الحيلة)().

٣: أن لا ينازع هراً بل يُنازع الأسد، فالذى يُنازع من هو دونه لا فخر له.

۴: إذا شاهد أن خصمه أقوى منه فى النزاع، فالأفضل أن يُلقى سلاحه.

موازين النزاع

أمّا مقـام «الجهـاد»، و «مقـام الأـمر بـالمعروف والنهى عن المنكر»، ومقـام «التضـحية المشـروعة»، فهى نزاعـات لهـا موازينهـا الخاصـة المذكورة فى الكتب الفقهية، وليس كلامنا هنا فى مثل هذه النزاعات، بل فى النزاعات العُرفية المنتشرة فى كل مكان وكل زمان.

ويجب على الإنسـان أن يعلم أن لكـل قصـة زوايـا متعـددة، فاللاـزم عليه أن يتجنَّب الزوايا الحادّة، فالزوايا الحادّة تُحرج الإنسان، وقد تكون الزاوية الحادّة فى كلمة، وقد تتجلّى فى حركة، وقد تظهر فى إشارة صـغيرة، أو فى بسـمة عريضة من الشـفاه، أو فى جواب على سؤال.

الابتعاد عن المحذور

يُذكر عن المرحوم الشـيخ محمـد تقى الشـيرازى رحمة الله عليه قائد ثورة العشـرين فى العراق أنه قلّما كان يُجيب على سؤال إذا كان

يرى محذوراً في ذلك، بل كان يرى اللازم على الإنسان العاقل ألاَّ يسأل سؤالاً قد يكون في جوابه المحذور، ولذا قال سبحانه وتعالى: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ().

ويقول الشاعر الفارسي:

لماذا يفعل العاقل عملاً يُوجب الندم

فقد ندمت زليخا أشدّ الندم على سجن يوسف().

تحمُّل الآخرين

منذ عهدٍ طويل، كنت عضواً في لجنة تقوم بالإجابة على الأسئلة التي ترد إلى إحدى المجلاّت، وقد وُجّه إليّ سؤال، وقمتُ بالإجابة عليه، إلّا أن هذا الجواب لم يُقنع أحد الإخوة الذي لا علاقة له بالمجلّة، فأخذ يهاجم جوابي على السؤال، ويهاجم المجلّة أيضاً.

أمّا أعضاء اللجنة، فأخذوا يُدافعون عن الإجابة.

لكن ذلك الصديق أصرَّ على رأيه!.

فقلتُ له: حسناً تفضلوا أنتم، وأجيبوا على الأسئلة، ونحن نقوم بوضع جوابك محل جوابي في المجلة التي لم تزل في مرحلة الإعداد ولم تُطبع بعد.

أخذ صاحبنا القلم بيده وأخذ يُفكر ملياً ثم قال: أنا الآن مشغول الفكر، ولا أستطيع الإجابة على السؤال، وهكذا انسحب من الميدان.

لا تخسر أصدقاءك

واتفق مرّة أنْ كان لي صديق، كنت أحافظ على صداقته رغم رفض الأصدقاء الآخرين له،بل ممارستهم الضغط عليّ بأن أتركه، وبعد مدّة قليلة، حدثت لنا مشكلة، فقلتُ: من يستطيع حلَّها؟

من يتمكن أن يذهب إلى الموظف الحكومي ويطلب منه حل المشكلة؟.

الجميع لم ينبسوا ببنت شفة، فقلت لهم: إنّ صديقنا الذي طلبتم مني تركه، هو القادر على لعب هذا الدور، وبالفعل أنجز المهمة التي وكلت إليه.

وكان لنا صديق آخر لا يرغب فيه بقيَّة الأصدقاء، وكانوا يتمنَّون أن أتركه أو أطرده أو أبعده عني، وكنت أفعل العكس، وصادف أن جاء أهل قرية في شهر رمضان، وكانوا يريدون خطيباً، فأحجم الجميع عن الذهاب إلاّ هذا الصديق الذي وافق على المقترح سريعاً، وذهب إلى القرية ونجح فيها.

فقلت لهم: إذا كنّا قد طردناه، ماذا كانت النتيجة!!.

وهناك الكثير من القصص المشابهة التي اتفقت لي، وللقارئ طبعاً قصصاً مشابهة أيضاً، وكلها تُشير إلى حقيقة واحدة هي: أن فائدة توحيد الصف والصبر على نقاط الضعف، خيرٌ من التفرقة والتشتُّت، والناس الذين لايتحملون المسؤولية، تجذبهم السلبيات أكثر من الإيجابيات.

أمّا الذين هم أهلٌ للمسؤولية، فهؤلاء إيجابيون دائماً في الحياة، وكان على أصحاب المسؤولية إقناع من لا مسؤولية عنده أن يتوقف عن ممارسة السلبيّات حتى يعم الخير أرجاء الكون، ويخف وطء الشر والأشرار.

وحدة الوعي

وممّا يوجب توحيد الصف، توحيد الوعي الموجب لتوحيد الاندفاع، فإنّ الوعي كالجوع الذي يجمع الناس حول الخباز في وقت

الظهیرة لشراء الخبز بدون مقدمات، وتوحید الوعی شیءٌ صعب، لذا تضع له الدول میزانیة وموظفین، وتُخطط له تخطیطاً واسعاً.

وتوحیـد الوعی الإسـلامی فی البلاد الإسـلامیة وغیرها بحاجة إلی مقومات کثیرة، منها: نشـر المفاهیم الإسـلامیة فی الأصول والفروع، ومن أسالیب نشر المفاهیم أسلوب الکتابة ونشر الکتاب.

وأری أننا بحاجة إلی ما یلی:

۱: تحقیق وطباعة الکتب المخطوطة الموجودة فی المکتبات والبیوت، فهناک عشرات الألوف من الکتب المخطوطة التی لم تُطبع بعد، وتعتبر هذه المخطوطات تراثاً حضاریاً، لابُد من الاهتمام به.

فمثلًا للشیخ عبد الله الأفندی کتاب «العوالم» فی مائة مجلد.

وللشیخ الکاظمی کتاب «الهدایة» فی زهاء مائة مجلد.

وللشیخ البرغانی کتاب فی «التفسیر» زهاء مائة مجلد، هذا إذا طبعت هذه الکتب علی أسلوب البحار طبعة حدیثة، وهکذا وهلُمّ جرّا.

۲: طبع الکُتب المطبوعـة بإخراج جدیـد فی التبویب والشـرح والتعلیق، فمثلًا (بحار الأنوار) بحاجة إلی شـرح تفصـیلی حتی تظهر قیمة الکتـاب، فالمجلسـی، ? قـام بشـرح الآیـات والأحـادیث علی أسـلوب وعلی علـوم عصـره، سواء فی الأـصول أو الفروع، أو الفلـک أو التشـریح أو علم الاجتمـاع، أو الطب، أو علوم الکون أو غیرها، وقـد تغیّر کثیر من هـذه العلوم، کما تغیر مصـدر النور من الشـمعة إلی الکهرباء، وکما تغیرت وسائل النقل من الحمیر إلی الطائرة، فکلّیات الآیات والروایات تحتاج إلی التطبیقات الجدیدة.

۳: تألیف وطبع عشـرات الآلاف من الکتب المرتبطة بمختلف الشؤون الإسلامیة السابقة والحاضرة، فلکل زمان أسلوب وطریقة وإطار، وإذا لم یکمل الأسـلوب والهیکل، لم یلائم الکتاب العصر، مما یُوجب التفاف الناس حول ما یلائم العصر، فإن واقع المعرفة یشبه واقع الموضة، فالقماش نفسه ولکنه إذا فُصّل علی موضة قدیمة رُفض، ولم یرغب فیه أحد.

۴: تألیف وطبع الکتب التی تسـلط الضوء علی أوضاع المسلمین فی مختلف أنحاء العالم، مثلًا: کم هو عدد المسلمین فی العالم، وأین یقطنون، وما هی مقوماتهم الحضاریة، وما هی إمکاناتهم الاقتصادیة والسیاسیة والثقافیة؟.

وکم عندهم من أوقاف ومساجد ومزارات وحسینیات ونوادٍ ومکتبات ومدارس وجرائد ومجلات ومطابع و...

وما هی طریقتهم فی التنظیم، فی تنظیم الجمعیات والهیئات والأحزاب، وما هی مشاکلهم وکیف یمکن حلها؟

وربما یستغرب القارئ من هذا الکلام، ویتساءل: هل هناک إمکانیات بشریة ومادیة تکفی لمثل هذه المشاریع؟

الجواب: التکلم لیس علی مستوی الأفراد والهیئات المحدودة الطاقات، بل علی مستوی الأمة ککل، یقول الشاعر:

لو لا المشقة ساد الناس کلهم

الجود یفقر والإقدام قتّال

والکلام هنا لیس حول إنشاء جمعیة خیریة أو فتح مدرسة أو تأسـیس مؤسّـسة، بل الکلام یُصب باتجاه إنهاض الأمة، ویبقی بعد ذلک أن نشرع فی الأمر شروعاً جدِّیاً، وما کان لله ینمو.

وإذا شرعنا فی هذا المشروع من الآن، فلعلّه لا یمرّ ربع قرن إلّا وقد أنجز المشروع بإذن الله سبحانه.

ظاهرة انتشار السفور

زارنی عالم من إحدی البلاد الإسلامیة، وشکی إلیّ وجود السفور والخلاعة فی بلاده.

قلتُ له: منذ متی والسفور منتشرٌ فی بلادکم؟.

قال: منذُ نصف قرن.

قلتُ: وکم کتاباً نُشر ضد السفور بلسان یفهمُه الإنسان العصری؟

فكّر العالم قليلاً، ثم قال: لعلّه زهاء عشر كُتب كُتِبت فى هذا الموضوع.

قلتُ: لنفرض أنَّ كل كتابٍ طُبع منه عشرة آلاف نسخة، فالمجموع يصبح مائة ألف نسخة ولمدة خمسين سنة، إنّ بلدك نفوسه أكثر من ثلاثين مليوناً.

ثم واصلت الحديث: ولكن هل تعلم كم من الكتب والمجلات والجرائد قد طُبعت ونُشرت ضد الحجاب والعفّة، وإذا أضفنا إلى نشر وسائل الأعلام الأخرى كالإذاعة والتلفزيون، والمدارس التى تشجّع أيضاً على السفور لكان الخطب أشدّ وقعاً.

فإذا كانت الفتاة المسلمة تعيش فى مثل هذه الأجواء التى تشجعها على السفور، وليس هناك ما يمنعها أو يحذِّرها من مخاطره فكيف نتوقع من الناس الانضواء تحت لواء الحجاب؟

يقول الشاعر:

نفسى وشيطانى ودنيا والهوى

كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وليس كلامنا الآن فى ظاهرة السفور والحجاب، بل فى إنهاض الأمة فى مختلف جوانب حياتها، فعملية النهوض بحاجة إلى مقومات كثيرة..

كما قال الشاعر:

إسلامنا لا يستقيم نظامه

بكلام شخصٍ فى زوايا مسجد

فإذا وفّرنا هذه المقومات، نهض الإسلام، وإلاّ ـ انتظر من يحصل على تلك المقومات، وليس الأمر مستحيلاً بل قام الناس بأكثر من ذلك، ألم تنهض الهند بعد استعمار دام ثلاثة قرون، ألم تنهض الجزائر بعد استعمار دام قرناً كاملاً.

إنَّ الأمل كبير وكبير جداً بالنهوض إذا ما قررت الأمة ذلك واستعدت إليه بكافة طاقاتها الخلاّقة.

الخاتمة

قبل أكثر من عشرين سنة كنت أكتب وأظن أنى أملك سلَّة من الأقلام، وكنتُ أعلم أنى لا ـ أملك غيرها، ولذا كتبتُ فى بعض مؤلفاتى ذلك. لكن الظروف تغيرت وعلمت بعد ذلك وعند انقلاب عبد الكريم قاسم فى العراق، أنى لا أملك حتى قلم واحد.وكما يقول الشاعر: وهل يملك الموتور قائم سيفه.

ما يطالعه زائر هذا الكتاب ليس إلاّ رُبع ما ينبغى أن يُكتب: فإنّ نصف الموضوع يحوم حول السياسة التى حرَّمناها على أنفسنا منذأن فشت فى المسلمين وبإيعاز من المستعمرين، الكلمة القائلة: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)!.

وربع الموضوع الذى يتناوله هذا الكتاب يُثير الحساسيات بحيث يصبح ضرره أكثر من نفعه، فلم يبق إلاّ الربع.

والربع المتبقى بالطبع لا ينفع كثيراً، أو أن نفعه قليلٌ جداً.

فحال الربع هو حال ربع الإنسان فإذا أفاد ربع الإنسان: الذى اجتث ثلاثة أرباعه، أفاد ربع الموضوع أيضاً.

إلاّ أنى أكتب ما أستطيع عليه، و لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ().

و لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا (). و(الميسور لا يسقط بالمعسور)().

وليس تركى للأرباع الثلاثة جُبناً، وإن كنت لا أُبَرِّئُ نَفْسِى ()، وإنما لأنّ القسم المتروك تركته لأنّه إما ما لا يمكن أن يرى النور، أو يثير الحساسيات، فضرره أكثر من فائدته. لذا آثرت تجاوزه لوقتٍ وظروفٍ أُخر إن شاء الله تعالى.

والمسؤول هو الله سبحانه، نرجوه أن يوفِّق الجميع لما فيه رضاه.

وأن يتقبّل هذا الجهد القليل بقبول حسن، تأسياً منّا بزينب عليها السلام عندما رفعت جثة أخيها الحسين عليه السلام، وقالت: (اللّهم هذا قربان نبيك فَتَقَبّلْهُ أحسن القبول)(). وقد قال تعالى فى كتابه: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ().

وقال أيضاً فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ().

نرجو قبوله إنه هو الموفق وهو المستعان.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (). ۱۳۹۵ه

محمد الشيرازى

المحتويات

پی نوشتها

() سورة التوبة: الآية ۱۰۵.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۷ ص۲۸۱.

() نهج البلاغة، قصار الحكم: ص۵۰۰ ح۱۶۱، خصائص الأمة: ص۱۰۸.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() حيث كتب سماحة الإمام الراحل رحمة الله عليه هذا الكتاب قبل ثلاثين سنة وبالتحديد سنة ۱۳۹۵ه (۱۹۷۵م).

() سورة فصلت: الآية ۳۴.

() سورة التغابن: الآية ۱۴.

() وأصل الشعر بالفارسية:

سر تقسيم بهم جنكيدند

سومى آمد وزر را زد وبرد

دو نفر دزد زرى دزديدند

آن دو بودند جه كرم زد وخورد

() إشارة إلى الحديث الوارد: الحسود لا يسود غرر الحكم ودرر الكلم: ص ۲۹۹ ح۶۷۹۵، مستدرك الوسائل: ج۱۲ ص۲۱ ب ۵۵ ح۱۳۴۰۱.

() فقد ورد فى هذا الصدد أحاديث عديدة منها: الحسد ينكد العيش غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح۶۸۲۶، لا عيش أنكد من عيش الحسود والحقود غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح ۶۸۲۸، أسوأ الناس عيشاً الحسود غرر الحكم ودرر الكلم: ص۳۰۰ ح۶۸۲۷.

() سورة فصلت: الآية ۳۴.

() ناصر الدين شاه، رابع ملوك القاجار، الذين حكموا إيران مدة ۱۳۳سنة من ۱۲۱۰ه

(۱۷۹۵م) وإلى سنة ۱۳۴۳ه (۱۹۲۵م)، ولد سنة ۱۲۴۷ه (۱۸۳۱م)، وحكم من سنة ۱۲۶۴ه (۱۸۴۸م) وإلى سنة ۱۲۸۶ه (۱۸۶۹م)، اتّسم حكمه بالظلم والاستبداد والتبعية للغرب؛ فقد منح امتياز التنباك للإنجليز مقابل مبلغ زهيد من المال، ومن مقولاته فى الحكم:

أود أن أكون محاطاً بحاشية من الأغبياء لا يعرفون عن بروكسل هل هى مدينة أو نوع من الخس؟. أُلّف باسمه الكثير من الكتب باللغة

الفارسیة، منها: مرآة البلدان، ناسخ التواریخ، سعادة ناصری.

() نسبة إلی فشارک، من قری مدینة أصفهان الإیرانیة التی بزغ منها عدة أعلام، منهم:

۱ المولی محمد باقر بن محمد جعفر الفشارکی المتوفی سنة ۱۳۱۵ه، عالم جلیل، له عدة مؤلفات، منها: آداب الشریعة، أسباب الفقر والغنی.

۲ السید محمد بن المیر قاسم الطباطبائی الفشارکی، ولد سنة ۱۲۵۳ه وتوفی فی شهر ذی القعدة سنة ۱۳۱۶ه، عالم قدیر وفقیه مجد، له عدة مؤلفات، منها: رسالة فی حکم الجاهل فی العبادات، رسالة فی حکم المبتدئة والمضطربة فی الحیض، رسالة فی أصالة البراءة، رسالة فی الخیارات، رسالة فی الإجارة. تتلمذ عند أخیه (السید إبراهیم) والفاضل الأردکانی والمجدد الشیرازی. ترجمه نقباء البشر فی القرن الرابع عشر.

۳ المولی محمد حسین الفشارکی الأصفهانی، الذی توفی سنة ۱۳۵۳ه فی أصفهان عن عمر یناهز التسعین سنة، وکان فقیهاً أصولیاً معروفاً، له باع واسع فی الإحاطة بالفروع الفقهیة، یعد من تلامیذ الشیخ زین العابدین المازندرانی والمجدد الشیرازی والمیرزا حبیب الله الرشتی، ترجمه أعیان الشیعة: ج۹ ص۲۳۲.

() أی زیارة السلطان عبد العظیم أخی الإمام الرضا علیه السلام.

() سورة الأنفال: الآیة ۴۶.

() حرب النکسة الهزیمة التی نشبت بین إسرائیل والدول العربیة المحیطة بفلسطین؛ حیث بدأت إسرائیل الحرب بهجوم جوی کثیف ومباغت فی صبیحة الخامس من حزیران سنة ۱۹۶۷م عندما هاجمت طائراتها مصر وهاجم الجیش الإسرائیلی صحراء سیناء والأردن برّاً، وفی هذه الحرب احتلت إسرائیل هضبة الجولان السوریة وسیناء المصریة وکل ما بقی من فلسطین تحت الانتداب بعد سنة ۱۹۴۸م بالإضافة إلی قطاع غزة الذی کان تحت الإدارة المصریة، ووصلت القوات الإسرائیلیة إلی شاطئ قناة السویس جنوباً وإلی الطریق المشرف علی دمشق شمالاً وإلی نهر الأردن شرقاً، وتعرف هذه الحرب بحرب الأیام الستة، وبلغت خسائر مصر وحدها خمسة عشر ألف شهیدٍ وستة آلاف أسیر و۸۰۰ دبابة و۳۰۰ طائرة، وبلغت خسائر مصر وفق النسب: من المعدات العسکریة ۸۵٪ من القوة الجویة والدفاع الجوی ومن القوات البریة،

و۱۰۰٪ من القاذفات الثقیلة والقاذفات الخفیفة، و۸۷٪ من المقاتلات، وعندما دخلت قوات إسرائیل القدس سنة ۱۹۶۷م، تجمهر الجنود الیهود حول حائط المبکی، وأخذوا یهتفون مع موشی دایان: «هذا یوم بیوم خیبر». وتابعوا هتافاتهم:

حطوا المشمش علتفاح

دین محمد ولی وراح

وهتفوا أیضاً: «محمد مات، خلف بنات». وفی حینها طبعت إسرائیل بطاقات معایدة، کتب علیها: «هزیمة الهلال» وبیعت بالملایین لتقویة الصهاینة الذین یواصلون رسالة الصلیبین الأوربیین وهی محاربة الإسلام وتدمیر المسلمین.

() هذا وفق الإحصاءات السابقة، أما الإحصاءات الفعلیة فقد بلغوا قرابة الخمسة ملایین یهودی فی إسرائیل حالیاً، وقلّت نسبتهم عالمیاً.

() التّنباک: أحد أنواع التبغ الذی کان شائعاً فی إیران فی القرن التاسع عشر المیلادی، وکان یوضع فی النرجیلة لتدخینه. قامت ثورة التنباک بعد أن منح ناصر الدین شاه امتیاز التبغ إلی شرکة بریطانیة لبیعه داخل إیران وخارجها. ونتیجة لفتوی الإمام الشیرازی رحمة الله علیه بتحریم استعمال التبغ، اضطر الشاه أن یلغی الاتفاقیة بعد أن امتنع الناس من التدخین وساروا فی تظاهرات صاخبة، عمّت جمیع المدن الإیرانیة للتندید بالشاه وبالاتفاقیة، کما اضطر الإنجلیز إلی سحب جیوشهم من إیران التی کان قوامها أربعمائة ألف مقاتل.

() السید محمد حسن الشّیرازی، المعروف بالمجدّد، عمید الأسرة الشیرازیة، ولد فی مدینة شیراز سنة ۱۲۳۰ه (۱۸۱۵م)، ودرس فی أصفهان والنجف الأشرف، وتوفی فی مدینة سامراء سنة ۱۳۱۲ه (۱۸۹۴م) إثر دس البریطانیین السم إلیه، ودفن فی النجف الأشرف.

تتلمذ عند السید حسن المدرّس والمحقق الکلباسی والشیخ محمد حسن الجواهری والشیخ الأنصاری، آلت إلیه المرجعیة بعد وفاة الشیخ الأنصاری. له ثمانیة مؤلفات، یقول عنه الأمینی فی کتابه شهداء الفضیلة ص۲۸۸: «مجدد المذهب فی القرن الرابع عشر، الإمام المؤتمن ... لم یثبت التاریخ نبأ زعیم دینی أکبر منه فی القرون الإسلامیة»، قاد ثورة التنباک ضد الإنجلیز وحکومة ناصر الدین شاه القاجاری بعد أن قادت بریطانیا جیوشاً جرّارة علی إیران فی ربیع الثانی سنة ۱۳۰۹ه الواقع فی تشرین الثانی من عام ۱۸۹۱م، وکان قوامها ۴۰۰ ألف مقاتل، وکان هدفهم الحصول علی امتیازات التبغ، زراعة وشراءً وتصدیراً مقابل ۲۵۰ ألف لیرة إنجلیزیة تقدمها لندن لناصر الدین شاه، وقد أحبط الشیرازی هذه المؤامرة وأحزمت الجیوش الإنجلیزیة حقائبها ثم ولّت منهزمة تجر أذیال الخیبة والانکسار، کما ألهمت هذه الثورة المسلمین الوعی السیاسی فی تاریخه الحدیث ونبهتهم للأخطار التی یسببها النفوذ الأجنبی فی بلاد المسلمین. ومن مواقفه السیاسیة أیضاً: وقف بوجه الفتنة الطائفیة التی أحدثها ملک أفغانستان عبد الرحمن خان وبتخطیط من الإنجلیز؛ حیث أخذ هذا الملک یذّبح رجال المسلمین الشیعة وأطفالهم ویستحیی النساء ویعتبرهم أسری حرب ویبیعهم بأبخس الأثمان. راجع أسرة المجدّد الشیرازی لنور الدین الشهرستانی.

() الشیخ زین العابدین المازندرانی، عالم فاضل وفقیه متبحّر، ولد فی مدینة مازندران الإیرانیة وهاجر منها إلی مدینة کربلاء المقدّسة، ودرس عند المولی محمد سعید المازندرانی الشهیر بسعید العلماء والسید إبراهیم الطباطبائی صاحب (ضوابط الأصول)، ثم هاجر إلی مدینة النجف الأشرف ودرس عند الشیخ محمد حسن الجواهری والشیخ مرتضی الأنصاری، اشتهر أمره فی التقلید فی بعض البلدان ولا سیما فی بلاد الهند، توفی فی ۱۶ ذی القعدة سنة ۱۳۰۹ ه، ودفن فی حرم الإمام الحسین علیه السلام، من مؤلفاته: زاد المتقین، زینة العباد الکبری، الدرّة النجفیة، مناسک الحج.

() بصائر الدرجات: ص۱۴۸ ب۱۳ ح۷، وورد فی الکافی (أصول): ج۱ ص۵۸ ح۱۹ (حلال محمد حلال أبداً إلی یوم القیامة وحرامه حرام أبداً إلی یوم القیامة لا یکون غیره ولا یجیئ غیره).

() وسائل الشیعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۲، معانی الأخبار: ص۲۸۱، مصباح الکفعمی: ص۳۴۶، نهج الحق: ص۴۸۹ وص۵۰۶، غوالی اللآلی: ج۱ ص ۲۲۰ ح۹۳.

() منح الامتیاز للأجانب.

() جمع وسق، والوَسْقُ والوِسْقُ: مِکْیَلَة معلومة، وقیل: هو حمل بعیر وهو ستون صاعاً بصاع النبی صلی الله علیه و اله، وهو خمسة أَرطال وثلث، فالوسْقُ علی هذا الحساب مائة وستون مَناً؛ قال الزجاج: خمسة أَوسق هی خمسة عشر قَفِیزاً، قال: وهو قَفِیزُنا الذی یسمی المعدّل، وکل وَسْق بالمُلَجَّم ثلاثة أَقْفِزَةٍ، قال: وستون صاعاً أَربعة وعشرون مکُّوکاً بالمُلَجَّم وذلک ثلاثة أَقفِزَةٍ، لسان العرب: ج۱۰ ص۳۷۸.

() احتلت القوات البریطانیة مدینة الفاو الواقعة جنوب العراق، سنة ۱۳۳۳ه وبالتحدید فی السادس من تشرین الثانی سنة ۱۹۱۴م وأکملوا احتلال العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م)، وقد عاملوا الناس عند احتلالهم أسوأ معاملة فکانوا یقتلون الجرحی ولا یرحمون الأسری ویخرجون الجثث من القبور، طمعاً فی الثیاب والملابس. وکانوا یقطعون الرؤوس ویرسلونها إلی لندن لیجعلوا من جماجم المسلمین مطافئ لسجائرهم.

() بعد احتلال الإنجلیز لأرض العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م)، وتعیین بیرسی کوکس حاکماً علی العراق، تصدی لهذا الاحتلال العلماء الأعلام بقیادة الشیخ محمد تقی الشیرازی رحمة الله علیهسنة ۱۳۳۸ه (۱۹۲۰م)، فقد أصدر الشیرازی فتواه قائلاً: «مطالبة الحقوق واجبة علی العراقیین ویجب علیهم فی ضمن مطالبتهم رعایة السلم والأمن ویجوز التوسل بالقوة الدفاعیة إذا امتنع الإنجلیز من قبول مطالبهم»، وأخرجوا القوات الإنجلیزیة من أرض الرافدین بعد أن کبدوها خسائر جمة فی الأرواح والمعدات، وقد انطلقت شرارتها فی ۳۰ حزیران سنة ۱۹۲۰م، عن هذه الثورة راجع کتاب: (الحقائق الناصعة) للفریق مزهر آل فرعون، و(الثورة العراقیة الکبری) للسید عبد

الرزاق الحسنی، و(ثورة الخامس عشر من شعبان) لعباس محمد کاظم، و(تاریخ الحرکة الإسلامیة فی العراق بین ۱۹۰۰ ۱۹۲۴م) لعبد الحلیم الرهیمی، و(تاریخ العراق السیاسی الحدیث) للسید عبد الرزاق الحسنی، و(تاریخ القضیة العراقیة) لمحمد مهدی البصیر، و(لمحات اجتماعیة من تاریخ العراق الحدیث) للدکتور علی الوردی، و(دور الشیعة فی تطور العراق السیاسی الحدیث) للدکتور عبد الله النفیسی، و(البطولة فی ثورة العشرین) للدکتور عبد الشهید الیاسری، و(دراسات حول کربلاء ودورها الحضاری) لمجموعة من الباحثین.

() آیة الله العظمی الشیخ محمد تقی الشیرازی، قائد ثورة العشرین التحرّریة فی العراق ضد الاستعمار البریطانی، ولد فی شیراز سنة ۱۲۵۶ه (۱۸۴۰م) واغتیل بالسم فی الثالث عشر من ذی الحجة سنة ۱۳۳۸ه (۱۳/۸/۱۹۲۰م)، ودفن فی حرم الإمام الحسین علیه السلام، تتلمذ فی سامراء عند المجدد الشیرازی، وفی کربلاء عند الشیخ حسین الأردکانی والسید علی نقی الطباطبائی، له باع طویل فی حفظ الحوزات العلمیة ونشر علوم أهل البیت علیهم السلام. من مواقفه السیاسیة: إصداره فتوی ضد الاحتلال الإنجلیزی للعراق سنة ۱۹۱۴م وتخطیطه للثورة ضدهم، وإصداره فتوی فی العشرین من ربیع الثانی سنة ۱۳۳۷ه (۲۳/۱/۱۹۱۹م) ضد المعتمد السامی البریطانی بیرسی کوکس، الذی نصب نفسه حاکماً علی العراق عبر الانتخابات الصوریة، کما أصدر فتوی أخری، جعل الإنجلیز یجرون أذیال الخیبة والانکسار ویسحبون جیوشهم من أرض الرافدین، ومن مواقفه أیضاً استنکاره للمعاهدة البریطانیة الإیرانیة سنة ۱۳۳۶ه؛ والذی أدّی موقفه إلی إلغائها، قال عنه السید حسن الصدر فی التکملة: عاشرته عشرین عاماً فما رأیت منه زلة ولا أنکرت علیه خلة، من مؤلفاته: (حاشیة علی المکاسب)، (رسالة فی صلاة الجمعة)، (رسالة فی أحکام الخلل). ترجمه طبقات أعلام الشیعة، أعیان الشیعة، معارف الرجال، نقباء البشر فی القرن الرابع عشر.

() سورة آل عمران: الآیة ۱۰۳.

() وکشاهد علی مقدار التعصّب الذی یکنه الاستعمار للمسلمین الشیعة، یقول السید جواد هبة الدین الشهرستانی: «عندما طلب فیصل الأول قبل تتویجه اللقاء بوالدی، قال فیصل: إن کافة الإجراءات قد تمت علی یوم تتویجه وإنه یرغب أن یتوج بحضور کبار العلماء فی العتبات المقدسة ویتوسم البرکة والیُمن فی حضورهم الحفلة، فاعتذر والدی لفیصل عن حضور کبار العلماء وإنما فی الإمکان حضور من ینوب عنهم من الأجلّة، ولکن متی سیکون التتویج؟ قال فیصل: یوم السبت ۲۰ آب. ولما أحسّ فیصل أن التاریخ المیلادی غیر واضح لعدم التعامل به، قال: ثانی یوم بعد انتهاء فترة عطلة عید الأضحی. قال والدی: ولم اخترتم هذا الیوم؟ قال فیصل: هذا اختیار وزارة المستعمرات فی لندن ولا یمکن تغییره! قال والدی: بالعکس یمکن تغییره إلی ثلاثة أیام بعده بدل السبت یوم الثلاثاء، قال فیصل: وما هو الفرق بین الیومین؟ أجابه: الیوم الأول السبت یوم نحس لدی العارفین ویوم الثلاثاء یوم سعد. وأنتم فی التتویج إلی الیوم الثانی أحوج. وطال النقاش حتی اقتنع فیصل بضرورة تغییر یوم التتویج من ۲۰ آب إلی ۲۳ آب وأن یطالب المندوب السامی مرجعه فی لندن بضرورة تغییره بناءً علی إصرار الملک علیه. وتم له ما أراد وجری التتویج علیه. وکان والدی قد اقترح أن یتم تتویج الملک رسمیاً فی بغداد صباح الثلاثاء ۲۳ آب وحضره مع نخبة من علماء کربلاء والنجف وأن یجری التتویج الشعبی عصراً فی الصحن الکاظمی، واحتلفت البلدة بمقدمه، وحین حضر الحفل الُمقام فی الصحن الشریف، وجد البلدة فی أبهی زینتها ممّا أذهله روعة ما شاهده بحضور کبار علماء الکاظمیة وأشرافها إلی جانب کبار الدولة الرسمیین وغیرهم مما لم یشهد مثیله فی بغداد وألقیت القصائد والکلمات، أشادت بیوم الغدیر یوم تتویج الإمام علی علیه السلام من قبل رسول الله صلی الله علیه و اله بأمر من الله سبحانه وتعالی. وهو الیوم الذی یحتفل فیه فریق کبیر من المسلمین بمیمنته والتبرک به. وانتبه المسؤولون من الحاضرین کیف غفلوا عن هذه الناحیة وکیف فات علی نقیب الأشراف رئیس الوزراء عبد الرحمن الجیلانی وهو العارف بمثل هذه الأمور. کیف جعل کل قراراته فی هذا التاریخ ۱۸ ذی الحجة الحرام، ومعناه أن هذا التاریخ سیخلد إن اتخذناه رسمیاً وطال النقاش والملامة حوله. حتی اتفقوا علی عدم الاحتفال فی العام المقبل وفق التاریخ الهجری وإنما یکتفی باتخاذ التاریخ المیلادی ۲۳آب هو الجاری علیه بینما استمروا علی

المحافظة بالتاريخ الهجرى وحده فى كافة المقررات ولعدة سنوات والاحتفال بعيد ٩ شعبان من كل عام ماعدا يوم التتويج وحده الذى أبقوه علىالتاريخ الميلادى للسبب المذكور، راجع كتاب الشيخ كاظم آل نوح ص٣٢ ٣٣ للمؤلف د. جمال عبد الرسول.

() فيصل بن حسين حاكم مكة، ولد فى الطائف سنة ١٣٠١ه (١٨٨٣م) وتوفى سنة ١٣٥٢ه

(١٩٣٣م) فى سويسرا ودفن فى بغداد، كان ضابطاً فى الجيش العثمانى فى إسطنبول ونائباً فى مجلس النواب العثمانى سنة ١٣٣١ه (١٩١٣م)، وعاد إلى مكة بعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وكان من عملاء الإنجليز؛ إذ تربّى على يد لورنس الجاسوس البريطانى، نصّبه الإنجليز حاكماً على سورية بعد تكوينها من قبلهم فى ١٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨ه (٨/٣/١٩٢٠م) كما عينوا أخاه عبد الله على شرق الأردن ثم نصبوه حاكماً على العراق سنة ١٣٣٩ه (١٩٢١م) بعد أن طرده الألمان من سوريا عند احتلالهم لها، واستمر فى الحكم إلى سنة ١٣٥٢ه (١٩٣٣م). يقول فريتزا غرويا المفوض الألمانى فى العراق فى مذكراته عن طريقة تنصيب فيصل حاكماً على العراق: «تسلم الملك فيصل فى كانون الثانى من سنة ١٩٢١م دعوة من ملك بريطانيا لزيارة لندن، حيث كان سيعرض عليه عرش العراق وكان يرافق فيصلًا كل من: رستم حيدر والأمير عادل أرسلان ومرافقه الشخصى تحسين قدورى»، راجع العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب لنجدة فتحى صفوة: ص١٢٨، أولى جُلَّ اهتمامه على إرضاء الإنجليز وكسب ودّهم، وقال فى خطبة التتويج: «وقد صرحت مراراً بأن ما نحتاج إليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها وبما أن الأمة البريطانية أقرب الأمم إلينا وأكثرها غيرة على مصالحنا فإننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول إلى غايتنا المنشودة فى أسرع وقت».

() إشارة إلى الحديث الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله: (القرعة لكل أمر مشكل). فتح الأبواب: ص٢٩٢، غوالى اللآلى: ج٢ ص١١٢ وص٢٨٥ وج٣ ص٥١٢.

() أحد الشخصيات التى قارعت الاستعمار الإنجليزى، له باع طويل فى ثورة العشرين، رشحه الإمام الشيرازى رحمة الله عليه لإدارة العراق.

() السيد محمد على بن مهدى الطباطبائى الحائرى، ينتهى نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ولد فى كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٢ه (١٨٨٤م) وتوفى سنة ١٣٨١ه (١٩٦١م) ودفن فى كربلاء. تتلمذ عند الميرزا جعفر الحائرى والسيد هادى الخراسانى والشيخ محمد تقى الشيرازى. شارك فى ثورة العشرين وتعرض للاعتقال عدّة مرات، نفاه الإنجليز إلى جزيرة (هنجام) مع رجالات الثورة، ترجم له فى تراث كربلاء: ص٢٨٩ للسيد سلمان هادى آل طعمة.

() توماس أدوَرد لورنس، المشهور ب لورنس العرب، ولد بمقاطعة ويلز سنة ١٨٨٨م، درس فى أكسفورد تحت إشراف دايفيد ج هوغارث ضابط المخابرات المتخصص بشؤون الشرق الأوسط الذى كانت معلوماته عن أوضاع البلدان العربية فى ظل الحكم العثمانى لا تضاهى فى ذلك الحين، قام لورنس برحلة على الأقدام فى عدد من البلدان الإسلامية، تخرج سنة ١٩١٠م من الجامعة فى أكسفورد والتحق بمدرسة الإرساليين الإمريكيين فى لبنان لتحسين لغته العربية. انخرط رسمياً فى سلك المخابرات العسكرية البريطانية سنة ١٩١٤م وتسلّم قيادة العمليات العسكرية لاحتلال العراق سنة ١٩١٧م واستولى على مدينة بغداد فى ١١/ ٣/ ١٩١٧م، أصبح مستشاراً للرئيس البريطانى تشرشل فى شؤون الشرق الأوسط، ويعد مهندس تمزيق الأمة الإسلامية ومهندس تجزئة أراضيها، وقام برسم الحدود بين العراق وإيران. يصف لورنس أهدافه قائلًا: أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها ... وإذا عرفنا كيف نعامل العرب وهم الأقل وعياً للاستقلال من الأتراك فسيبقون فى دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة غير قابلة للتماسك إلّا أنها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية. قتل بحادث دراجة نارية سنة ١٩٣٥م إثر انهيار فى دماغه. من مؤلفاته: أعمدة الحكمة السبعة. راجع الوقائع السرية فى حياة لورنس العرب ص ٥٢ ٥٣ للمؤلفين: فيليب نايتلى وكولين سمبسون، وكتاب أعمدة الحكمة السبعة للورنس.

() الكافى (فروع): ج٥ ص٦ ح٦، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج٢ ص٧٤.

() السید محمد حسن الصدر، ولد فی مدینة سامراء سنة ۱۳۰۴ه‍(۱۸۸۷م)، أسّس حزب الاستقلال سنة ۱۳۳۷ه‍ (۱۹۱۹م) والذی عرف بحرس الاستقلال فی فترة العمل السّری، لعب دوراً بارزاً فی ثورة العشرین، فکان الرابط بین قیادة الثورة والعشائر المحیطة بلواء الدلیم وسامراء، نفاه الإنجلیز سنة ۱۳۴۱ه‍ (۱۹۲۲م) مع بعض العلماء الأجلاء إلی خارج العراق وعاد إلیه سنة ۱۳۴۳ه‍ (۱۹۲۴م)، ترأس مجلس الأعیان فی العهد الملکی لدورته الأولی والرابعة، وترأس مجلس الوزراء سنة ۱۳۶۷ه‍ (۱۹۴۸م)، ومن المهام التی عملها فی وزارته: إلغاء معاهدة «بورتسموث» التی تضمنت إقامة تحالف دفاعی مشترک مع بریطانیا، وکذلک ألغی المعاهدة الموقعة مع الإنجلیز سنة ۱۳۴۹ه‍ (۱۹۳۰م)؛ ولأجل ذلک لم تدم وزارته أکثر من خمسة أشهر، توفی فی ۴ نیسان ۱۹۵۶م.

() الشیخ محمد رضا بن محمد جواد الشبیبی، عالم وشاعر وسیاسی، ولد فی النجف الأشرف سنة ۱۳۰۷ه‍ (۱۸۸۹م)، وتوفی فی بغداد سنة ۱۳۸۶ه‍ (۱۹۶۶م)، ودفن فی النجف الأشرف، تتلمذ عند السید مهدی بحر العلوم وشیخ الشریعة الأصفهانی والسید عبد الهادی الشیرازی، أحد الأعضاء البارزین لحزب الاستقلال، الذی أسسه السید محمد الصدر، شارک فی ثورة العشرین، وکان رابطاً مع شیوخ العشائر فی الفرات الأوسط، تقلّد وزارة المعارف فی خمس دورات ورئاسة مجلس الأعیان فی دورته الثالثة سنة ۱۹۳۷م، وأصبح عضواً لمجلس النواب فی ثمانی دورات ورئیساً للمجمع العلمی العراقی، وعارض حلف بغداد والتبعیة للغرب، وفی سنة ۱۳۸۵ه‍ (۱۹۶۵م) رفع مذکرة احتجاج إلی عبد الرحمن البزاز رئیس الوزراء فی عهد عبد السلام عارف، طالب فیها ردم الهوة الطائفیة فی مرافق الدولة والوظائف الحکومیة. له عدّة مؤلفات، منها: تأریخ الفلسفة، أدب النظر فی فن المناظرة، المأنوس فی لغة القاموس، دیوان الشبیبی، تاریخ النجف. ترجمه أعیان الشیعة: ج۹ ص۲۸۷.

() الشیخ محمد حسن حمادی محسن الجنابی الحائری، المشهور ب أبی المحاسن، ولد فی مدینة کربلاء سنة ۱۲۹۳ه‍ (۱۸۷۶م)، وتوفی فی الجنابیة سنة ۱۳۴۴ه‍ (۱۹۲۵م)، شارک فی ثورة العشرین وکان شاعراً للثورة وممثلاً للإمام الشیرازی رحمة الله علیه فی المجلس الملّی، تعرض للاعتقال عدّة مرات، تقلّد وزارة المعارف سنة ۱۳۴۱ه‍ (۱۹۲۳م)، له دیوان شعری یعرف ب دیوان أبی المحاسن وقد حقق من قبل تلمیذه الشیخ محمد علی الیعقوبی. ترجمته فی کتاب کربلاء فی الذاکرة، وکتاب (أبو المحاسن الشاعر الوطنی الخالد) للسید سلمان آل طعمة، وکتاب شاعریة أبی المحاسن للأدیب خضر عباس الصالحی.

() السید محمد علی الشّهرستانی، المشهور ب هبة الدین، ولد فی مدینة سامراء سنة ۱۳۰۱ه‍

(۱۸۸۴م) وتوفی سنة ۱۳۸۶ه‍ (۱۹۶۷م)، أصدر فی العهد العثمانی مجلة العلم فی فترة إقامته فی النجف الأشرف وذلک سنة ۱۳۲۸ه‍ (۱۹۱۰م) ثم تبعها بمجلة المرشد فی فترة إقامته فی الکاظمیة، شارک فی ثورة العشرین وأصبح رئیساً للمجلس العلمی الذی شکلّه الإمام الشیرازی رحمة الله علیه لقیادة الثورة، حکم علیه الإنجلیز بالإعدام بعد الثورة لکنه لم ینفذ نتیجة للضغط الشعبی، تقلّد وزارة المعارف فی وزارة الجیلانی الثانیة واستقال منها احتجاجاً علی فترة الانتداب. أعماه الإنجلیز سنة ۱۳۴۳ه‍ (۱۹۲۴م) عندما کان یرقد فی إحدی المستشفیات للعلاج، تقلّد رئاسة مجلس التمییز الشرعی الجعفری بین سنة ۱۳۴۲ه‍ ۱۳۵۳ه‍ (۱۹۲۳م ۱۹۳۴م)، أصبح نائباً عن مدینة بغداد سنة ۱۳۵۴ه‍ (۱۹۳۵م) ثم ترک الحیاة السیاسیة، له ۲۸ کتاباً ورسالة مطبوعة، من أبرزها: الهیئة والإسلام، المعجزة الخالدة، نهضة الحسین علیه السلام، وله ۲۳۴ کتاباً ورسالة غیر مطبوعة.

() الشیخ علی بن جعفر بن محمد حسن بن أحمد الشرقی، ولد فی النجف الأشرف سنة ۱۳۰۹ه‍ (۱۸۹۲م) وتوفی سنة ۱۳۸۴ه‍ (۱۹۶۴م)، شاعر وسیاسی، قارع الاحتلال الإنجلیزی للعراق فی الحرب العالمیة الأولی؛ فکان یحمل کتب الدعوة والفتاوی التی تحث علی الجهاد إلی العشائر العراقیة. تولّی القضاء الشرعی فی مدینة البصرة، وتولّی رئاسة مجلس التمییز الشرعی فترة من الزمن، وأصبح عضواً فی مجلس الأعیان، وتقلد الوزارة عدة مرات، منها: وزیراً بلا ـ وزارة فی وزارة أرشد العمری الثانیة التی تألفت فی ۲۹ نیسان ۱۹۵۴م واستقالت فی ۱۷ تموز ۱۹۵۴م، من مؤلفاته: العرب والعراق، ذکری السعدون، تاریخ الیزیدیة، الأحلام، عواصف وعواطف وهو دیوان شعری. ترجمه حسن الأمین فی موسوعته الإسلامیة: ج۶ ص۹۷.

() كالـدكتور عبـد الرزاق محيى الـدين الذى شـغل وزارة الوحدة فى وزارة طاهر يحيى وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن البزاز وعبد الرحمن عـارف، وأصبح عضواً فى مجلس الرئاسـة المشتركـة بين العراق ومصـر سـنة ۱۹۶۵م وانتخب سـنة ۱۹۶۶م أميناً عاماً للقيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتّحدة.

() يقول البـاحث الـدكتور على باباخـان فى كتـاب (كربلاء ودورها الحضارى): ص ۵۶۰ حول موقف العلمـاء تجاه فيصـل: «لم يكن موقف العلماء موحداً إزاء ترشيح فيصل حيث برز اتجاهان رئيسيان مختلفان، فالمعارض مثله اثنان من كبار المجتهدين وهما المرجع الأعلى السيد أبو الحسن الأصـفهاني والشيخ محمـد حسين النائينى، أما الاتجاه المؤيـد فقد مثله السيد محمد الصدر والشيخ مهدى الخالصـى، لكن بيعة الخالصـى لفيصل كانت بشرط: أن يسير فيصل بالحكم سيرة عادلة وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً وأن لا يتقيـد العراق فى عهـده بأيـة قوة أجنبية». ثم يضـيف: «إن الخالصـى سـحب بيعته للملك فيصل عندما أخل هذا الأخير بوعوده، وعلى أثرها هُجّر من العراق إلى إيران بحجج كاذبة وملفقة فى عام ۱۹۲۳م».

() الشيخ مهدى بن محمد حسين الخالصـى، عالم وفقيه وشاعر، ولد فى مدينة الكاظمية سنة ۱۲۷۶ه وتوفى فى مدينة مشـهد الإيرانية سنة ۱۳۴۳ه، ودفن قرب مرقد الإمام الرضا عليه السـلام، ينتمى إلى أسرة تعيش فى مدينة الكاظمية وتعد من الأسر العلمية التى أنجبت عـدداً من العلماء الفطاحل، درس فى مدينـة الكاظميـة والنجف وسامراء عنـد الشيخ عباس الجصانى والشيخ محمد حسين الكاظمى والميرزا حبيب الله الرّشتى والمجـدد الشيرازى، من مواقفه السياسيـة: أفتى بوجوب جهـاد الإنجليز فى الحرب العالميـة الأولى وسار مع جماعة من العلماء لساحات الوغى واشترك فى جبهة الحويزة، وكذلك شارك فى ثورة العشرين وقاد خلالها الكتائب القتالية. أصدر الإنجليز بعد انتهاء الثورة أمراً باعتقاله ولكنه اختفى. وقاطع المجلس التأسيسـى فى زمن فيصل الأول ممّا حدا بفيصل أن نفاه مع لفيف من العلماء إلى خارج العراق فذهب إلى مدينة عدن اليمانية ثم إلى مكة المكرمة ومنها إلى إيران وبقى هناك إلى أن وافاه الأجل. له منظومات فى العلوم العربية المختلفة تبلغ الألف بيت، وله ما يقارب عشـر رسائل مختصرة وكتاب العناوين فى الأصول وكتاب القواعد الفقهية وكتاب الشـريعة السمحاء وغيرها، للمزيد راجع أعيان الشيعة: ج ۱۰ ص۱۵۷ للسيد محسن الأمين وذكرى الخالصى لعبد الرزاق الأمين وزعيم الإسلام الخالد من إصدارات جامعة مدينة العلم سنة ۱۳۶۹ه. ولا يخفى أن العلماء الذين بايعوا فيصلاً كان قسم منهم قد راهن على قابلية حكومته للانعتاق من الهيمنة والوصاية البريطانية، وقسم آخر كما فعل الخالصـى أراد أن يعلّم العراقيين كيف يبايعون ليبقى حق العراق محفوظاً متى ما طالب العراقيون به ومتى ما أخل به الحكام. فبيعة الشيخ الخالصى هدفها كان؛ كما عن ولده محمد: «خشيته من أن يبايع الناس فيصلاً».

() السيد أبو الحسن بن محمد بن عبد الحميد الموسوى الأصـفهانى، ولد فى مدينة أصفهان الإيرانية سنة ۱۲۷۷ه، وتوفى فى الكاظمية سنة ۱۳۶۵ه، ودفن فى النجف الأشـرف، يعد من تلاميذ الميرزا حبيب الله الرّشتى والشيخ كاظم الخراسانى، شارك فى ثورة العشـرين وعارض تعيين فيصل الأول ملكاً على العراق، تصدّى لمهام المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائينى سـنة ۱۳۵۵ه، كما شارك فى الحركـة الدسـتورية فى إيران، له عـدة مؤلفـات، منهـا: وسيلة النجـاة، منتخب المسائل، شـرح كفايـة الأصول، حاشيـة على تبصـرة المتعلمين، حاشية على العروة الوثقى.

() الشيخ محمـد حسين بن عبـد الرحيم النائينى الملقب بشيخ الإسـلام، ولـد فى نائين فى حدود سـنة ۱۲۷۳ه (۱۸۵۷م)، وتوفى سنة ۱۳۵۵ه (۱۹۳۶م) عن عمر ينـاهز الثانيـة والثمانين سـنة، عالم فاضل ومحقق مـدقق وفقيه وأصولى بارع وأديب متميّز، هاجر إلى العراق سنة ۱۳۰۳ه، ودرس فى سامراء عنـد المجدد وحتى وفاة الأخير سـنة ۱۳۱۲ه، ثم هاجر منها إلى كربلاء والنجف بعـد أن بـذلت الدولة العثمانية ما بوسـعها لإضـعاف الحوزة العلمية فى سامراء، عارض مع السيد أبو الحسن الأصفهانى المجلس التأسيسى الذى شكله فيصل الأول باعتباره لا يفى بالغرض لإنقاذ الشـعب العراقى. يعـد من تلامـذة الشـيخ محمـد باقر الأصـفهانى ومحمـد حسن النجفى والمجدد الشـيرازى والسـيد محمـد الفشـاركى والشيخ محمـد تقى الشـيرازى والشـيخ محمـد كـاظم الخراسـانى، آزر الخراسـانى فى الحركـة

الدستورية. أبعد إلى إيران مع لفيف من العلماء سنة ١٣٤١ه ثم أعيد إلى العراق بعد أن شرط الإنجليز وفيصل عليه ألّا يتدخل فى الأمور السياسية، آلت إليه المرجعية بعد وفاة شيخ الشريعة الأصفهانى، من تلامذته: السيد الخوئى والشيخ محمد على الكاظمى صاحب كتاب فوائد الأصول والشيخ موسى الخونسارى صاحب كتاب منية الطالب فى شرح المكاسب، من مؤلفاته: تنبيه الأمة وتنزيه الملّة، رسالة لعمل المقلدين، أجود التقريرات، رسالة فى أحكام الخلل فى الصلاة، رسالة فى اللباس المشكوك، رسالة فى التعبدى والتوصلى، رسالة فى نفى الضرر. للمزيد راجع موسوعة طبقات الفقهاء: ج۶ ص۵۴ للسبحانى.

() السيد عبد الحسين بن على بن أبى القاسم الطباطبائى، الملقّب ب الحجّة، عالم جليل وفقيه فاضل ومرجع معروف، ينتمى إلى أسرة عرفت بالعلم والزعامة والشرف، وهو من أحفاد السيد على الطباطبائى صاحب الرياض، تتلمذ على السيد محمد كاظم الخراسانى، توفى سنة ١٣۶٣ه. ترجمه نقباء البشر فى القرن الرابع عشر.

() أمثال السيد حسن الطباطبائى والسيد عبد الحسين الطباطبائى والجواهرى والشهرستانى، وقد بلغ عددهم ستة وعشرين عالماً وفاضلاً، وكان ذلك سنة ١٣٤١ه (١٩٢٣م) فى وزارة السعدون الأولى، عندما وقف هؤلاء بحزم ضد الهيمنة الإنجليزية وضد انتخابات المجلس التأسيسى، الذى كان يراد به المصادقة على المعاهدة العراقية البريطانية، التى تجعل العراق تحت الهيمنة البريطانية. للمزيد راجع كتاب تاريخ العراق السياسى: ص٨٧ لطفى جعفر فرج، وكتاب لمحات من تاريخ العراق السياسى: ج۶ ص٢۵٢ للدكتور على الوردى. يقول إسحاق النقاش فى كتابه شيعة العراق: أشارت بعض التقارير البريطانية بأن الملك فيصل كان متلهفاً بصفة خاصة على إضعاف نفوذ العلماء الذين اعتبرهم غير مخلصين للإنجليز.

() مثلاً حينما التقى الحاكم البريطانى (لجمن) مع بعض عشائر الدليم السنية. قال لجمن: هناك اضطرابات فى النجف وما حولها ونريد التعرف على آرائكم بشأنها وأن حكومة صاحبة الجلالة بريطانيا فى حيرة من أمرها، هل تجعل حكومة العراق شيعية أم سنية؟ وأن هذه الحكومة قررت أن تأخذ رجال الدين فى النجف بالعقاب الشديد بجريمة التحريض على الاغتشاش، ... فردّ الشيخ ضارى الذى قتل لجمن لاحقاً أمام الحاضرين بالآتى: إن أهل النجف يريدون حكومة وطنية لعموم العراق ونحن نتفق معهم بذلك وليس فى الأمر مشكلة، وفى العراق لا يوجد شيعة.. سنة، أكو إسلام عرب. أما عن رجال الدين فى النجف فقال الشيخ ضارى: لكنهم أولوا أمرنا فى الوقت الحاضر لعدم وجود حكومة شرعية فى العراق وطاعتهم واجبة على كل مسلم أياً كان مذهبه، وإذا اتخذت الحكومة البريطانية إجراءات ضدهم فسوف نكون إلى جانبهم مهما أصابنا من جراء ذلك من أذى. راجع دراسات حول كربلاء: ص۴۵۹ ۴۶۰ ومصدره المعتمد عليه: مصرع الكولونيل لجمن للمؤلف عبد الجبار عمر: ص ۴۹ ۵۰.

() تقع على عاتق الشعب العراقى اليوم، وبعد سقوط أعتى طاغية، عرفه التاريخ المقروء والمسموع، مسؤولية عظيمة وخطيرة، تتعلق بمستقبله ومستقبل أحفاده من الأجيال القادمة. فعليه أن يتوجّه إلى حقوقه المشروعة التى هضمت منذ مئات السنين ويطالب بها مهما كلفه ذلك من تضحيات؛ إذ تلوح فى الأفق مؤامرة لهضم الحقوق وتكرار المآسى التى حدثت فى مطلع القرن الماضى، عندما سعى الإنجليز بعد احتلال العراق عام ١٩١٨م إلى فرض نموذج تقسيمى له وصياغة المناهج التربوية والتعليمية وفق الأسس البريطانية وحصر الإشراف العام فى المدارس والجامعات على عاتقهم والحصول على امتيازات البترول من تنقيب واستخراج واستهلاك وتحويل العراق إلى سوق لمنتجاتهم الصناعية. فعلى العراقيين أن يكونوا يقظين وأن يتسلّحوا بثقافة مطالبة الحقوق عبر الحوار والتفاهم ثم المطالبة بدستور يضمن حقوق الأكثرية ويأخذ بنظر الاعتبار الدين ومذهب الأكثرية والخصوصية العراقية.

فقد وقّع أعضاء مجلس الحكم الانتقالى المعيّن مؤخراً قانون الدولة العراقى المؤقت، ولنا بعض التساؤلات والتحفظات على بعض بنوده، نذكرها بإيجاز:

١: مدى مشروعية القانون المدنى فى ظل الاحتلال العسكرى؟.

٢: مدى مشروعية قانون التوافق الحصصى بدون انتخابات حرة ونزيهة، لكل عراقى صوت واحد.

۳: مدى مشروعية هذا القانون الذى تحفظ عليه اثنا عشر عضواً، وأَكرهوا على توقيعه.

۴: إن هذا القانون مبنى على عقلية غربية، وهى تكريس نظام الفردية وليس عقلية شرقية إسلامية، وهى تكريس نظام الأسرة.

۵: إن هذا القانون يجعل العراق بلداً، تحكمه الضرورات والإملاءآت وليس الحلول الإساسية التى قوامها الثوابت والقيم.

۶: إن نظام الفيدرالية هو إحدى الطرق لجمع المتجزئ والمتفرِّق. والعراق ليس من هذا القبيل بل العراق بلد إسلامى، يعتنق شعبه الإسلام، الذى يكفل صهر القوميات والطوائف فى بوتقته. فطرح الفيدرالية فى ظرف المتجمِّع، هو زرع لبذور التجزئة ودعوة مفتوحة للانفصال، والعراق اليوم بحاجة إلى من يضمد جراحه لا من يسكب الملح عليها. ولو قيل: إنَّ حق النقض صمام أمان لحقوق الأقلية. قلنا: هناك وسائل أكثر نزاهة وأكثر فاعلية ولا تمس حقوق الأكثرية، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار شراكة الأكراد للشيعة فى تعرّضهم للظلم والقهر والمقابر الجماعية التى لحقت بهم.

۷: إنه لم يحدد نوع الفيدرالية على أى نحو، هل فيدرالية عرقية أم مذهبية أم جغرافية أم لغوية؟!.

۸: إن البند (ج) من المادة ۶۱، يتناقض مع الثوابت الديمقراطية والحرية وحق تقرير المصير، كما يتناقض مع صميم الإسلام؛ لأنَّ إعطاء حق النقض للأقلية معناه الحيلولة دون تمكين الأكثرية من ممارسة رغباتها وحقوقها؛ وهذا يؤدى إلى عرقلة العملية السياسية، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار جهاد الأكثرية ودماءهم التى أريقت عبر التاريخ للحفاظ على استقلال العراق ووحدته، بَلْهِ إذا نظرنا إلى المعاناة التى لحقت بالأكثرية من حكومة الأقلية فى العهد السابق من ظلم وقهر ومقابر جماعية ومصادرات للأموال والحقوق والكرامات والتهجير الجماعى والإبادة الجماعية فى السجون والحروب.

۹: إن تحديد نسبة تمثيل المرأة فى المجلس ب۲۵٪ غير منطقى؛ فإن التمثيل يجب أن يكون وفق الكفاءة بغض النظر عن الذكورة أو الأنوثة، فلو كانت كفاءة المرأة أكثر من هذه النسبة فتحديدها بالربع هو انتهاك لحقوقها، ولو كانت أقل من الربع فيلزم تقديم المفضول على الفاضل!.

۱۰: إن لهذا القانون انعكاسات سلبية فى النتائج، منها: القضاء على التعايش القائم، ليس فى العراق وحده بل فى الدول المجاورة للعراق، ومنها: تقنين الانقسام على أساس قومى وطائفى بعد أن كان فى زمن صدام واقع قومى طائفى، ومنها أنه: يعطى الشرعية لكل منطقة فيدرالية أن تقنن الضرائب والرسوم حسب ماتراه دون النظر إلى خصوصية الدين الإسلامى وإلى مصلحة العراق كمجموع.

۱۱: يلوح من تصريحات بعض أعضاء المجلس أن الكثير من بنود هذا القانون لها صفة الإلزام والدوام، والسلطات البعدية ملزمة بتنفيذها، وهذا يتنافى مع اعتباره مؤقتاً. ونقترح فى هذا الصدد:

أ ندعو كل حقوقى عراقى، تهمه مصلحة العراق أن يساعد الشعب فى توضيح ملابسات وأخطاء هذا القانون.

ب تشكيل مظاهرات سلمية للإعراب عن السخط لبعض بنود هذا القانون المؤقت.

ج ندعو العلماء والمثقفين والأحزاب والتنظيمات إلى طرح بدائل دستورية لمساعدة اللجنة التى ستنتخب من قبل الشعب لوضع دستور دائم للعراق.

د ندعو المنظمات الحقوقية الدولية للوقوف إلى جانب الشعب العراقى فى محنته ومساعدة الأكثرية للحصول على نسبتها فى التنفيذ السياسى والإدارى.

() من سياسة الاستعمار البريطانى تأجيج الصراعات بين الدول الإسلامية؛ وكشاهد على ذلك فقد نقل لى أحد الأصدقاء الذى اتّخذ فى الثمانينات من القرن العشرين بريطانيا سكنىً له، قال: كنت أبحث عن عمل يتناسب مع تخصصى باعتبارى مهندساً تكنولوجياً، فذهبت فى إحدى الأيام لأحد المصانع العسكرية المتخصصة فى صناعة الصواريخ، والتقيت بمدير المصنع؛ الذى أصبح فيما بعد من أصدقائى. قال لى ذات يوم: إن مصنعنا هذا، يصنع الصواريخ، ومنتوجاتنا نبيعها للبلدان الإسلامية وغيرها وعلى الخصوص المتنازعة منها. وأضاف: فى هذه الغرفة التى أنت جالس فيها، يأتينا وفد من بلدين إسلاميين متحاربين، ونحن نبيع السلاح لكلا البلدين، حتى

إنه فى بعض الأحيان يتزامن مجيئهما فى وقت واحد. فنحن نقسّم الصالة إلى نصفين بستائر ونحاور الطرفين، ثم نقول لهما: إذا كنتم فى حرب، فهذه الأسلحة نبيعها لكم، ولتقتصر نزاعاتكم على أراضيكم، أما هنا فلا صراعات ولا نزاعات!.

() أمثال السعدون وجعفر العسكرى وعبد الرحمن الجيلانى ونورى السعيد.

() سورة فاطر: الآية ۴۳.

() الدولة البويهية، نسبةً إلى مؤسسها بويه بن فنّا خسرو بن حام، حكموا مائة وسبع وعشرين سنة، من سنة ۳۲۱ه (۹۲۳م) واستمروا إلى سنة ۴۴۸ ه (۱۰۵۶م) عندما أسقط حكمهم السلاجقة الأميون بقيادة طغرل‌بك، وعدد سلاطينهم خمسة عشر، أولهم أبو الحسن على بن بويه عماد الدولة، وأشهر ملوكهم فنّا خسرو، عضد الدولة، الذى استولى على بغداد وعمّرها، وآخرهم خسرو شاه. وشمل حكمهم العراق وإيران وقسماً من بلاد الشام، وقد اهتموا ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات والجسور وإصلاح الطرق والأسواق، وأنشؤوا المكتبات والمرافق العامة كمكتبة الوزير أبى نصر سابور بن أردشير التى كانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد من جلائل الآثار ومهام الأسفار والتى جمعت من فارس والعراق والهند والصين والروم، وكان فيها مائة مصحف بخط ابن مقلة، وقد بنيت فى الكرخ فى بغداد سنة ۳۸۱ه، وقاموا بإكرام أهل العلم والمعرفة، وقد حظى الشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الرضى والشيخ الطوسى بمنزلة مرموقة عندهم.

() حكمت الدولة الحمدانية الموصل وحلب والمناطق المحيطة بها وشمال سورية من سنة ۲۷۶ه

(۸۹۰م) وإلى ۳۹۵ه (۱۰۰۴م)، مؤسّسها أبو الهيجا، حمدان بن حمدون، الذى كان والياً على الموصل من قبل العباسيين، واتّخذ ماردين قاعدة له سنة ۲۷۹ه (۸۹۲م)، وتولّى بعد حمدان الحكم ابنه الحسن؛ ويعبّر عنه ب ناصر الدولة، الذى حكم من سنة ۳۱۷ه (۹۲۹م) واستمرّ إلى ۳۵۸ه (۹۶۹م)، ثم جاء بعده على بن عبد الله بن حمدان «سيف الدولة»؛ وقد وسّع حكمه ليشمل حمص، والذى اشتهر بثقافته الرفيعة ورعايته للعلماء والفلاسفة والأدباء والشعراء، وكان يحضر بلاطه أبو الفرج الأصفهانى والمتنبى والفارابى وابن خالويه، كما خاض جهاداً ضدّ البيزنطيين وحمى الإسلام بذلك، وبلغت حلب فى عهده أوج تقدمها وازدهارها، وتوفى على بن حمدان سنة ۳۵۶ه (۹۶۷م)، وانهارت دولتهم على أيدى البزنطيين (الروم).

() الدولة الفاطمية، مهّد لقيامها أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد، المعروف بأبى عبد الله الشيعى، المولود فى صنعاء، حكمت من ۲۹۷ ه (۹۰۹م)، واستمرّ حكمها إلى ۵۶۷ه (۱۱۷۱م)، وكان عدد حكّامها أربعة عشر؛ ابتداءً بعبد الله المهتدى بالله وانتهاءً بعبد الله العاضد لدين الله، ويرى المحقق حسن الأمين فى كتابه صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين أن خلافة الفاطمية انهارت فى زمن المستنصر بالله عندما استولى بدر الجمالى أمير الجيش سنة ۴۶۶ه على البلاد وأصبح الخليفة محكوماً عليه بالإقامة الجبرية، ثم عين بدر الجمالى بعده الأفضل ثم الحافظ . وابتدأ سلطانهم بأن حكموا تونس ثم أخضعوا الشمال الإفريقى كلَّه ثم مصر؛ فى عهد الخليفة المعز لدين الله، الذى مدّ حدود حكمه إلى شواطئ الأطلسى وأنشأ مدينة القاهرة وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان، ومجموع خلافتهم مائتا سنة واثنتان وسبعون وبضعة أيام، منها مائتان وثمان سنين فى القاهرة، ومن إنجازاتهم: إيجاد وحدة التكامل السياسى بين المغرب والمشرق؛ فأصبح المغرب وملحقاته: صقلية وقوصرة وفلورية، ومصر وملحقاتها: وهى الشام والحجاز واليمن؛ وحدة سياسية قاعدتها القاهرة، بعد أن كانت كيانات مجزأة، ومن إنجازاتهم أيضاً: وقوفهم فى وجه الدولة البيزنطية والصليبيين، كما أسّسوا جامع الأزهر وجامع الحاكم ودار الحكمة. ولهم الفضل فى تعريب القسم الإفريقى وفى حماية الشواطئ الإفريقية الشمالية من الغزو الصليبى، وبنوا لأجل ذلك قاعدة عسكرية قوية، تضم خمسة آلاف ربان و۲۰۰ سفينة، وأضحت المهدية والسوسة ومرافئ صقلية مركزاً لهذه السفن، وكان لهما إسطولان فى البحر المتوسط والبحر الأحمر ولهم موانئ على البحر المتوسط هى الإسكندرونة ودمياط فى مصر، وعسقلان وعكا وصور وصيدا فى الشام، وعيذاب على البحر المتوسط. راجع «المجالس والمسايرات» للقاضى النعمان، «تأريخ الخلفاء الفاطميين فى المغرب»، «أعيان الشيعة» لمحسن الأمين، «اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة

الفاطميين الخلفاء» للمقريزى.

() الدولة الصفوية: وهى سلالة إسلامية شيعية، تأسست على أنقاض الحكم المغولى التيمورى، وتنسب إلى صفى الدين الأردبيلى، المولود سنة ۶۵۰ه (۱۲۵۲م) والمتوفى سنة ۷۳۵ه

(۱۳۳۴م)؛ والذى قضى على الآق قيونلو واتخذ تبريز عاصمة له، ولقّب بشاه، وحكمت هذه السلالة إيران مدة مائتين وخمس وثلاثين سنة منذ سنة ۹۰۵ه (۱۵۰۰م) وإلى ۱۱۴۰ه (۱۷۲۸م)، وبعد الأردبيلى، جاء شاه إسماعيل بن حيدر الصفوى، المولود سنة ۸۹۳ ه (۱۴۸۸م)، والذى حكم من سنة ۹۰۵ه (۱۵۰۰م) واستمر إلى ۹۳۰ه (۱۵۲۴م)، وقد خاض حروباً متعددة مع العثمانيين؛ والذين هزموه فى معركة جالدران قرب مدينة تبريز سنة ۹۲۰ه (۱۵۱۴م)، ثم حكم من بعده ابنه طهماسب الأول، الذى اتّخذ قزوين عاصمة له سنة ۹۶۲ه (۱۵۵۵م)، والذى حكم ۵۴ سنة، ثم جاء بعده إسماعيل الثانى وحكم سنتين، ثم من بعده محمد خدابنده بن طهماسب الأول وحكم عشر سنوات، ثم شاه عباس الأول ابن محمد، الذى نقل العاصمة إلى «أصفهان» سنة ۱۰۰۱ه (۱۵۹۳م)، وحكم أربعاً وأربعين سنة، ثم جاء بعده «شاه سليمان»، حفيد شاه عباس الأول. وكان آخر ملوكهم شاه حسين، الذى حدثت فى عهده فتنة «الأفغان»؛ عندما احتلّ ملكها شرف الأفغانى أصفهان، واعتقل شاه حسين وقتله سنة ۱۱۴۰ه (۱۷۲۸م) وتركه ثلاثة أيام بدون غسل ولا كفن، وأمر ملك الأفغان بهدم المدارس والمساجد والمكتبات فى إيران حتى قيل: إن حمّامات وأفران العاصمة أصفهان كانت تسخن لأكثر من شهر بواسطة كتب مكتبات الصفويين.

() دولة الأدارسة: سلالة حكمت المغرب من سنة ۱۷۲ه (۷۸۹م) وإلى ۳۷۵ ه (۹۸۵م)، مؤسّسها إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، الذى نجا من مجزرة فخ التى حدثت فى عهد الهادى العباسى سنة ۱۶۹ه، بعد أن حاصرت قواته مجموعة من العلويين بالقرب من مكة فى منطقة اسمها فخ، وقتل أكثر العلويين ولم ينج منهم إلاّ عدد قليل، كان إدريس منهم، الذى هرب إلى مصر ثم إلى مدينة وليلى فى المغرب، واستقبله زعيم قبيلة «أورَبه سنة ۱۷۲ه (۷۸۸م) وبايعه على الزعامة وتبعته بقية القبائل؛ فاتّخذ مدينة وليلى عاصمة له، ثم وسّع نشاطه ودولته فى المغرب حتى شملت شمال إفريقيا؛ ممّا أغاظ هارون العباسى، الذى رأى أنّ لا قبل له بهزيمته عسكرياً؛ ففكّر باغتياله بالسُّم سنة ۱۷۷ه (۷۹۳م) بواسطة سليمان بن جرير المعروف ب «الشماخ»، وقد حكم خمس سنوات ثم تولّى الحكم مولى الأدارسة راشد حتى وفاته سنة ۱۸۶ه (۸۰۲م) ثم حكم أبو خالد العبدى إلى أن بلغ إدريس الثانى الذى كان حملاً عند مقتل والده، ولمّا بلغ إدريس الثالثة عشرة من عمره، بويع بالخلافة وكان ذلك سنة ۱۹۲ه (۸۰۸م)، واستمر فى الحكم إلى موته سنة ۲۱۵ه (۸۳۰م)، وعاش ستاً وثلاثين سنة، ثم تبعه محمد بن إدريس، وفى عهده قُسّمت البلاد بين إخوانه، واستقلّ كل واحد منهم بجزء من البلاد ممّا حدا بالأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر من السيطرة على بلادهم، وقد صالح آخر حكامها يحيى بن إدريس على البيعة للحاكم الفاطمى عبد الله المهدى. وبفضل الأدارسة انتشر الإسلام فى كثير من مناطق العالم، وأسست الكثير من المدن وعلى رأسها مدينة فاس، وبفضلهم أنشئت المدارس والمكتبات وتوسع العمران؛ حيث رفعوا شعار «الأرض لله ولمن عمرها» وازدهرت الصناعات والحرف؛ ممّا أوجب زيادة التجارة، وأصبحت عملتهم سارية فى جميع الأمصار، وهذه الأمور أدت إلى تحضّر البلاد وازدهارها. للمزيد راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۱۰۵ لحسن الأمين، روض القرقاس لابن أبى زرع. وقد قامت حكومات شيعية أخرى فى التاريخ كالدولة الجلائرية التى أسّسها حسن الجلائرى، التى حكمت العراق من سنة ۷۴۰ ه وإلى ۸۱۳ ه، وأشهر سلاطينها إدريس الجلائرى، ودولة بنى حمود فى المغرب وهم أحفاد الأدارسة الذين ساهموا وبشكل فعال فى إسقاط الدولة الأموية فى الأندلس.

() مثلاً: قاد عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۵۸م انقلاباً عسكرياً على فيصل الثانى، وقاد عبد السلام عارف انقلاباً على عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۶۳م، وقاد أحمد حسن البكر سنة ۱۹۶۸م انقلاباً على عبد الرحمن عارف، وقاد صدام التكريتى سنة ۱۹۷۹م انقلاباً على البكر.

() الذى قاده عبد الكريم قاسم سنة ۱۹۵۸م.

() الذى قاده عبد الرحمن عارف سنة ١٩٦٣م.

() الذى قاده أحمد حسن البكر سنة ١٩٦٨م.

() دام العهد الملكى قرابة ثمان وثلاثين سنة من ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م واستمر إلى ١٧ تموز ١٩٥٨م وبلغ عدد الوزارات فيه تسعاً وخمسين وزارة، احتوت على ٥٧٥ مقعداً وزارياً، تناوب على شغلها ١٧٥شخصاً، وبلغ عدد رؤساء الوزارات ٢٣ شخصاً أولهم عبد الرحمن الجيلانى وآخرهم أحمد مختار بابان. وتناوب على هذه الوزارات أربعةٌ وعشرون شخصاً، عشرون منهم من الطائفة السنية وأربعة من الشيعة، وحصل السّنة على رئاسة الوزراء أربعاً وخمسين مرّة بما فيها الحكومة المؤقتة برئاسة الجيلانى، مقابل خمس مرات للشيعة، وحكم السُّنّة أكثر من ست وثلاثين سنة فى حين حكم الشيعة أقل من سنتين. وشغل العسكريون من الوزارات ثمانى وثلاثين وزارة مقابل إحدى وعشرين وزارة شغلها المدنيون، وتناوب على الوزارات أحد عشر شخصاً من العسكريين فى حين تناوب ثلاثة عشر شخصاً من المدنيين، علماً أن جميع الوزارات العسكرية كان يقودها السنة فى حين أنّ الوزارات الشيعية الخمس كانت مدنية. للمزيد راجع كتاب تلك الأيام للمؤلف رحمة الله عليه وتاريخ الوزارات العراقية: ج١٠ للسيد عبد الرزاق الحسنى.

() كمناطق جنوب العراق ووسطه وعلى الخصوص العتبات المقدسة.

() جرترود لو شبان بيل، ولدت سنة ١٨٦٨م وماتت فى الثانى عشر من تموز سنة ١٩٢٦م، درست فى جامعة أكسفورد، ثم أرسلت من قبل وزارة المستعمرات البريطانية إلى سورية ونجد والعراق، ودخلت العراق سنة ١٩٠٩م و١٩١٠م و١٩١١م و١٩١٤م لمهام تجسّسية، وفى سنة ١٩١٦م التحقت بالهجوم البريطانى على العراق وعملت كمستشارة للمندوب السّامى البريطانى وظلت فى منصبها حتى وفاتها ودفنت فى بغداد فى مقبرة المسيحيين. من مؤلفاتها:

العراق فى رسائل المس بيل؛ ترجمة جعفر الخياط، و «فصول من تأريخ العراق القريب»؛ ترجمة جعفر الخياط، و سورية البادية المعمورة وكتاب رابع يحتوى على عشائر العراق وأصولهم ومشجرات أنسابهم.

() نورى سعيد صالح السعيد، من تلاميذ لورنس، ضابط فى الأركان البريطانية، حيث كان معه منذ صباه واشترك معه فى الحرب ضد العثمانيين، بعد أن كان ضابطاً فى الجيش العثمانى، ويعد من ركائز بريطانيا فى الشرق الأوسط كما وصفه الرئيس المصرى جمال عبد الناصر بذلك، ومؤيداً ومخلصاً للعلاقات مع بريطانيا؛ كما وصفه السير موريس بيترس السفير البريطانى فى العراق بين عام ١٩٣٨ ١٩٣٩م فى كتابه «جانبا الستار».

ولد فى بغداد سنة ١٣٠٦ه (١٨٨٨م) وقتل سنة ١٣٧٧ه (١٩٥٨م)، أصبح رئيساً للوزراء بين سنة ١٣٤٩ه ١٣٧٧ه (١٩٣٠م ١٩٥٨م) لأربع عشرة دورة، ووزيراً للدفاع لخمس عشرة دورة، ووزيراً للخارجية فى إحدى عشرة دورة، ووزيراً للداخلية فى دورتين، وضع إمكانات العراق وقدراته تحت تصرف البريطانيين عبر التحالف معهم، وقد جعل العراق ضمن التكتلات الدولية والتبعية الاقتصادية وسوقاً لمنتجات الدول الاستعمارية، يقول عنه فيصل الأول: «إن نورى السعيد كان يعتمد على الوحى الذى يأتيه من الخارج أكثر من اعتماده على رأيه أو رأى إخوانه». ويقول أحمد مختار بابان، آخر رئيس وزراء فى العهد الملكى فى مذكراته ص٥٥: كان نورى متمسكاً بصداقة الإنجليز اعتقاداً منه بأن بلادهم هى الدولة الوحيدة التى يجب أن يركن لها العراق. ويقول ولدمار غولمان السفير الإمريكى فى العراق من سنة ١٩٥٤ ١٩٥٩م فى كتابه «العراق فى عهد الجنرال نورى» عن علاقة نورى بإسرائيل: «إن تصريحات نورى السعيد العلنية عن إسرائيل كانت تختلف اختلافاً شديداً عما كان يقوله فى مجالسه الخاصة. كان نورى يقول فى مجالسه الخاصة: «إن وجود دولة إسرائيل حقيقة يجب أن تقبل». وكان نورى السعيد يكره المعارضة ولا يتحمل تأسيس الأحزاب، يقول بابان فى مذكراته ص٥٨ فى هذا الصدد: يكره المعارضة ... ولا يتحمل تأسيس الأحزاب المعارضة ... وما كان يميل إلى حرية الصحافة. وفى مكان آخر من نفس الصفحة يقول: «علىّ أن أقر أيضاً كان نورى السعيد ارتكب خطأً سياسياً آخر حين أقدم على غلق الأحزاب السياسية، فإن الأحزاب المذكورة بقيت تمارس أعمالها فى الخفاء، فيما كان وجودها العلنى أضمن لصيانة الأمن والنظام». راجع للحيطان آذان

وللشوارع ألسنة للنشاشيبى ص۱۸، «العراق صفحات من التاريخ السياسى» للدكتور كاظم الموسوى ص ۱۵، «مذكرات أحمد بابان» لأحمد بابان ص۵۵، ۵۸. و أعمدة الحكمة السبعة للورنس، «العراق فى مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» لنجدة فتحى صفوة.

() لم تكن سياسة نورى السعيد تقتضى إلقاء الفتن بين الشيعة فقط، بل إلقاء الفتن بين السنة والشيعة، يقول طه الهاشمى فى مذكراته ليوم ۷ آذار ۱۹۴۰م: «وأذكر أنى قلت لنورى يوماً إنى أرتاب من علاقة الرتل الخامس فى حادثة الاغتيال اغتيال رستم حيدر ومن الجائز أن عملاء الألمان حرضوا القاتل على الاغتيال ليحدثوا شغباً بين الشيعة والسنة، وكان قد شاع أن القاتل كان من ألمانيا، فلما سمع نورى بهذا الخبر ارتاح له وكادت تحدث فتنة طائفية. حيث نشر نورى أن قتل رستم حيدر هو لحزازات طائفية».

() وقد تطرق الإمام المؤلف رحمة الله عليه إلى تلك الآثار فى مذكراته (تلك الأيام).

() وقد دفن فى هذه المقبرة علماء أجلاء أقامت السلطات الحكومية عليها إحدى الأبواب الرئيسية للروضة.

() ياسين حلمى سلمان الهاشمى، ولد فى بغداد سنة ۱۸۸۴م ومات فى ۲۱ كانون الثانى سنة ۱۹۳۷م، ودفن فى سوريا بجوار صلاح الدين الأيوبى، أحد أعضاء جمعية العهد، تولّى قيادة أحد فيالق العثمانيين، كان على ارتباط بفيصل الأول، وقد عيّنه فيصل رئيساً للأركان أيام حكومته فى سوريا سنة ۱۹۱۸م، دخل العراق سنة ۱۹۲۲م، وشغل عدة مناصب وزارية فيه كالأشغال والمواصلات والأوقاف والمالية، وشغل منصب رئيس الوزراء سنة ۱۹۲۴م وسنة ۱۹۳۵م. يعد من أعمدة الاستعمار البريطانى فى العراق، تقول عنه الجاسوسة البريطانية، المس بيل: أعتقد أن ياسين رجل القدر. أطلق عليه العراقيون لقب أتاتورك العراق، لقساوته وعنفه وطغيانه، فقد أخذ على عاتقه تصفية الحوزات العلمية وحل جميع الأحزاب ومنع إجراء مراسم الشعائر الحسينية حتى إنه هدم مأذنة حرم الإمام الحسين عليه السلام سنة ۱۳۵۷ه واستخدم العنف فى تطبيق التجنيد، هرب إلى بيروت سنة ۱۹۳۶م وبقى هناك إلى موته.

() السيد ميرزا مهدى بن حبيب الله الشيرازى، ولد فى مدينة كربلاء المقدسة سنة ۱۳۰۴ه وتوفى فى شهر شعبان من سنة ۱۳۸۰ه عن عمر يناهز الست والسبعين سنة، تنقل فى طلب العلم بين كربلاء وسامراء والكاظمية والنجف، تتلمذ عند الشيخ الخراسانى والسيد اليزدى والشيخ محمد رضا الهمدانى والسيد على نجل المجدّد الشيرازى والميرزا النائينى والشيخ محمد تقى الشيرازى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد حسين القمى سنة ۱۳۶۶ه، شارك فى ثورة العشرين، وفى سنة ۱۳۶۰ه (۱۹۴۱م) أفتى بطرد الإنجليز من العراق، وفى نهاية الخمسينات وقف بوجه المدّ الشيوعى وأصدر فتوى بتكفيرهم، وتصدى سنة ۱۳۶۰ه لانحرافات الشاه الذى سعى لنشر التبرّج والخلاعة فى إيران، ودعاه إلى الالتزام بالأحكام الشرعية فى الأوقاف وفى منع الاختلاط فى المدارس ووجوب تدريس الأحكام الشرعية فى المدارس وتحسين الوضع الاقتصادى العام، كما وقف بوجه المدّ القومى فى زمن عبد السلام عارف. من مؤلفاته المطبوعة: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة، تعليقة على العروة الوثقى، تعليقة على وسيلة النجاة. ترجمته فى كتاب أسرة المجدّد الشيرازى لنور الدين الشاهرودى وكتاب أضواء على حياة الإمام الشيرازى، وكتاب «تراث كربلاء» للسيد سلمان آل طعمة.

() أسّسها الإمام الشيرازى رحمة الله عليه إبان الامتداد الشيوعى على أرض الرافدين وهى تضم شخصيات وعلماء من مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، وعقدت أول جلساتها فى جمادى الأولى من نفس السنة، وقد حظيت هذه الجماعة بمباركة الإمام السيد مهدى الشيرازى رحمة الله عليه والإمام السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه وغيرهم، للتفصيل عن تشكيل هذه الجماعة راجع مذكرات الإمام المؤلف رحمة الله عليه: تلك الأيام ص۱۲۶ تحت عنوان: هكذا شكلت جماعة العلماء.

() صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شادى الأيوبى، ينحدر من سلالة فرنسية من جهة الأم؛ كما صرح بذلك الدكتور الفرنسى لويس بوزيه فى محاضرة ألقاها فى مؤتمر صلاح الدين الأيوبى فى نيسان من سنة ۱۹۹۴م، هاجر جدّه شادى مع ولديه نجم الدين وأسد الدين إلى بغداد وعيّن على قلعة تكريت، ويعد مؤسس الدولة الأيوبية والتى أسماها باسم عائلته واستمر حكمها من سنة ۵۶۴ه (۱۱۶۹م) وإلى ۶۴۸ه (۱۲۵۰م)، وأطيح بها من قبل المماليك، وقد حكموا مصر وبلاد الشام وبعض بلاد العراق والجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب اليمن، وعدد حكامها ثمانية أشخاص، أولهم: صلاح الدين وآخرهم نوران شاه، ولد صلاح الدين فى تكريت سنة

۵۳۲ه‍ (۱۱۳۷م)، وعاش فی الشام عشر سنوات، فی عهد نور الدین محمود بن عماد الدین زنکی ثم ذهب مع عمه أسد الدین شیرکوه إلی مصر مع ثمانیهٔ آلاف فارس حیث أرسلهم نور الدین زنکی، استجابهً لدعوهٔ الخلیفهٔ الفاطمی العاضد الذی طلب مساعدته کراراً للردّ علی الصلیبیین، الذین زحفوا علی عسقلان حتی وصلوا إلی «بلیس» وهددوا القاهرهٔ ثم تقهقروا عنها دون قتال، وأن نور الدین قبل مساعدهٔ العاضد بشرط أن یمتلک ثلث مصر، وعندما وصل شیرکوه إلی القاهرهٔ، عهد إلیه العاضد منصب الوزارهٔ والذی بقی فیها مدهٔ شهرین وخمسهٔ أیام، حیث وافاه الأجل، ثم عهد من بعده لصلاح الدین، ولکن صلاح الدین سعی للتخلص من العاضد، فانقلب علی الحکم وقضی علی الدولهٔ الفاطمیهٔ وخطب للعباسیین واعترف بسلطهٔ الحاکم العباسی صوریاً سنهٔ ۵۶۶ ه

(۱۱۷۱م)، وقد حکم مصر أربعاً وعشرین سنهٔ من ۵۶۴ه‍ (۱۱۶۹م)، ومات سنهٔ ۵۸۹ ه

(۱۱۹۳م) عن عمر یناهز السبع والخمسین سنهٔ، واشتهر صلاح الدین بالإدمان علی الخمر وارتکاب الفواحش؛ وهذا ما صرح به أحد أعوانه وهو ابن شدّاد فی کتابه النوادر السلطانیهٔ، وکذا ذکره سیر أعلام النبلاء ج۱ ص۲۷۹ وزبدهٔ الحلب فی تاریخ حلب المجلد الثانی، اتّسم حکمه بالدیکتاتوریهٔ والاستبداد وأجبر الناس علی اعتناق المذهب الشافعی، وحارب مذهب الشعب المصری وهو مذهب التشیع، وحبس علماءهم وکان یتتبع آثارهم لقتلهم، فقد قتل الفیلسوف السهروردی، وعزل قضاهٔ الشیعهٔ وصلب بعضهم، أمثال: هبهٔ الله بن کامل وعبد الصمد الکاتب وداعی الدعاهٔ بن عبد القوی، وکان یقتل کل من یمدح أهل البیت علیهم السلام أو یذکر فضائلهم فیقطع لسانه ویدیه ثم یرجمه، کما قتل الشاعر عمارهٔ الیمنی، وکان یأخذ الضرائب والمکوس من الشیعهٔ لتشیعهم وأقلها خمسمائهٔ ألف درهم، وقد أحرق المکتبات سنهٔ ۵۷۴ه‍ بعد أن أضرم النار فیها. وألقی بعضها الآخر فی نهر النیل وترک قسماً منها فی صحراء سیناء فسفت علیها الریاح حتی صارت تلالاً، عرفت بتلال الکتب، کما أن حمّامات القاهرهٔ بقیت ستهٔ أشهر تحرق الکتب لتسخین المیاه فی مراجلها وبعض هذه الکتب بیع وبعضها أخذه العبید والإماء متّخذینها أحذیهٔ لهم!. ومن المکتبات التی أحرقها خزانهٔ الکتب التی أنشأها (العزیز بالله) سنهٔ ۳۶۵ ه؛ وکانت تحتوی علی ملیونین وستمائهٔ ألف کتاب فی جمیع العلوم، یقول جرجی زیدان فی تأریخ التمدن الإسلامی: ج۲ ص۲۲۹: «کانت تحتوی علی ثمانیهٔ عشر ألف کتاب فی العلوم القدیمهٔ وستهٔ آلاف وخمسمائهٔ جزء من کتب النجوم والهندسهٔ والفلسفهٔ، وکان فیها ۳۴۰ ختمهٔ قرآن بخطوط منسقهٔ مزینهٔ بالذهب ومجلدهٔ بشکل نفیس وکان فیها ۱۲۰۰ نسخهٔ من تأریخ الطبری»، وأحرق دار الحکمهٔ التی أنشأها الآمر بالله سنهٔ ۳۹۵ ه وکانت تضم أکثر من مائهٔ ألف کتاب. ویقول الدکتور ألکسندر ستیفیتش فی کتابه تاریخ الکتاب القسم الأول: ص۱۴۳ ما نصه: وقد سجلت نهایهٔ العصر الفاطمی بدایهٔ انهیار المکتبات الکبری فی القاهرهٔ فقد أدی النهب والحرائق واللامبالاهٔ إلی القضاء علی قسم کبیر من ثروهٔ المکتبات التی کان الخلفاء الفاطمیون وهم من محبی الکتب قد أنفقوا علیها الکثیر من اهتمامهم وثروتهم، ومن الجرائم التی تفرد بها أنه فرق بین رجال الشیعهٔ ونسائهم بعد أن سجنهم مصفدین بالسلاسل والقیود حتی لا یتناسلوا، وجعل یوم العاشر من المحرم یوم استشهاد سبط الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله یوم عید، نکایهٔ بالإمام الحسین علیه السلام، ومنع ذکر حیَّ علی خیر العمل فی الأذان وصادر أموال الناس وأعطاها لجنده وغیر ذلک ممّا یندی له جبین کل صاحب شرف وغیرهٔ ودین وإنسانیهٔ، لمزید من التفصیل راجع کتاب (صلاح الدین الأیوبی بین العباسیین والصلیبیین والفاطمیین) للباحث حسن الأمین.

() مجموعهٔ حروب شنها الغربیون علی بلاد الإسلام، عرفت بالحروب الصلیبیهٔ واستمرت طیلهٔ قرنین من الزمن منذ سنهٔ ۴۹۰ه‍ (۱۰۹۶م) وإلی سنهٔ ۶۹۱ه‍ (۱۲۹۱م)، وکان ذلک فی زمن البابا أُربان الثانی وبمساعدهٔ بطرس الناسک بعد أن دعا الأول إلی مؤتمر «کلیر مون» الذی عقد فی فرنسا فی ذی القعدهٔ سنهٔ ۴۸۸ه‍ (تشرین الثانی ۱۰۹۵م)؛ لتألیب المسیحیین ضد المسلمین والتحریض لهذه الحروب، واستجاب ملک فرنسا لأربان الثانی. وعدد هذه الحروب ثمانیهٔ، واشترکت فیها أغلب الدول الأوربیهٔ کفرنسا وألمانیا وإنجلترا وأسکتلندا وإیطالیا، وإن الدوافع لهذه الحروب عند الأوربیین تتجسد فی النزعهٔ الدینیهٔ والتخلص من المشاکل التی یثیرها رجال الشمال ومن نظام الإقطاع وسیادهٔ الملاّک، حیث رأی الفلاحون والعبید مشارکتهم فی الحرب تعنی التخلص من أسیادهم وفرصهٔ

للنجاة من الفقر والمجاعة والعوز، والذهاب إلى بلاد الشرق التى عرفت بامتلاك الخيرات، وخلال هذه الحروب ذهب الكثير من المسلمين بين قتيل وأسير ومعاق، وانتهكت الأعراض وأحرقت المكتبات وهدمت البلاد، وعبر هذه الحروب بث الغربيون فكرة فصل الدين عن السياسة حتى يتساوى الذّمى والمسلم، وعبرها كذلك نقل الغربيون الهندسة الحربية والنمط الهندسى المعمارى الإسلامى والحرير والأنسجة الدمشقية والأرجوان والمرايا والكثير من الكتب الإسلامية إلى بلادهم. راجع: الحروب الصليبية للدكتور حسن حبش.

() فقد قتل صلاح الدين مليون مسلم شيعى وسجن عشرة آلاف شخص منهم ذكوراً وإناثاً وبكافة الأعمار بعد أن صادر ما يملكون؛ حيث سجن الذكور كهولاً وشباباً وأطفالاً فى سجن مدى الحياة، مصفّدين بالسلاسل والقيود، وسجن النساء عجائز وصبايا فى سجن آخر وبنفس الصفة والطريقة، ومنعوهم من التناسل؛ لتنقطع ذرية الشيعة، واستمر هذا الحال بالمساجين سنوات متتالية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.

() مثلاً ـ أعطى لولده عثمان الملقب بالعزيز مصر، وأعطى لأكبر أولاده، الأفضل دمشق وما حولها، ولولده، الظاهر حلب وما إليها، ولابن أخيه المنصور، حماه، ولابن عمه محمد بن شيركوه، حمص والرحبة، ولأخيه العادل أبو بكر، الجزيرة وما حوتها، ولأخيه طغتكين اليمن ومعاقلها، وأعطى لأمجد بهرام شاه بعلبك وأعمالها، وأعطى للظافر بن الناصر بصرى وأعمالها، وأن ورثته لم يقتنعوا بما تحت أيديهم بل تنازعوا وتقاتلوا، وبدل أن يحاربوا الزحف الصليبى، حارب بعضهم بعضاً، بل استعانوا بالصليبيين على بعضهم، مثلاً: الكامل والأشرف ولدا عادل أخى صلاح الدين تبادلا الرسل مع الملك الصليبى فردريك الثانى إمبراطور الروم؛ ليساعدهما على أقربائهما لقاء صفقة تسليم القدس وما حولها ومعها الناصرة وبيت لحم وطريقاً يصل بين القدس وعكا وذلك سنة ۶۲۵ه (۱۸ شباط ۱۲۲۹م).

() مثلاً: إن صلاح الدين كان يراسل الصليبيين لعقد الصلح معهم وكان الوسيط بينه وبينهم أخاه العادل.

() بسر بن أرطأة العامرى، ولد بمكة قبل الهجرة وأصابه الجنون أواخر حياته وهلك سنة ۸۶ ه، عرف بقساوة قلبه وسفكه للدماء، شارك مع معاوية فى واقعة صفين وضربه الإمام على عليه السلام فصرعه ولكن بسراً كشف عن عورته فكفَّ عنه الإمام عليه السلام، وقال مالك الأشتر للإمام عليه السلام حين سقط بُسر على الأرض: «هذا بسر بن أرطأة، عدو الله وعدوك. فقال عليه السلام: دعه، عليه لعنة الله، أَبَعْدَ أن فعلها؟» وفى ذلك يقول الحارث بن النضر:

أفى كلِّ يوم فارس غير مُنتهٍ

وعورته وسط العجاجة بادية

يكفُّ لها عنه على سنانه

ويضحَكُ منها فى الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه

وعورة بسرٍ مثلها حذو حاذية

ولا تحموا إلّا لحَيَا وخصاكُما

هما كانتا والله للنفس واقية

أرسله معاوية لمحاربة أهل المدينة ومكة سنة ۴۰ه بثلاثة آلاف مقاتل؛ حيث قال له: «سر حتى تمرّ بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممّن لم يكن قد دخل فى طاعتنا، وكذلك قال له: «من لا يبايع اقتله» كما ذكر ذلك أبو إسحاق فى كتابه الغارات: ص۴۱۵، وعندما دخل المدينة، هدم بيوتها وقتل الرجال والأطفال وأحرق بعضهم بالنار، وسبى النساء؛ فكن أول مسلمات سبين فى الإسلام، وقد باع معاوية النساء المسلمات المسبيات فى الأسواق، فكان يكشف عن سيقانهن فأيّها أعظم ساقاً

تشترى بثمن غالٍ، وقد أكره الصحابى جابر بن عبد الله الأنصارى على البيعة لمعاوية، وعندما أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن ليقتل شيعة على عليه السلام ويأخذ البيعة لمعاوية وكان عليها عبيد الله بن العباس والى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، هرب عبيد الله حين أحسّ بهجوم بُسُر عليه وعندما دخل بُسُر اليمن، فعل ما فعل بأهل المدينة، وسبى النساء وقتل الأطفال حتى إنه ذبح القثم وعبد الرحمن، طفلى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكانا فى حجر أمهما، جويرية الكنانى، وعندما شاهدت أمهما هذا المنظر انهارت وأخذت تنشد:

سمعى وعقلى فعقلى اليوم مختطف

من قبلهم ومن الإثم الذى اقترفوا

مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

يا من أحس بابنى اللذين هما

حدثت بسراً وما صدقت ما زعموا

أنحى على ودجى ابنى مرهفه

راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: المجلد العاشر، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۲ ص۱۷، أسد الغابة: ج۱ ص۱۷۹، مروج الذهب: ج۳ ص۳۰، الاستيعاب: ج۱ ص۲۴۲، الغارات: ص۴۰۴، وقعة صفين: ص۳۱۶، السيرة النبوية: ج۳ ص۴۰.

() مسلم بن عقبة المرّى، وسُمّى ب مسرف؛ لكثرة سفكه للدماء، قاد جيشاً من أهل الشام لقتال أهل المدينة قوامه خمسة آلاف فى ۲۸ ذى الحجة سنة ۶۴ه، وقيل: ۶۳ه، حيث قال له يزيد بن معاوية تنفيذاً لوصية أبيه: واجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربهم وإن ظفرت بهم فأبحهم ثلاثاً. وتقاتل مع أهل المدينة وكان أميرهم عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، وقُتل عبد الله مع سبعمائة من المهاجرين والأنصار والموالين؛ كما ذكر ذلك فى البداية والنهاية: ج۸ ص۲۲۲، بالإضافة إلى عشرة آلاف شخص من الرجال والنساء والأطفال، ودخل (مسرف) المدينة وأباحها ثلاثة أيام لجنوده وسرقوا أموالهم وممتلكاتهم وهتكوا أعراضهم. وقد ورد فى التاريخ أنهم زنوا فى المسجد النبوى حتى وَلَدت ألف امرأة بكر من الزنا بعد الواقعة وعرفوا بأولاد الحرّة، وأخذوا الناس على أن يبايعوا أنهم عبيد ليزيد؛ فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنك عبد قن للخليفة، فيقول: لا، فيضرب عنقه، وبعد أن فعل الأفاعيل بالمدينة، توجه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير الذى رفض البيعة ليزيد بن معاوية، ومات فى الطريق فى منطقة تعرف ب الغدير، واستخلف الحصين بن النمير لقيادة الجيش والذى رمى الكعبة بالمنجنيق وانهدمت واحترقت.

() الحجاج بن يوسف الثقفى، ولد فى الطائف سنة ۴۱ه (۶۶۱م)، وانتقل إلى الشام ودخل فى خدمة الدولة الأموية؛ فاشترك فى الجيش الذى قاده عبد الملك بن مروان لقتال مصعب بن الزبير، وفى سنة ۷۰ ه (۶۸۹م) ولّاه عبد الملك قيادة الجيش الذى أرسله لقتال عبد الله بن الزبير فى الحجاز فسار نحو مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق من جبل أبى قبيس وتغلب على ابن الزبير وصلبه، وظلّ بالحجاز حتى سنة ۷۴ه (۶۹۴م)، ثم ولّاه عبد الملك بن مروان الكوفة، وقتلته بعوضة سنة ۹۵ ه (۷۱۴م)، وعاش ۵۳ سنة، يعدُّ من أسوأ عمّال بنى أمية، أسهم فى توطيد حكمهم، وقد وصف الحجاج نفسه كما عن ابن سعد فى الطبقات ج۶ ص۶۶: «ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دمٍ منى»، وقد وصفه خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام: وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين، وقال عنه اليافعى فى مرآة الجنان: إنّ أكبر لذّته سفك الدماء، ووصفه عمر بن عبد العزيز قائلاً: «الوليد بالشام والحجّاج بالعراق وقرّة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز، امتلأت والله، الأرض جوراً»، اتّسم حكمه بالقتل والبطش، ومثال على ذلك: قال الحجاج لخالد بن يزيد بن معاوية: ولقد ضربت بسيفى هذا أكثر من مائة ألف، كلهم يشهد أنك وأباك وجدك من أهل النار انظر مسالك الابصار: ص۱۲۳، كما ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ص۳۱۸: إن عدد من قتلهم الحجاج صبراً بلغ مائة وثلاثين ألفاً، عدا من قتل فى زحوفه وحروبه، وفى «تاريخ الخلفاء» للسيوطى و الإمامة والسياسة لابن قتيبة، أن عبد الملك لما كتب إلى الحجاج

یأمره بالمسیر إلی العراقیین ویحتال لقتلهم، فلما دخل المسجد فی البصرة وقد حان وقت الصلاة صعد المنبر فحمد الله ثم قال: أیها الناس، إن الأمیر عبد الملک قلدنی بسیفین حین تولیته إیایّ علیکم سیف رحمة وسیف عذاب ونقمة، فأما سیف الرحمة فسقط فی الطریق، وأما سیف النقمة فهو هذا، فجعل السیوف تبری الرقاب فقتلوا من المسلمین بضعة وسبعین ألفاً حتی سالت الدماء إلی باب المسجد وإلی الطرق. وقد ذکر المیرزا حبیب الله الخوئی فی «منهاج البراعة»: ج۳ ص ۳۵۹ ما لفظه: وأحصی من قتل بأمره الحجاج سوی من قتل فی حروبه فکان مائة ألف وعشرین ألفاً ووجد فی سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، ولم یجب علی أحد منهم قتل ولا قطع، وکان یحبس الرجال والنساء فی موضع واحد لا سقف له، فإذا آوی المسجونون إلی الجدران؛ یستظلون بها من حرّ الشمس، رمتهم الحرس بالحجارة، وکان طعامهم خبز الشعیر مخلوطاً بالملح والرماد. وقریب من هذا المعنی فی کتاب: (شجرة طوبی: ج۱ ص۱۲۸)، وقال الشیخ عباس القمی فی (وقائع الأیام): إنّ ۱۵ ألف امرأة من سجنائه کن حافیات عاریات. وقد أذلّ المسلمین بتصرفاته؛ یقول صاحب کتاب «أُسد الغابة» عندما ولی الحجاج المدینة ثلاثة أشهر، عبث فیها واستهزأ بأصحاب الرسول صلی الله علیه و اله فقد: «ختم الحجاج فی عنق سهل الساعدی وأنس بن مالک وفی ید جابر، یرید إذلالهم». وقتل: کمیل بن زیاد وسلیم بن قیس وقنبر مولی الإمام علی علیه السلام وسعید بن جبیر الذی کان عمره ۹۹ سنة والذی وصفه أحمد بن حنبل قائلًا: «ما علی وجه الأرض أحد إلا ـ وهو مفتقر إلی علمه»، وقتل عبد الرحمن بن أبی لیلی وابن أم طویل وهو من حواریی الإمام السجاد علیه السلام بعد أن قطع یدیه ورجلیه. وکان الحجاج یأمر بالشخص فیقتل ثم یمد علی جسمه السماط ویأکل ویقول: إنی ألتذّ أن أری أطراف السماط تتراقص أمامی علی أجساد القتلی وأن آکل علی مثل هذا السماط. وقد ذکر فی التاریخ أنه نبش اثنین وعشرین ألفاً من القبور فی ضواحی الکوفة، ویروی أن موظف الضرائب من قبل الحجاج دخل علی إنسان وطالبه بزکاة أغنامه فقال له الرجل: لیس عندی زکاة لأن ماشیتی ماتت بسبب البرد، فرجع الموظف إلی الحجاج وبدل أن یخبره بالحقیقة، ذکر أن الرجل یرفض الإیمان بالزکاة. واستغل الحجاج الموقف فأمر بإحضار الرجل. وقال له: کیف لا تؤمن بالزکاة؟ قال الرجل: والله، إنی مسلم ولا یسع المسلم إلّا أن یؤمن بالزکاة. فقال له الحجاج: إذاً کیف قلت إنک لا تؤمن بالزکاة؟ قال الرجل: لم أقل ذلک، إنما قلت: لیس عندی ما یتعلق به الزکاة. ولم یقتنع الحجاج، فقال للرجل: لابد أن یکون لک قلب أکبر من قلوب الآخرین ولهذا تجرأت علی رد کلامی. ثم صاح: أیها الجلاد، أخرج لی قلبه. وبعد لحظات کان النطع ینتظر الرجل حیث شدّوا یدیه وربطوا رجلیه ثم مدّوه وشقّوا صدره وأخرجوا قلبه وقدّموه إلی الحجاج، وکان القلب لا یزال یضطرب. ولما أخذه الحجاج ضحک ضحکة صفراء ثم قال: لا، لم یکن قلبه أکبر، ردّوا إلیه قلبه وادفنوه. للمزید من المعلومات عن جرائمه راجع کتاب (الشیعة والحاکمون) وکتاب (الشیعة فی المیزان) لمحمد جواد مغنیة، البدایة والنهایة لابن کثیر: المجلد التاسع، مروج الذهب للمسعودی: المجلد الثالث، تهذیب التهذیب: المجلد الثانی، مستدرکات أعیان الشیعة المجلد الأول، الصیاغة الجدیدة: ص۵۴۶.

() زیاد ابن سمیة والمشهور ب(زیاد بن أبیه)، ولد فی السنة الأولی للهجرة (۶۲۲م)، ینتسب تارة إلی العبد الرومی عبید الثقفی لقول الرسول صلی الله علیه و اله: (الولد للفراش وللعاهر الحجر). وکان عبید زوجاً لسمیة وواقعها أبو سفیان سفاحاً وأخری إلی أبی سفیان، استلحقه معاویة سنة ۴۴ه (۶۶۴م) عندما رآه معاویة من طلاب الدنیا لقصة مفادها: أن أبا سفیان أتی الطائف فنزل علی رجل یبیع الخمر یقال له: أبو مریم، فقال له أبو سفیان: قد اشتهیت النساء. فقال أبو مریم: هل لک فی سمیة؟ فقال أبو سفیان: هاتها علی طول ثدییها ووفر بطنها، فواقعها فولدت زیاداً. وقال معاویة: نزل من ظهر أبی، وشهد أبو مریم عند معاویة عندما أراد إلحاق زیاد قائلاً: إنی رأیت إستی سمیة یقطران من منی أبی سفیان، ولّاه معاویة الکوفة ثم البصرة وخراسان والهند وعُمان، وقال له: «اقتل من کان علی دین علیٍّ ورأیه»، وکان یأخذ بالظنة ویعاقب بالشبهة، وقد حمل الصحابی حجر بن عدی وأصحابه إلی معاویة فی سلاسل علی جمال، اکتراها لهم صعاباً، وکان یبطش بشیعة أهل البیت علیهم السلام، یقول المیرزا حبیب الله الخوئی فی کتابه منهاج البراعة: ج۷ ص ۱۴۱ ۱۴۲ ما لفظه: قتل زیاد من شیعة العراق تحت کل کوکب وتحت کل حجر ومدر وأغاضهم وقطع الأیدی والأرجل منهم وصلبهم علی

جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشرّدهم حتى انتزحوا من العراق فلم يبق بها أحد منهم إلّا مقتولاً أو مصلوباً أو طريداً أو هارباً، ومات سنة ٥١ه (٦٧١م)؛ كما ذكره اليعقوبى، وقيل: سنة ٥٣ه (٦٧٣م). للتفصيل راجع: لسان الميزان: ج٢ ص٤٩٣، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٤٩٤، شذرات الذهب: ج١ ص٥٩، مرآة الجنات: ج١ ص ١٢٦، ميزان الاعتدال: ج٢ ص٨٦، الطبقات الكبرى: ج٧ ص٩٩، منهاج البراعة: ج٧ ص١٤١، العقد الفريد: ج٥ ص٦، الكامل فى التاريخ: ج٢ ص٤٧٤.

() خالد بن عبد الله القسرى، الذى عرف بالقتل والبطش والدهاء والقسوة، ولّاه الوليد بن عبد الملك مكة والمدينة، وكان على صلة بالحجاج فى مطاردة أصحاب الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم، وكان يسب ويلعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله على المنبر، وفى فترة ولايته أخذ يطارد محبّى أهل البيت عليهم السلام فأصدر أمراً لأهل الحجاز وتوابعها يحملهم فيه مسؤولية إيواء كل من يأتى فارّاً من حكومة الحجاج وتعريضهم لأقسى العقوبات، وفى فترة ولايته، صادر أراضى الناس وجعلها ملكاً له، أخذ يتعطف على النصارى ويعيّنهم فى سلك الدولة، محاباة لأخواله؛ إذ كانت أمه نصرانية. قتل سنة ١٢٠ه (٧٣٨م) من قبل هشام بن عبد الملك.

() محمد بن المنصور ثالث حكام بنى العباس، ولد سنة ١٢٧ه (٧٤٤م) ومات سنة ١٦٩ه

(٧٨٥م) وعاش ٤٣سنة، حكم عشر سنوات وشهراً واحداً من سنة ١٥٨ه (٧٧٥م) وإلى ١٦٩ه (٧٨٥م)، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية وقتل أهل البيت عليهم السلام وقد سعى لقتل عيسى بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ولكنه توارى عنه وتنكر فى لباسه وعمله ونسبه؛ فلبس لباس السّقّائين وامتهن مهنة السِّقاية فلم يعرف أهل الكوفة حقيقته وأخفى أمره حتى على زوجته وأولاده.

() جعفر بن المعتصم بن هارون، عاشر حكام بنى العباس، ولد سنة ٢٠٧ه (٨٢٢م)، وحكم سنة ٢٣٢ه (٨٤٦م)، وقُتل سنة ٢٤٧ ه (٨٦١م) من قبل ولده المنتصر فى مجلس لهوه وطربه بين العود والناى. اتّسم حكمه بالقتل وسفك الدماء وعلى الخصوص لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، يقول ابن الأثير فى كتابه «الكامل فى التاريخ» فى حوادث سنة ٢٣٦ه: وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب وأهل بيته، وكان من يبلغه عنه أنه يتولى علياً يقتله ويصادر أمواله، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانى فى (مقاتل الطالبيين) ما معناه: إن المتوكل أمر واليه على مكة والمدينة أن يعاقب كل من يساعد آل أبى طالب بالإحسان، وقد بلغ بهم الفقر حداً أن العلويات كُنَّ يرتدين ملابس رثة وممزقة، ولم يكن عندهن سوى ثوبٍ واحدٍ، كن يتناوبن عليه وقت الصلاة، واستمر هذا الوضع إلى مقتل المتوكل، وكان يبذل الأموال للشعراء الذين يذمّون الشيعة فقد أعطى لأبى السمط ثلاثة آلاف دينار وعقد له على البحرين واليمامة وخلع عليه أربع حلل؛ لأنه هجا الشيعة، وكان المتوكل أول خليفة يسخر فى مجالس لهوه من سبطى رسول الله صلى الله عليه و اله؛ كما ذكر ذلك المسعودى. وسعى لهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والمبانى أربع مرات؛ لمنع الناس من الزيارة، أُولاها سنة ٢٣٣ه، وثانيها سنة ٢٣٦ه، وثالثها ٢٤٧ ه، وقد قتل العالم اللغوى يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السُّكيت سنة ٢٤٤ه (٨٥٨م)؛ لأجل تشيعه. للمزيد راجع مروج الذهب: ج٤ ص ٤٧، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص١٣٧، ثمار القلوب للثعالبى: ص١٣٤، مقاتل الطالبيين: ص٣٨٥.

() وممّا يؤخذ على صلاح الدين الأيوبى:

١: أنه جنى على التاريخ والأدب والثقافة العربية والإسلامية، بهدمه لدور العلم والمعرفة وإحراقه للكتب وقتله للعلماء والفلاسفة والشعراء.

٢: بعد استرداده للقدس فى معركة حطين، أصدر مرسوماً سنة ٥٨٦ه (١١٩٠م)، يدعو فيه اليهود لاستيطان القدس الذى كان محظوراً عليهم من قِبَل المسيحيين.

٣: أن تصرفاته بعد استرداد القدس، أبطلت نتائج الانتصار؛ لأنه أعاد للصليبيين المدن الفلسطينية جميعاً باستثناء القدس، وبهذا العمل جعل دماء المقاتلين الشرفاء وثروات المسلمين تذهب سدىً.

۴: عقده للهدنة مع قلب الأسد، الزعیم الصلیبی، والتی لا- مبرر لها سوی تکریسه لمصالحه الشخصیة علی حساب مصالح الأمة الإسلامیة، حیث منح بموجبها الصلیبیین مدینة حیفا ویافا وعکا وصور وطرابلس وأنطاکیا وقیساریا. وبموجب هذه الهدنة، اعترف ضمنیاً بسلطة الصلیبیین علی البلاد الإسلامیة التی کانت فی أیدیهم، کما أدت إلی تثبیط عزائم المسلمین فی محاربة الصلیبیین وتحریر أراضیهم.

۵: حال دون قیام دولة إسلامیة موحدة، تتجلی فیها قوة المسلمین علی غیرهم. یقول الباحث حسن الأمین فی کتابه: (صلاح الدین الأیوبی بین العباسیین والفاطمیین والصلیبیین): ص۱۸۷ فی هذا الصدد: «کان ما یسیطر علیه، صلاح الدین، یشمل بلاد الشام امتداداً إلی جبال طوروس، ویشمل مصر والیمن. وبانضمام هذه الأقطار إلی حکومة بغداد، تقوم الدولة العربیة الکبری برعایة الخلافة الإسلامیة المرتبط بها العالم الإسلامی کله ارتباطاً معنویاً حتی فی حالة ضعفها. أما حین تکون بهذه القوة فإن ارتباط هذا العالم بها یکون الارتباط المتماسک المتضامن بالطبع».

۶: وقف الأیوبی بوجه الجیوش الإسلامیة فی زمن نور الدین زنکی الذی طلب منه أن یزحف من مصر لمحاربة الصلیبیین علی أن یزحف هو من الشام، ولکن الأیوبی رفض ذلک، مما حدا بالزنکی أن یؤدّبه، ولکن الأیوبی احتمی بالصلیبیین. یقول ابن الأثیر: «وکان المانع لصلاح الدین من غزو الإفرنج الخوف من نور الدین، فإنه کان یعتقد أن نور الدین متی زال عن طریقه الإفرنج أخذ البلاد منه، فکان یحتمی بهم علیه ولا یؤثر استئصالهم، وکان نور الدین لا یری إلا الجد فی غزوهم بجهده وطاقته، فلما رأی إخلال صلاح الدین بالغزو وعلم غرضه، تجهّز علیه، فأتاه أمر الله الذی لا یرد».

ویقول الأمین فی ص۱۹۹ من نفس الکتاب: «إن الاحتلال الصلیبی لفلسطین کان یعطی صلاح الدین انفصالاً کاملاً عن المملکة المتحدة، وتبقی تبعیته لها إسمیة فقط، فإذا زال الکیان الصلیبی من فلسطین، تم الاتصال بین بلاد الشام وبین مصر وتصبح مملکة واحدة، یکون لصلاح الدین المکان الثانی فیها بعد نور الدین، بل یصبح مجرد حاکم لمصر، تابعاً فعلیاً لا إسمیاً لنور الدین، وهذا ما لا یرضی مطامع صلاح الدین الشخصیة، لذلک آثر التمرد علی نور الدین وإخراج مصر من الحرب المأمولة لاستئصال الصلیبیین. وغضب نور الدین لذلک، وصمم علی التفرغ لصلاح الدین أولاً وتسلیم حکم مصر لمن یعید مصر إلی حال الحرب مع الصلیبیین، ولما أعدّ عدّته للزحف علی مصر وإزاحة صلاح الدین، فاجأه الموت».

وکذلک وقف الأیوبی بوجه الجیوش الإسلامیة فی زمن الخلیفة العباسی الناصر الذی أراد هو الآخر أن ینازل الصلیبیین بمائة وعشرین ألف مقاتل فی فلسطین وطلب من الأیوبی أن یشارکه فی الحرب، ولکن الأیوبی رفض؛ لاعتقاده أنه سیصبح والیاً وتابعاً للناصر، ثم احتمی بعد ذلک بالصلیبیین. ویذکر الأمین فی کتابه: ص۱۸۷: «وخوفاً من أن یصر الخلیفة الناصر علی إرسال جیشه، بادر صلاح الدین إلی التحالف مع الصلیبیین وتوحید جیوشه مع جیوشهم لصدّ جیش الخلافة إذا تقدم إلی بلاد الشام. ورأی الصلیبیون حاجة صلاح الدین إلیهم فأخذوا یشترطون فی شروطهم لعقد هذا التحالف. وکان أهم ما فی شروطهم إعادة فلسطین إلیهم واسترجاعهم لکل ما أخذه منهم صلاح الدین فیها من المدن. فخضع صلاح الدین لشروطهم وسلم لهم بکل ما طلبوا، مستثنیاً القدس؛ لأن احتفاظه بها سیدیم النشوة التی غرّت المسلمین باسترجاعها فیغطی ذلک علی استسلامه للصلیبیین. فلا یدرک المسلمون فی فرحتهم حقیقة ما یجری حولهم».

ویضیف أیضاً فی ص۱۸۸: «إن رفض صلاح الدین قبول نجدة الناصر وما بلغ الناصر من عزم صلاح الدین علی قتال جیوشه فی تقدمها إلی فلسطین، حال بین الناصر وبین تنفیذ ما عزم علیه، فلم یکن لیقدم علی الاشتباک فی حرب أهلیة بین المسلمین».

۷: فضّل مصلحته الشخصیة علی المصلحة الإسلامیة العامة عند عدم موافقته لخوض الحروب ضد الصلیبیین بل وتسلیمهم للبلاد الإسلامیة؛ معللاً ذلک أن الحروب معهم تحدُّ من نفوذه وتقلِّل من هیمنته ومطامحه وتتنافی مع تفرّده بالسلطة.

۸: أنکر الجمیل علی نور الدین زنکی الذی کان سبباً فی سیطرته علی مصر والذی طلب منه الزحف علی الصلیبیین ثم ختم إنکاره

للجمیل أن قتل ابن الزنکی، حاکم حلب البالغ من العمر اثنتی عشرة سنة ثم زنا بزوجة زنکی لیلتین، نکایة بزوجها.

۹: هیأ الظروف لأولاده وورثته لتنفیذ ما عجز هو عن تنفیذه عندما سلموا القدس للصلیبیین فی عهد فردریک الثانی سنة ۶۵۵ه، وکذلک بقایا أنطاکیا وطرابلس وعکا والناصرة وغیرها. یقول الباحث حسن الأمین فی کتابه (صلاح الدین الأیوبی بین العباسیین والفاطمیین والصلیبیین): ص۱۳۲ ۱۳۳ ما نصّه: «ففی سنة ۶۳۸ه، سلّم الصالح إسماعیل صاحب دمشق للصلیبیین صیدا وهونین وتبنین والشقیف؛ لیساعدوه علی ابن أخیه الصالح أیوب صاحب مصر. وفی سنة ۶۲۵ه (شباط سنة ۱۲۲۹م)، سلّم الکامل والأشرف ولدا العادل أخی صلاح الدین، سلّما القدس وما حولها للملک الصلیبی فردریک الثانی، وسلّماه معها الناصرة وبیت لحم وطریقاً یصل القدس وعکا. ویصف ابن الأثیر وقع هذه الرزیة علی العالم الإسلامی بقوله: واستعظم المسلمون ذلک وأکبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لایمکن وصفه».

() المنصور بن عبد العزیز، سادس خلفاء الدولة الفاطمیة البالغ عددهم أربعة عشر خلیفة، الذین حکموا من سنة ۲۹۷ه (۹۰۹م) وإلی سنة ۵۶۷ه (۱۱۷۱م)، ولد فی القاهرة سنة ۳۷۵ه (۹۸۵م) ومات سنة ۴۱۱ه (۱۰۲۰م)، تسلم الحکم سنة ۳۸۶ه (۹۹۶م) وهو فی الحادیة عشر من عمره فقام علیه بالوصایة «برجوان الخادم» بوصیة من أبیه واستمر فی الحکم خمساً وعشرین سنة واتبع خلال حکمه سیاسة متوازنة، وکان یتجول فی الأسواق لإجراء الحسبة، وقد ازدهرت فی عهده البلاد بالعمران وبناء المساجد والمکتبات والجامعات، وقد أنشأ دار الحکمة سنة ۳۹۵ه (۱۰۰۵م) وجعلها جزءاً من قصره وحمل إلیها الکتب من خزانة القصر من سائر العلوم والآداب ممّا لم یر منه مجتمعاً قط لأحد من الملوک، وکان فیها أکثر من مائتی ألف مجلد من نفائس الکتب، وکان یقدِّم للقراء الورق والمحابر بالمجان، وقد حظی عنده العلماء والأدباء والشعراء بالاحترام والعطاء، أمثال: ابن الهیثم وأبی بکر الأنطاکی، ونتیجة لمواقفه الصلبة وحروبه مع المسیحیین والأمویین فی الأندلس والعباسیین فی بغداد؛ تعرض للافتراء من قبل أعوان هؤلاء وعلی الخصوص الکاتب الأموی أبو رکوة ویحیی بن سعید العباسی. للمزید راجع: الموسوعة التاریخیة للخلفاء الفاطمیین ج۶؛ دکتور عامر تامر، الحاکم بأمر الله الخلیفة المفتری علیه؛ دکتور عبد المنعم ماجد، الرسالة الواعظة فی نفی دعوی إلوهیة الحاکم بأمر الله؛ أحمد حمید الدین الکرمانی، تلخیص الحضارة الإسلامیة للإمام السید محمد الشیرازی رحمة الله علیه.

() ومن هؤلاء أیضاً: یحیی بن سعید وابن کثیر وأبو شامة.

() تقی الدین أبو محمد، أحمد بن علی بن عبد القادر المشهور بالمقریزی؛ نسبة إلی حارة فی بعلبک اللبنانیة تعرف بحارة المقارزة، ولد فی القاهرة سنة ۷۶۶ ه (۱۳۶۴م)، مؤرخ وکاتب وأستاذ فی علم التاریخ، تصدّی لأمور الحسبة والإمامة فی بعلبک لفترات متعددة، اتصل بالخلیفة الفاطمی الثانی عشر الظافر بالله فهاجر إلی دمشق سنة ۸۱۰ ه (۱۴۰۷م)، توفی سنة ۸۴۵ ه (۱۴۴۱م) عن عمر یناهز التسعة والسبعین، من مؤلفاته: السلوک فی معرفة دول الملوک وهو مصدر مهم فی دراسة تاریخ الأیوبیین والممالیک، جواهر الأسفاط فی أخبار مدینة الفسطاط، المواعظ والاعتبار بذکر الخطط والآثار، التاریخ الکبیر، اتّعاظ الحنفاء فی أخبار الأئمة الفاطمیین الخلفاء، إغاثة الأمة بکشف الغمة، المقفی الکبیر، البیان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، شذور العقود فی ذکر النقود، الطرفة الغریبة فی أخبار حضرموت العجیبة، النزاع والتخاصم فیما بین أمیة وهاشم، درر العقود المفیدة، إمتاع الأسماع بما للرسول صلی الله علیه و اله من الأنباء.

() بدأ إنشاؤه فی السابع عشر من شهر شعبان سنة ۳۵۸ه واستغرق بناؤه سنتین وثلاثة أشهر وبضعة أیام، وافتتح للصلاة یوم الجمعة الواقع فی السابع من رمضان سنة ۳۶۱ ه (شباط ۹۷۲م) وأضحی هذا الجامع مقراً للدعوة الإسلامیة، ودعیت المذاهب الإسلامیة للتدریس فیه، فکان للمالکیة خمس عشرة حلقة درس، وللشافعیة مثلها، وللمذهب الحنفی ثلاث حلقات، وکان فیه صالات لعقد مجالس خاصة بالنساء. راجع الموسوعة الإسلامیة: ج۴ ص۱۵۴ لحسن الأمین.

() للمزید عن هذا الموضوع راجع أعیان الشیعة للسید محسن الأمین، والتمدن الإسلامی لجورج جرداق، ومن التمدن الإسلامی

للمؤلف رحمة الله علیه، والموسوعة التاریخیة للخلفاء الفاطمیین للدکتور عامر تامر، والمواعظ والاعتبار بذکر الخطط والآثار للمقریزی.

() الشیخ محمد بن الحسین بن عبد الصمد بن محمد الجبعی العاملی، المشهور بالشیخ البهائی أو بهاء الدین العاملی، ولد فی بعلبک اللبنانیة فی شهر ذی الحجة من سنة ۹۵۳ه (۱۵۴۷م) وتوفی فی أصفهان فی شهر شوال من سنة ۱۰۳۰ه (۱۶۲۱م) ودفن فی مشهد الإمام الرضا علیه السلام، عالم وشاعر ومفکر وفقیه وسیاسی وفیلسوف وریاضی وفلکی، وقد کتب فی الریاضیات والفلک وغیرها، وأضحت کتبه مرجعاً للعلماء والمحققین. وبلغت الخمسین، منها: خلاصة الحساب، کشکول البهائی، مشرق الشمسین، الحبل المتین، الوجیزة، الزبدة، الفوائد الصمدیة، تهذیب البیان، رسالة الهلالیة، تشریح الأفلاک، توضیح المقاصد.

ترجمه الکنی والألقاب: ج۲ ص۱۰۰، الموسوعة الإسلامیة: ج۵ ص۸۲ حسن الأمین، روضات الجنات: ج۷ ص۵۶، خلاصة الأثر: ج۳ ص۴۴۰، سلافة العصر للسید علی خان: ص۲۸۹، أمل الأمل: ج۱ ص۱۵۵، أعیان الشیعة للسید محسن الأمین: ج۹ ص۲۳۴.

() السید محمد باقر بن محمد بن محمود بن عبد الکریم الحسینی الأسترابادی، والمشهور ب(الداماد) الصهر؛ ولقّب بذلک، لأن أباه کان صهراً لعلی بن عبد العالی الکرکی، المعروف بالمحقق الثانی، ولقّب هو بذلک تبعاً لأبیه، ولد سنة ۹۷۰ه (۱۵۶۳م) وتوفی سنة ۱۰۴۱ه (۱۶۳۲م)، فیلسوف وریاضی وفقیه وسیاسی وشاعر ومؤلف ومدرس، جامع للعلوم والفنون، وقد نال حظوة کبیرة عند ملوک الصفویین، وکان معاصراً للشیخ البهائی، آلت إلیه الرئاسة الدینیة بعد وفاة الشیخ البهائی سنة ۱۰۳۰ه، من تلامذته: صدر المتألهین، السید حسین الکرکی، محمد تقی الأسترابادی. من مؤلفاته: رسالة فی المنطق، سدرة المنتهی فی تفسیر القرآن الکریم، تقویم الإیمان فی الکلام، السبع الشداد، القبسات، رسالة فی ضوابط الرضاع، رسالة فی اختلاف الزوجین قبل الدخول. للمزید راجع أمل الأمل: ج۲ ص۲۴۹، ریاض العلماء: ج۵ ص۴۰، لؤلؤة البحرین: ص۱۳۲، الفوائد الرضویة: ص۴۱۸، روضات الجنات: ج۲ص۶۲، الکنی والألقاب: ج۲ ص۲۲۶، أعیان الشیعة: ج۹ ص۱۸۹، ریحانة الأدب: ج۶ ص۵۶، طبقات أعلام الشیعة: ج۵ص۶۷، مصفی المقال: ص۹، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحانی: ج۱۱ص۳۱۵.

() وکان ذلک فی عهد شاه عباس الصفوی المولود سنة ۹۷۹م وتسلم الحکم سنة ۹۹۶م وتوفی سنة ۱۰۳۷م.

() وقد ذکرت هذه القصة بألفاظ قریبة فی أعیان الشیعة: ج۹ ص۲۴۲ للسید محسن الأمین، وذکر إجمالها فی روضات الجنات لمحمد باقر الخونساری: ج۷ ص۶۹ فی ترجمة الشیخ البهائی.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص۳۴۲ ح۷۸۲۵، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۸ ص۴۰۷ ب ۱۷۸، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۳۵۷ ب۸۱ ح۷۰ ط بیروت.

() أحمد بن طولون الفسطاط الترکی، وکان والده مملوکاً ترکی الأصل، أُسر فی إحدی الغزوات فی ترکستان، أهداه نوح بن أسد السامانی إلی الخلیفة العباسی سنة ۲۰۰ه مع ما أهداه من الرقیق والهدایا، مؤسّس الدولة الطولونیة، وکلمة طولون باللغة الترکیة بمعنی البدر، ولد سنة ۲۲۰ه (۸۳۵م)، کان نائباً لزوج أمّه حاکم مصر بایکباک سنة ۲۵۴ه (۸۶۸م)، تولّی الحکم بعد وفاة بایکباک سنة ۲۵۴ه (۸۶۸م)، وانفصل عن الدولة العباسیة واستطاع توحید مصر والأسکندرونة وحمص وحماه وحلب وأنطاکیا تحت حکمه، وقد حکم ست عشرة سنة وتوفی سنة ۲۷۰ه (۸۸۴م)، وقد خلفه بعده ابنه خمارویه، وخلال حکمه شید جامعاً فی القاهرة یحمل اسمه، وبنی مدینة القطائع علی مقربة من القاهرة.

() سورة الأنفال: الآیة ۴۶.

() هو منصب قضائی یعادل الیوم وزیر العدل.

() یقول لورنس فی کتابه أعمدة الحکمة السبعة: ص۵۳ عن استخدام هذه السیاسة: «کانت حلقتنا مزیجاً غریباً، فهی تضم نفراً من الأشراف والوجهاء وشیوخ القبائل من جهینة وعتیبة، وکنت أثیر عمداً موضوعات الخلافات الحادّة بینهم کی أتعرف إلی مشاربهم

وعقائدهم دون إبطاء».

ويضيف في ص۲۹۶ من نفس الكتاب : «عندما ذاع صيتي في الآفاق، انتخبت تسعين شخصاً لحراستي الشخصية وهؤلاء ينتسبون إلى ثلاثين قبيلة مختلفة، بينها دماء ثأر، وكان تباغضهم يمنعهم من التكتل ضدي كما كان الخلاف المستحكم بينهم يبشر لي ولمبعوثي إيجاد جواسيس لنا في كل مكان بين العقبة ودمشق وبئر السبع وبغداد، وستون منهم ماتوا في خدمتي».

() تقع في الجزء الجنوبي من إسبانيا الحالية، حكمها الأمويون؛ عندما استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك المشهور بالداخل أن يشكل حكومة فيها بعد أن فرّ من بني العباس إلى قرطبة سنة ۱۳۸ه (۷۵۶م) واتخذ قرطبة عاصمة له، واستمرت هذه الحكومة إلى ۴۲۳ه

(۱۰۳۱م) عندما خلع آخر حكامها هشام الثالث، وقد مات عبد الرحمن في الأندلس سنة ۱۷۲ه (۷۸۸م). وبعد سقوط الأندلس، قام المسيحيون بحرمان أهلها من استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك، كان يحرق بالنار بعد أن يعذب أشد العذاب. عن تاريخ الأندلس راجع الموسوعة الإسلامية: ج۴ ص۲۵۲ حسن الأمين.

() تطلق كلمة الإفرنج على الغربيين باعتبار أن الطابع الفرنسي يغلب على بلاد الشام، وباعتبار أن أغلب الحكام على البلاد كانوا من أصول فرنسية أو ميول فرنسية، وهذا ما جعل المسلمين عندما يتحدَّثون عن الغربيين يسمونهم الإفرنج.

() كان ذلك عندما دخل الملك الإسباني فرناندو مدينة غرناطة عاصمة بني الأحمر سنة ۸۹۷ ه (۱۴۹۲م) وأسر ملكهم أبا عبد الله، وبذلك انهار الحكم الإسلامي في جميع الأندلس.

() غوستاف لوبون، ولد في النورماندي سنة ۱۸۴۱م ومات في باريس سنة ۱۹۳۱م، طبيب وعالم اجتماعي ومفكر فرنسي، دعا إلى تفسير السلوك الاجتماعي بالمقارنة بين نفسيات فردية، وكتب في مجالات علمية كثيرة، وبلغت مؤلفاته الخمسين، منها: سيكولوجية الجماهير، علم النفس في الأزمنة الجديدة، حضارة الهند، الحضارة الأولى، الآراء والعقائد، حياة الحقائق، الثورة الفرنسية وسيكولوجية الثورات، القوانين النفسية لتطور الشعوب، حضارة العرب؛ وقد اختصره الإمام المؤلف رحمة الله عليه باسم موجز تاريخ الإسلام.

() سورة الإسراء: الآية ۳۶.

() سور ة الحجرات: الآية ۱۲.

() فقد ورد عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ أُتِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِرَجُلٍ وُجِدَ فِي خَرِبَةٍ وَبِيَدِهِ سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَإِذَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا تَقُولُ؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا قَتَلْتُهُ.

قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ بِهِ.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ بِهِ أَقْبَلَ رَجُلٌ مُسْرِعاً فَقَالَ: لا تَعْجَلُوا وَرُدُّوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرَدُّوهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذَا صَاحِبَهُ أَنَا قَتَلْتُهُ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لِلأَوَّلِ مَا حَمَلَكَ عَلَى إِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَفْعَلْ؟!

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ وَقَدْ شَهِدَ عَلَيَّ أَمْثَالُ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ وَأَخَذُونِي وَبِيَدِي سِكِّينٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ وَالرَّجُلُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ وَأَنَا قَائِمٌ عَلَيْهِ وَخِفْتُ الضَّرْبَ فَأَقْرَرْتُ، وَأَنَا رَجُلٌ كُنْتُ ذَبَحْتُ بِجَنْبِ هَذِهِ الْخَرِبَةِ شَاةً وَأَخَذَنِي الْبَوْلُ فَدَخَلْتُ الْخَرِبَةَ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ فَقُمْتُ مُتَعَجِّباً فَدَخَلَ عَلَيَّ هَؤُلاءِ فَأَخَذُونِي.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: خُذُوا هَذَيْنِ فَاذْهَبُوا بِهِمَا إِلَى الْحَسَنِ وَقُصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا وَقُولُوا لَهُ: مَا الْحُكْمُ فِيهِمَا؟

فَذَهَبُوا إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام وَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمَا، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: قُولُوا لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ هَذَا إِنْ كَانَ ذَبَحَ ذَاكَ فَقَدْ أَحْيَا هَذَا؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً، يُخَلَّى عَنْهُمَا وَتُخْرَجُ دِيَةُ الْمَذْبُوحِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

راجع الكافى (فروع): ج۷ ص۲۸۹ ب۲، وسائل الشيعة: ج۲۹ ص۱۴۲ ب۴ ح۳۵۳۴۳.

() الشيخ محمد حسين بن على آل كاشف الغطاء، عالم وفقيه وأديب وسياسى، ولد سنة ۱۲۹۴ه‍ (۱۸۷۷م) وتوفى فى كرند سنة ۱۳۷۳ه‍ (۱۹۵۴م)، تتلمذ عند السيد اليزدى صاحب (العروة الوثقى) والشيخ الخراسانى صاحب (الكفاية)، ولازم درسهما من سنة ۱۳۱۲ه‍ وإلى وفاتهما، كما درس عند الشيخ الهمدانى صاحب مصباح الفقيه، ومن نشاطاته أنه عندما كتب جرجى زيدان كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، ذكر فى الجزء الثانى منه ص۳۸۴: أن الشيعة طائفة صغيرة لم تترك أثراً يذكر وليس لها وجود فى الوقت الحاضر؛ فتصدى الشيخ كاشف الغطاء والشيخ أغا بزرك الطهرانى والسيد حسن الصدر لهذه الفكرة الخاطئة وهذا الكذب والافتراء والخروج عن الموضوعية فى البحث، فبحث السيد الصدر فى الآثار العلمية التى خلفها علماء الإمامية والتى كان لها دور بارز فى تأسيس ورفد العلوم الإسلامية، ووضع نتائج بحثه فى كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وكتب الشيخ الطهرانى الذريعة إلى تصانيف الشيعة حيث فهرس فيه أسماء ومؤلفات علماء المذهب الشيعى، وتصدى الشيخ كاشف الغطاء لنقد جرجى زيدان مباشرة، من مؤلفاته: أصل الشيعة وأصولها، الفردوس الأعلى، العبقات العنبرية فى طبقات الجعفرية، الأرض والتربة الحسينية، المراجعات الريحانية، نزهة السحر ونهزة السفر، الدين والإسلام، التوضيح فى الإنجيل والمسيح، جنة المأوى.

() نهج البلاغة قصار الحكم: ۱۶۱، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ص۴۴۳ ح۱۰۱۱۱، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۸ ص۳۸۲ ب۱۶۳، خصائص الأمة: ص۱۰۸، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۴۰ ب۲۱ ح۱۵۵۸۷، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۱۰۴ ب۴۹ ح۳۸ ط بيروت.

() فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه و اله: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود، مجموعة ورام: ج۱ ص۱۲۶ ۱۲۷، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱ ص۳۱۶ ب۲۳.

() سورة قريش: الآية ۴.

() سورة الأنفال: الآية ۶۰.

() سورة طه: الآية ۱۲۴.

() سورة التغابن: الآية ۱۶.

() وقد أسهب الإمام المؤلف رحمة الله عليهلحديث عن هذه الأمور وأشباهها فى كتابه «المرجعية الإسلامية».

() سورة البقرة: الآية ۴۱.

() جاسوس روسيا القيصرية فى البلاد الإسلامية، درس العلوم العسكرية والسياسية والحقوق فى روسيا، أنيطت به مهمة التجسس على إيران؛ فدخلها سنة ۱۸۳۴م وعمل كمترجم فى السفارة الروسية فى طهران تحت اسم مستعار هو عيسى اللنكرانى، ثم عين سفيراً لها سنة ۱۸۴۴م وتنقل بين إيران والعراق وبلاد الشام لأجل ترسيخ النفوذ الروسى فى المنطقة بدل النفوذ البريطانى وكانت مهمته القضاء على وحدة المسلمين عبر إيجاد مذاهب مصطنعة وشخصيات مزيفة، والترويج لفكرة القوميات، وقد ربّى لهذا الغرض على محمد الشيرازى؛ الذى ادّعى المهدوية. وقد ابتدع المذهب البابى عبر حسين على بهاء وأخيه ميرزا يحيى فى إيران، وقد أخذ الروس على عاتقهم الدعم السياسى والتمويل المادى لدعاة هذا المذهب وطبع كتبهم ومنشوراتهم.

() وقد نشرت مجلة الشرق هذه المذكرات بعد انهيار روسيا القيصرية وتأسيس الاتحاد السوفياتى السابق بين سنة ۱۹۲۴ ۱۹۲۵م. وقد ترجمت هذه المذكرات إلى اللغتين الفارسية والعربية.

() من المذاهب التى ابتدعتها السياسة سنة ۱۲۸۰ه‍ (۱۸۶۳م) بواسطة حسين على نورى المشهور ب بهاء الدين المولود فى مازندران الإيرانية سنة ۱۲۳۲ه‍ (۱۸۱۷م) والمتوفى فى مدينة حيفا الفلسطينية سنة ۱۳۱۰ه‍ (۱۸۹۲م)، الذى كان أحد أبرز أتباع الباب على بن محمد الشيرازى بعد إعدامه وادّعى أنه المُظهر الأول للإرادة الإلهية. من مؤلفاته: الكتاب الأقدس وهو باللغة العربية، وكتاب الإيقان

وهو باللغة الفارسیة، وکتاب الهیکل وهو خلیط بین العربیة والفارسیة. عن نشأتهم وخرافاتهم وردّها راجع کتاب: مفتاح باب الأبواب للمیرزا محمد مهدی خان التبریزی، وکتاب: البهائیة حزب لا مبدأ للسید أحمد الفالی، وکتاب «نصائح الهدی فی الردّ علی البهائیة» للشیخ محمد جواد البلاغی.

() للمؤلف: مایلز کوبلاند.

() للمؤلف: توماس أدورد لورنس.

() للمؤلف: عمر فرّوخ.

() الخطر الیهودی أو بروتوکولات حکماء صهیون. ترجمة محمد خلیفة التونسی، والکتاب ترجم إلی عدة لغات، منها: الفرنسیة والروسیة والإنجلیزیة والعربیة والفارسیة والأُردیة.

() العراق فی رسائل المس بیل، وکتاب فصول من تأریخ العراق القریب للجاسوسة البریطانیة المس بیل، ترجمة جعفر الخیاط.

() للمؤلف الجاسوس البریطانی همفر، وقد طبع الکتاب عدَّة طبعات، وترجم إلی عدَّة لغات.

() وکذا من الکتب المفیدة فی هذا المضمار: کتاب «سبز آباد ورجال الدولة البهیة» للمؤلفة می‌خلیفة، وکتاب شیعة العراق لإسحاق النقّاش، وکتاب «العراق فی مذکرات الدبلوماسیین الأجانب» لنجدة فتحی صفوة، وکتاب «الحج قبل مائة سنة» للمؤلف یفیم ربرفان الرحلة السریة للضابط الروسی عبد العزیز ورلتسشین إلی مکة المکرمة.

ومن نافلة القول: نذکر القصة التالیة التی ذکرها المؤلف رحمة الله علیه فی کتابه «الکتاب من لوازم الحیاة» ص۴۲: «کنت فی العراق مهتماً فی أمر معرفة الناس لما وراء الکوالیس الذی انتهی إلی هذه الحالة المتردیة للمسلمین، وبهذا الصدد کنت أنشر الکتب التی توضِّح هذه الحقیقة، مثل کتاب «التبشیر والاستعمار» وکتاب «مذکرات الدال کورکی» وکتاب «مذکرات مستر همفر» وکتاب «بروتوکولات حکماء صهیون». وصرفت بعض اهتمامی لطبع الکتاب الأخیر، وبعد أن نشرناه فی المکتبات نفذ بسرعة ممّا آثار تعجّبی، کیف ینفذ هذا الکتاب بهذه السرعة؟ وأوعزت لإعادة طبعه ثانیةً، وبعد أقلّ من شهر نفذ أیضاً، وفی مرّة ثالثة طبعته ووزعته علی المکتبات. ثمّ بعد أسبوع جاءنی شاب مثقّف فأرشدته إلی شراء هذا الکتاب، وبعد أن ذهب رجع، وقال قد بحثت فی المکتبات فلم أجد منه نسخة واحدة. وتحقّقت بنفسی الأمر، بعد أن أثار استغرابی نفاذ الکتاب بهذه السرعة فی مدّة قصیرة، وأخیراً اکتشفت أنّه کلّما طبع الکتاب جاء البعض إلی المکتبات فیشترون جمیع النسخ، وبالقرائن عرفت أنّ المشترین هم عملاء الیهود، فإنّ الیهود وإن ترکوا العراق وغیره من البلدان الإسلامیة بعد اغتصاب فلسطین لکن أبقوا عملاءهم من أجل تنفیذ أمثال هذه الأمور، ثمّ بعد ذلک منعت رقابة السلطة فی العراق هذا الکتاب».

ومن الشواهد الأخری التی تدلل علی ذلک: «بعد أن هاجر من العراق ۱۱۵ألف یهودی سنة ۱۹۵۱م إثر تحریض إحدی المنظمات الیهودیة بعد إلقائها قنبلة یدویة قرب کنیست یهودی وبعض الأماکن الأخری وقُتل جراء ذلک یهودیان وجرح عدد آخر، وقد اکتشفت الشرطة العراقیة تلک المنظمة السریة، التی کانت تعمل علی حثّ الیهود العراقیین للهجرة إلی إسرائیل، وقد ألقی القبض علی أعضاء هذه المنظمة وحکم علی اثنین منهم بالإعدام وسجن بعضهم بأحکام تترواح ما بین ۵ إلی ۸ سنوات. وقد جمع وقائع المحکمة والأحکام الصادرة وتصاویر المجرمین والأسلحة التی وجدت معهم مدیر شرطة بغداد عبد الجبار فهمی فی کتاب، سمّاه «سموم الأفعی الصهیونیة»، وقد فقد هذا الکتاب فی بغداد وجمیع أنحاء العراق بعد أن جمعته الصهیونیة».

() بحارالأنوار: ج۷۵ ص۷۶ ب۱۶ ح۴۷ ط بیروت، وورد أیضاً عن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بکوا علیکم وإن غبتم حنوا إلیکم) وسائل الشیعة: ج۱۲ ص۱۲ ب۲ ح۱۵۵۱۴. وورد کذلک عن علی علیه السلام: (خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بکوا علیکم وإن عشتم حنوا إلیکم). شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۸ ص۱۰۷ ب۱۰، بحار الأنوار: ج۷۱ ص ۱۶۷ ب۱۰ ح۳۵ ط بیروت. وورد أیضاً: (یا بنی، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إلیکم وإن فقدتم بکوا علیکم) بحار الأنوار:

ج ۴۲ ص ۲۴۷ ب ۱۲۷ ح ۵۰ وج ۷۱ ص ۱۶۳ ب ۱۰ ح ۲۶ ط بیروت.

() سورة فصلت: الآیة ۳۴.

() سورة فصلت: الآیة ۳۵.

() إشارة إلی الحدیث الوارد بعدة ألفاظ منها: (الناس کأسنان المشط سواء) من لا یحضره الفقیه: ج ۴ ص ۳۷۹ ب ۲ ح ۵۷۹۸. و(الناس سواء کأسنان المشط) تحف العقول: ص ۳۶۸، بحار الأنوار: ج ۷۵ ص ۲۵۱ ب ۲۳ ح ۱۰۸ ط بیروت. و(المؤمنون کأسنان المشط یتساوون فی الحقوق بینهم) مستدرک الوسائل: ج ۸ ص ۳۲۷ ب ۱۰ ح ۹۵۶۸. و(إن الناس من عهد آدم إلی یومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربی علی العجمی ولا الأحمر علی الأسود إلّا بالتقوی) مستدرک الوسائل: ج ۱۲ ص ۸۹ ب ۷۵ ح ۱۳۵۹۸.

() سورة الحجرات: الآیة ۱۳.

() سورة البقرة: الآیة ۲۷۵.

() سورة المائدة: الآیة ۹۰.

() سورة النور: الآیة ۲.

() سورة الأحزاب: الآیة ۵۳.

() سورة البقرة: الآیة ۲۲۹.

() سورة الأنعام: الآیة ۹۳.

() سورة الحشر: الآیة ۷.

() سورة البقرة: الآیة ۲۷۹.

() نهج الحق: ص ۴۹۴ وص ۵۰۲، غوالی اللآلی: ج ۱ ص ۲۲۲ ح ۹۹ الفصل التاسع وج ۲ ص ۱۳۸ ح ۳۸۳ وج ۳ ص ۲۰۸ ح ۴۹، بحار الأنوار: ج ۲ ص ۲۷۲ ب ۳۳ ح ۷ ط بیروت. و(أنفسهم) مستفاد من قوله تعالی: النَّبِیُّ أَوْلَی بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ سورة الأحزاب: الآیة ۶.

() سورة المجادلة: الآیة ۲۲.

() سورة الإسراء: الآیة ۷۰.

() الکافی (فروع): ج ۵ ص ۲۷۹ ح ۲، الاستبصار: ج ۳ ص ۱۰۸ ب ۷۲ ح ۳، تهذیب الأحکام: ج ۷ ص ۱۵۲ ب ۲۲ ح ۲۱، وسائل الشیعة: ج ۲۵ ص ۴۱۴ ب ۳ ح ۳۲۲۴۵.

() سورة الحجرات: الآیة ۱۰.

() سورة الأعراف: الآیة ۱۵۷.

() فقد ورد عن الإمام الباقر علیه السلام عن جده رسول الله صلی الله علیه و اله قائلاً: (أیها الناس، حلالی حلال إلی یوم القیامة وحرامی حرام إلی یوم القیامة ألا وقد بینها الله عزوجل فی الکتاب وبینتهما لکم فی سیرتی وسنتی وبینهما شبهات من الشیطان وبدع بعدی من ترکها صلح له أمر دینه وصلحت له مروءته وعرضه، ومن تلبس بها وقع فیها واتبعها کان کمن رعی غنماً قرب الحمی، ومن رعی ماشیته قرب الحمی نازعته إلی أن یرعاها فی الحمی، ألا وإن لکل ملک حمی ألا وإن حمی الله عزوجل محارمه فتوقوا حمی الله ومحارمه، ألا وإن أذی المؤمن من أعظم سبب سلب الإیمان، ألا ومن أحب فی الله عزوجل وأبغض فی الله وأعطی فی الله ومنع فی الله فهو من أصفیاء المؤمنین عند الله تبارک وتعالی ألا وإن المؤمنین إذا تحابا فی الله عزوجل وتصافیا فی الله کانا کالجسد الواحد إذا اشتکی أحدهما من جسده موضعاً وجد الآخر ألم ذلک الموضع)، کنز الفوائد: ج ۱ ص ۳۵۲.

وفی حدیث آخر: (المؤمن أخو المؤمن کالجسد الواحد إذا سقط منه شیء تداعی سائر الجسد)، المؤمن: ص ۳۸ ح ۸۵.

وورد أیضاً عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: (المؤمن أخو المؤمن کالجسد الواحد إن اشتکی شیئاً منه وجد

ألم ذلك فی سائر جسده وأرواحهما من روح واحدة وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها ودليله لا يحزنه ولا يظلمه ولا يغتابه ولا يعده عدة فيخلفه)، الكافی (أصول): ج٢ ص١٦۶، مصادقة الأخوان: ص۴٨.

وورد أيضاً عن أبی عبد الله عليه السلام أنه قال: (المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكی شيئاً منه وجد ألم ذلك فی سائر جسده لأن أرواحهم من روح الله تعالی، وإن روح المؤمن لأشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)، الكافی (أصول): ج٢ ص ١۶۶ ح۴، المؤمن: ص٣٨ ح٨۶، بحار الأنوار: ج۵٨ ص١۴٨ ب۴٣ ح٢۵ ط بيروت.

وورد أيضاً: (مثل المؤمنين فی توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكی بعضه تداعی سائره بالسهر والحمّی)، بحار الأنوار: ج۵٨ ص١۵٠ ب۴٣ ح٢٩ ط بيروت.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (المؤمنون فی تبارِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكی تداعی له سائره بالسهر والحمی)، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص ۴٢۴ ب٣٢ ح١۴۵٠۶.

() إشارة إلی الحديث الوارد فی مستدرك الوسائل: ج١۶ ص٢۶۴ ب٣٨ ح١٩٨١٧ وقريب منه فی الكافی (أصول): ج٢ ص۶۶٨ ح١۴، ووسائل الشيعة: ج٩ ص۵٢ ب٧ ح ١١۵٠١ وج١٢ ص ١٣٠ ب٨٨ ح١۵٨۴٩.

() سورة التوبة: الآية ۴١.

() سورة البقرة: الآية ۴٣.

() سورة الأنفال: الآية ۴١.

() سورة البقرة: الآية ٨٣، سورة النساء: الآية ٣۶.

() سورة النور: الآية ٣٢.

() سورة البقرة: الآية ١١۴.

() سورة آل عمران: الآية ١٠۴.

() من وصايا الرسول الأكرم صلی الله عليه و اله للإمام علی عليه السلام: (يَا عَلِيُّ حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ وَيَضَعَهُ مَوْضِعاً صَالِحاً، وَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَنْ لا يُسَمِّيَهُ بِاسْمِهِ وَلا يَمْشِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا يَجْلِسَ أَمَامَهُ وَلا يَدْخُلَ مَعَهُ فِي الْحَمَّامِ) من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص٣٧٢ ب٢ ح۵٧۶٢، وسائل الشيعة: ج٢١ ص٣٨٩ ب٢٢ ح٢٧٣٧٧، مكارم الأخلاق: ص۴۴٣.

وورد أيضاً عن رسول الله صلی الله عليه و اله أنه قال: (مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ إِذَا وُلِدَ وَأَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتَابَةَ إِذَا كَبِرَ وَأَنْ يُعِفَّ فَرْجَهُ إِذَا أَدْرَكَ) مستدرك الوسائل: ج١۵ ص١۶٩ب۶٣ ح١٧٨٨٨. وورد أيضاً: (من حق الولد علی والده ثلاثة: يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه إذا بلغ). وسائل الشيعة: ج٢١ ص۴٨٢ ب٨۶ ح٢٧۶۴۶، مكارم الأخلاق: ص٢٢٠، روضة الواعظين: ص٣۶٩، بحار الأنوار: ج٧١ ص٨٠ ب٢ ح٨٣ و ج١٠١ ص٩٢ ب٢ ح١٩ ط بيروت، مستدرك الوسائل: ج١۵ ص١۶۶ ب۶٠ ح١٧٨٧۶.

() مستدرك الوسائل: ج١۶ ص٣١٩ ب٩٢، طبّ النّبی صلی الله عليه و اله: ص٢١، بحار الأنوار: ج۵٩ ص٢٩١ ب٨٩ ح٧٢ ط بيروت.

() سورة الأنفال: الآية ۶٠.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة الحجرات: الآية ١٢.

() سورة النساء: الآية ٢٩.

() سورة المائدة: الآية ٣٢.

() سورة الحجرات: الآية ١٢.

() سورة الحجرات: الآية ١٢.

() الکافی (فروع): ج۶ ص۴۳۸ ح۱، وسائل الشیعة: ج۵ ص۳۵ ب۱۹ ح۵۸۲۷، مکارم الأخلاق: ص۱۰۳، مستدرک الوسائل: ج۳ ص۲۳۵ ب۱ ح۳۴۶۶، الخصال: ص۶۱۳، بحار الأنوار: ج۷۶ ص۲۹۸ ب۱۰۹ ح۳ ط بیروت.

() فقد ورد هذا الحدیث بألفاظ عدیدة، منها قول الرسول صلی الله علیه و اله: (المسلمون إخوة ید واحدة علی من سواهم تتکافأ دماؤهم یسعی بذمتهم أدناهم ویرد علیهم أقصاهم)، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۷ ص۲۸۱ ب۶۴، وورد أیضاً عن الرسول صلی الله علیه و اله أنه قال: (المسلمون إخوة تتکافأ دماؤهم ویسعی بذمتهم أدناهم هم ید علی من سواهم) وسائل الشیعة: ج۲۹ ص۷۵ ب۳۱ ح۳۵۱۸۵، کما ورد عن الرسول صلی الله علیه و اله أنه قال: (المؤمنون تتکافأ دماؤهم ویسعی بذمتهم أدناهم وهم ید علی من سواهم) مستدرک الوسائل: ج۱۸ ص۲۳۷ ب۲۸ ح۲۲۶۱۶، وورد أیضاً عنه صلی الله علیه و اله: (المؤمنون إخوة تتکافأ دماؤهم وهم ید علی من سواهم یسعی بذمتهم أدناهم) الکافی (أصول): ج۱ ص۴۰۳ ح۲، مستدرک الوسائل: ج۱۸ ص۲۳۸ ب۲۸ ح۲۲۶۱۷.

() متشابه القرآن: ج۲ ص۲۱۲، نهج الحق: ص۵۱۵، من لا یحضره الفقیه: ج۴ ص ۳۳۴ ب۲ ح۵۷۱۹، وسائل الشیعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۳ وص۱۲۵ ب۱۵ ح ۳۲۶۴۰، غوالی اللآلی: ج۱ ص۲۲۶ ح۱۱۸ وج۳ ص۴۹۶ ح۱۵، مستدرک الوسائل: ج۱۷ ص۱۴۲ ب۱ ح۲۰۹۸۵.

() سورة الشوری: الآیة ۳۸.

() کنز الفوائد: ج۲ ص۱۰۷، غوالی اللآلی: ج۴ ص۷۰ ح۳۶، مستدرک الوسائل: ج ۱۷ ص۲۴۹ ب۴ ح ۲۱۲۵۰، مجموعة ورام: ج۲ ص۱۴ وص۱۷۶، مشکاة الأنوار: ص۱۳۳، مصباح الشریعة: ص۲۲، عدة الداعی: ص۷۲، بحار الأنوار: ج۱ ص ۱۷۷ ب۱ ح۵۴ وج۲ ص۳۱ ب۹ ح ۲۰ وج۱۰۵ ص۱۵ ط بیروت.

() فقد ورد عن علی بن موسی الرضا علیه السلام عن أبیه علیه السلام عن آبائه علیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه و اله: (مَنْ کَانَ مُسْلِماً فَلا یَمْکُرْ وَلا یَخْدَعْ فَإِنِّی سَمِعْتُ جَبْرَئِیلَ یَقُولُ إِنَّ الْمَکْرَ وَالْخَدِیعَةَ فِی النَّارِ. ثُمَّ قَالَ: لَیْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ مُسْلِماً وَلَیْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِماً. ثُمَّ قَالَ صلی الله علیه و اله: إِنَّ جَبْرَئِیلَ الرُّوحَ الأَمِینَ نَزَلَ عَلَیَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِینَ فَقَالَ یَا مُحَمَّدُ، عَلَیْکَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِخَیْرِ الدُّنْیَا وَالآخِرَةِ أَلا وَإِنَّ أَشْبَهَکُمْ بِی أَحْسَنُکُمْ خُلُقاً) وسائل الشیعة: ج۱۲ ص۲۴۱ ب۱۳۷ح۱۶۱۹۸، الأمالی للصدوق: ص۲۷۰ ح۵، عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج۲ ص۵۰ ح۱۹۴، بحار الأنوار: ج۶۸ ص۳۸۷ ب۹۲ ح۳۵ و ج۷۲ ص۲۸۴ ب۷۲ ح۲ ط بیروت.

() سورة المائدة: الآیة ۲.

() سورة الفرقان: الآیة ۳۰.

() تبع الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام جنازة فسمع رجلا یضحک، فقال علیه السلام: (کَأَنَّ الْمَوْتَ فِیهَا عَلَی غَیْرِنَا کُتِبَ، وَکَأَنَّ الْحَقَّ فِیهَا عَلَی غَیْرِنَا وَجَبَ، وَکَأَنَّ الَّذِی نَرَی مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِیلٍ إِلَیْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْکُلُ تُرَاثَهُمْ کَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِینَا کُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِینَا بِکُلِّ جَائِحَةٍ، طُوبَی لِمَنْ ذَلَّ فِی نَفْسِهِ وَطَابَ کَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِیرَتُهُ وَحَسُنَتْ خَلِیقَتُهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَکَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَلَمْ یُنْسَبْ إِلَی بِدْعَةٍ) نهج البلاغة: ص۴۹۰، مستدرک الوسائل: ج۲ ص۳۷۷ ب۵۳ ح۲۲۳۶، تفسیر القمی: ج۲ ص۷۰، خصائص الأئمّة: ص۹۹، روضة الواعظین: ج۲ ص۴۹۰، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۸ ص۳۱۱ ب۱۱۸، بحار الأنوار: ج۶ ص۱۳۶ ب۴ ح۳۸.

() للتفصیل عن أسباب سقوط المسلمین، دینیاً ودنیویاً؛ راجع کتاب: (سقوط بعد سقوط) للإمام المؤلف رحمة الله علیه.

() أی حزب البعث العربی الاشتراکی، الذی حکم الشعب العراقی بالحدید والنار.

() المقصود کتاب فی سبیل البعث لمیشیل عفلق.

() المقصود القرآن الكريم.

() سورة البقرة: الآية ۹.

() وقد جاء فى التاريخ أنه عندما قتل الإنجليز الملك غازى، استغل اليهود هذه الفرصة لهيجان الرأى العام؛ لتحريض الشعب العراقى على الألمان باعتبارهم القاتلين، وكان الإنجليز يرحبون بنشاط اليهود لأنه يبعدهم عن الاتهام. وكانوا يتخذون الاتهامات التى تكال ضدهم وسيلة لحمل الحكومة العراقية على اتخاذ إجراءات مقابلة ضد أعدائهم الألمان وتكون الحكومة العراقية مضطرة للإذعان لرغبات الإنجليز وإن لم تكن مؤيدة لها أو راضية عنها.

() سورة القصص: الآية ۴.

() الوليد بن مصعب، ويكنى بأبى مصعب وهو فرعون موسى، الطاغوت والجبار والمتكبر والظالم والساحر والباغى الذى قال: أنا ربكم الأعلى، ?وقد اختلف أرباب التاريخ فى نسبه، فبعض قال: إنه من اليمن، وآخر: إنه من العمالقة، وثالث: إنه من أقباط مصر؛ كما ذكر ذلك اليعقوبى فى تاريخه ج۱ ص ۱۸۶، وكلمة فرعون ?فى اللغة المصرية القديمة تعنى الملك المتصرّف أو الربّ الذى له حق الأمر والنهى فى شعبه أو من هم تحت سلطته، وقد ورد اسم فرعون فى القرآن ۷۴ مرة، وتحدث عنه البارى سبحانه وتعالى فى ۲۷سورة، وقد حكم مصر وفلسطين وبلاد الشام وبلاد ما بين الرافدين فى العراق واستمر حكمه على أقل التقادير ۲۰۰ عام، وقد استعان فى ترسيخ حكمه ببعض الكهنة والسحرة واستخدام سياسة «فرّق تسد»، وصفه القرآن الكريم: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ سورة القصص: الآية ۴، و إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى الأرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ سورة يونس: الآية ۸۳. و إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ سورة الدخان: الآية ۳۱. أرسل الله سبحانه وتعالى إليه موسى النبى عليه السلام وآزره بأخيه هارون عليه السلام وبعث معه آيات عديدة، منها: العصا، والجراد، والقمل، والضفادع. لكن فرعون استكبر ولم يؤمن؛ فأغرقه اللهُ وجنودَه، والبالغ عددهم مليون شخص فى نهر النيل.

() إقبال الأعمال: ص۶۴۳ فى دعوات أيام رجب، جمال الأسبوع: ص۴۲۳، الصحيفة السجادية: ص۲۰۴ دعاء رقم ۴۶، مصباح الكفعمى: ص۴۳۳، مصباح المتهجد: ص۳۶۹، بحار الأنوار: ج۹۵ ص۳۸۹ ب۲۳ ط بيروت.

() إشارة إلى الحديث الوارد: (أبى الله أن يجرى الأشياء إلاّ بأسباب فجعل لكلّ شىء سبباً وجعل لكلّ سبب شرحاً وجعل لكلّ شرح علماً) الكافى (أصول): ج۱ ص ۱۸۳ ح۷.

() فعلى سبيل المثال أن التبشير المسيحى فى الوقت الحاضر يرتكز على خمسة ملايين مبشر، وخمس وعشرين ألف منظمة تنصيرية وعشرين ألف منظمة تعمل فى مجال الخدمات ومائة ألف معهد لنشر الفكر المسيحى، وألفين ومائتين وسبعين مجلة ونشرة تنصيرية، ومائة وتسعين محطة بث إذاعى وتلفزيونى. ويكلّف البابا كلَّ مبشر مسيحى يبقى فى منطقة معينة مدة خمس سنوات أن يؤسس مؤسسة تبشيرية؛ هذا ما ذكرته جريدة الرأى العام الكويتية.

() فلاديمير إيليتش أوليانوف، المشهور ب(لينين) نسبة إلى اسم نهر لينا؛ حيث كان منفياً على ضفافه فى العهد الملكى الإمبراطورى، زعيم وكاتب روسى، ولد سنة ۱۸۷۰م ومات سنة ۱۹۲۴م، دخل المعترك السياسى بتأسيس الحزب الشيوعى فى روسيا وقاد الثورة البلشفية سنة ۱۹۱۷م وأطاح بحكومة كيرنسكى، أسس الاتحاد السوفياتى السابق وأصبح رئيساً للبلاد بين سنة ۱۹۱۷م ۱۹۲۴م، أهم مؤلفاته: الاستعمار أعلى مراتب الرأسمالية.

() زعيم صينى، ولد سنة ۱۸۹۳م، ومات سنة ۱۹۷۶م، قاد ثورة على الحكم سنة ۱۹۲۷م وقاد مسيرة سنة ۱۹۳۴م ثم تراجع أمام الجيش، مؤسس الحزب الشيوعى الصينى، أصبح رئيساً للصين الشعبية سنة ۱۹۵۴م، واستمر فى الحكم إلى سنة ۱۹۵۹م، نادى بالثورة الثقافية سنة ۱۹۶۶م، من مؤلفاته: (الكتاب الأحمر).

() معاوية بن صخر بن حرب بن أمية الأموى، مؤسس الدولة الأموية فى بلاد الشام، وأمّه هند بنت عتبة، المشهورة بالزنا التى كانت

من أصحاب الرايات الداعرة، وقد هجاها الشاعر حسان بن ثابت بالزنا وبمحضر الرسول صلى الله عليه و اله ولم ينكر صلى الله عليه و اله عليه ذلك، والملقبة ب(آكلة الأكباد)؛ لأكلها كبد سيدنا حمزة عليه السلام عم النبى صلى الله عليه و اله، ولد بمكة سنة ۲۰ قبل الهجرة، وأسلم يوم الفتح سنة ۸ ه، لعنه الرسول صلى الله عليه و اله فى عدة أحاديث، منها: (إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه) و(إذا رأيتم معاوية بن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه)، ولّاه عمر بن الخطاب الأردن ثم دمشق معها، وولّاه عثمان بن عفّان كلّ بلاد الشام، عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من منصبه ثم حاربه فى واقعة صفين، التى كانت الميزان فى تشخيص الباغى لدى الصحابة، حيث قال النبى صلى الله عليه و اله لعمار بن ياسر: (يا عمار، تقتلك الفئة الباغية)، مات فى دمشق فى شهر رجب من سنة ۶۰ه (۶۸۰م) بعد أن حكم ۲۰ سنة فى الخلافة وحكم أربعين سنة فى الإمارة، أشهر فضائله؛ كما عن ابن خلكان فى ترجمة النسائى، عندما سئل عن معاوية وما روى من فضائله، قال: ما أعرف له فضيلة إلّا (لا أشبع الله بطنه)؛ وهذه الكلمة قالها الرسول صلى الله عليه و اله فى حقّه، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۴ ص۵۵، البداية والنهاية: ج۸ ص۱۱۹.

من مثالب معاوية أنه تعاطى الخمر وارتكب المجون وعطل أحكام الله ونهب أموال الناس وأكثر من وضع الحديث، وكان أول من استعمل الولاة النصارى أمثال ابن آثال على خراج حمص، وأول من استكتب النصارى، وأول من رفع الرؤوس على الرماح بعد احتزازها فى الإسلام، وأول من دفن المسلمين أحياءً. كتب إلى عماله فى جميع الأمصار أنْ يسبّوا الصحابة أمثال على بن أبى طالب عليه السلام ومالك الأشتر وابن عباس والحسن والحسين ? وعبد الله بن جعفر، كما أنه حوّل الحكومة إلى استبدادية وشخصية وجعل البلاد إرثاً له ولأقربائه، وجمّد الحركة الفكرية الإسلامية عبر القضاء على الصحابة؛ فقد قتل عمار بن ياسر وحجر بن عدى الكندى وأصحابه ومحمد بن أبى بكر ومالك الأشتر وعمرو بن الحمق الخزاعى ? والإمام الحسن عليه السلام، وقضى على المعارضة الداخلية بتوجيه الناس إلى الحروب الخارجية؛ وقد أشار لعثمان بذلك حيث قال له: رأى لك يا أمير المؤمنين، أنْ تأمرهم بالجهاد يشغلهم عنك وأن تجمهرهم فى المغازى حتى يذلّوا لك فلا يكون همُّ أحدهم إلّا نفسه، وكان يأخذ على التهمة والظنة حتى كان الرجل يسقط بكلمة فيضرب عنقه، وكتب إلى عماله وولاته فى جميع البلاد والأمصار أمثال بسر بن أرطأة، واليه على المدينة ومكة واليمن؛ والغامدى واليه على الأنبار أن لا يجيزوا لأحد من شيعة على عليه السلام ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته، الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادةً، وكتب أيضاً: «انظروا من يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة»، وفى كتاب آخر: «من اتهمتموه أنه محب لعلى ولم تقم عليه بينة فاقتلوه، وأمر سفيان بن عون الغامدى حين أرسله للعراق: اقتل من لقيته ممّن هو ليس على مثل رأيك وأخرب كل ما مررت به من قرى، وأخرج ابن الجوزى من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، سألت أبى: ما تقول فى معاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوه، فعُمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه؛ كيداً منهم لعلى، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من فضائل مما لا أصل له. فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ج۷ ص۸۳ للمزيد راجع تاريخ بغداد: ج۱ص۲۰۷، أسد الغابة: ج۴ ص۳۸۵، الإصابة: ج۳ ص۳۳، شذرات الذهب: ج۱ص۶۵، تهذيب التهذيب: ج۵ ص ۱۱۰ وج ۱۰ ص۲۰۷، الكامل فى التاريخ: ج۳، وفيات الأعيان: ج۱ ص۷۷، منهاج البراعة: ج۷ ص۱۴۲ ۱۴۳، تأريخ الخلفاء: ص۲۰۵، البداية والنهاية: ج۸ ص۱۲۴، العقد الفريد: ج۶ ص۹۵، الأغانى: ج۹ ص۵۳، السيرة النبوية لابن كثير: ج۳ ص۹۶، أنساب الأشراف للبلاذرى: ج۳ ص۱۲۶، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب: ص۱۴۲۰، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج۱۱ ص۴۴۴۷.

() المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى، ولد بالطائف وأسلم سنة ۵ه (۶۲۶م)، وجاء فى التاريخ أن سبب إسلامه ذهابه إلى المقوقس مع جماعة من بنى مالك وكان عددهم ثلاثة عشر رجلاً فلما رجعوا، فتك بهم؛ طمعاً فى أموالهم، فهرب منهم ولاذ بالإسلام، وفى ذلك يقول الإمام على عليه السلام: (وما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجرة وغدرة)، ذهبت عينه فى معركة اليرموك وشهد القادسية ونهاوند وهمدان، ولّاه عمر بن الخطاب على البصرة ثم عزله عنها بعد زناه ولم يقم عليه الحد ثم ولّاه الكوفة وأقرّه

عثمان علیها ثم عزله عنها، وقال الإمام علی علیه السلام: (لئن ملکت لأرمینه بالحجارة)، وکان من أشد المبغضین لعلی علیه السلام، وفی عهد معاویة تولّی الکوفة إلی أن مات سنة ۵۰ه بمرض الطاعون. راجع: أسد الغابة: ج۴ ص۴۰۷، طبقات ابن سعد: ج۴ ص۲۸۴، الاستیعاب: ج۴، أنساب الأشراف: ج۱۳ ص۳۴۸، المغازی: ج۵ ص۵۹۵، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۴ ص۴۵۳.

() جندب بن جنادة، من بنی غفار، سمّاه رسول الله صلی الله علیه و اله عبد الله، وهو أول من حیّاه الرسول صلی الله علیه و اله بتحیة الإسلام، جهر بإسلامه فی مکة فضرب حتی أغمی علیه فأمره الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله بالرجوع إلی قبیلته؛ یدعوهم إلی الإسلام. یعد من خیار الصحابة، قال فی حقه الرسول صلی الله علیه و اله: (والله، ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذی لهجة أصدق من أبی ذر)، حضر غزوة تبوک، لازم الرسول صلی الله علیه و اله إلی أن وافاه الأجل فقال: لقد ترکنا رسول الله صلی الله علیه و اله وما یحرک طائر جناحیه فی السماء إلاّ ذکّرنا منه علماً، اشتهر بتقواه وبساطته، عارض بیعة أبی بکر، ثم عاش فی بلاد الشام بعد وفاة الرسول صلی الله علیه و اله قرابة عشر سنوات، وکان یجمع الناس حوله ویحدثهم بأحادیث الرسول صلی الله علیه و اله فی فضائل علی علیه السلام، ونعی علی معاویة الترف والإسراف واللعب بأموال المسلمین، ولما بنی معاویة قصراً له، بعث أبو ذر إلیه أحداً یقول له: یا معاویة، إن کان هذا من مال المسلمین فهی الخیانة، وإن کان من مالک فهو الإسراف؛ فضاق معاویة به ذرعاً واشتکاه لعثمان فأرسله إلی المدینة بصورة ینـدی لها الجبین. یقول المسعودی فی مروج الذهب: رد إلی المدینة علی بعیر علیه قتب یابس معه خمسمائة من الصقالبة یطردون به حتی أتوا به المدینة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وکاد یتلف، وقف بوجه عثمان، الذی تسلط هو وأقرباؤه من بنی أمیة أمثال مروان بن الحکم علی رقاب المسلمین، الذین اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودین الله دخلاً، وکان یمر بالطرقات والأزقّة یحرض المسلمین علی عثمان ویقول?: الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ یُنْفِقُونَهَا فِی سَبِیلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِیم، ?فمنعه أعوان الخلیفة من ذلک، فقال: ?أتنهوننی عن قراءة القرآن؟ وأضاف: والله، لئن أرضی الله بسخط عثمان أحب إلیّ وخیر لی من أن أسخط الله برضا عثمان. ودافع عن المحرومین وکان یصرخ فی وجه الحکام قائلاً: أتتکم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرین بالمعروف التارکین له، اللهم العن الناهین عن المنکر المرتکبین له کما جاء فی شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۸ ص۲۵۷. ومن وصایاه: ? إن الله قد فضلک فجعلک إنساناً فلا تجعل نفسک بهیمة ولا سبعاً. نفاه عثمان إلی الربذة قائلاً له: اخرج عنا من بلادنا وجوارنا، وتوفی فیها غریباً سنة ۳۲ه (۶۵۲م). للمزید راجع الإصابة، فرائد السمطین، تاریخ الیعقوبی، تاریخ الطبری، الاستیعاب، أعیان الشیعة، الغدیر للأمینی، البدایة والنهایة لابن کثیر، الموسوعة الإسلامیة لحسن الأمین، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید.

() عمرو بن العاص بن وائل السهمی، اشتهرت أمّه (نابغة بنت حرملة) بالبغاء؛ فقد زنا بها أبو لهب وأمیة بن خلف وهشام بن المغیرة وأبو سفیان بن حرب والعاص بن وائل وکلهم فی طهر واحد؛ فحملت بعمرو فتنافسوا جمیعاً علی مولودها وأرجعوا الحکم إلیها فاختارت العاص فقالوا لها: ابنک أشبه بأبی سفیان فلماذا اخترتی العاص؟ فقالت: بخل أبی سفیان، والعاص أقدر علی دفع النفقة.

وقد قال له الإمام الحسن علیه السلام تعریضاً به: (تحاکمت فیک رجال قریش، فغلب علیک جزارها، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإیاک عنی فإنک رجس). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۶ ص۲۸.

وقد هجاه حسان بن ثابت قائلاً:

أبوک أبو سفیان لا شک قد بدت

لنا فیک منه بینات الدلائل

ففاخر به أما فخرت ولا تکن

تفاخر بالعاص الهجین ابن وائل

وأن التی فی ذاک یا عمرو حکمت

فقالت رجاءً عند ذلک لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس کلما

تجمعت الأقوام عند المحافل

عرف بالمکر والخدیعهٔ والغدر حتی ضرب به المثل، عادی رسول الله صلی الله علیه و اله وکان یؤذیه ویضع فی طریقه الحجارهٔ وقد هجاه بسبعین بیتاً وکان یعلمها للصبیان فإذا مرّ بهم رسول الله صلی الله علیه و اله رفعوا أصواتهم فلعنه الرسول صلی الله علیه و اله بعدد کل بیت لعنهٔ بعد صلاته فی الحجر، وفی مکان آخر لعنه الرسول علیه السلام قائلاً: «اللهم العن عمرو بن العاص». روّع زینب بنت الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله عندما خرجت مهاجرهٔ من مکهٔ إلی المدینهٔ وأسقط جنینها. وکان مبعوث قریش إلی الحبشهٔ لتحریض النجاشی علی قتل المسلمین وطردهم منها أو تسلیمهم لقریش. قاتل المسلمین فی بدر وأحد والخندق، أسلم سنهٔ ۸ ه (۶۲۹م) مع خالد بن الولید، شهد فتح الشام، ولّاه عمر بن الخطاب فلسطین ثم مصر، عزله عثمان عن مصر وعین مکانه عبد الله بن سعد، وأضحی یؤلب الناس علی عثمان، وعندما قتل عثمان قال ابن العاص: أنا أبو عبد الله إذا نکأت قرحهٔ أدمیتها، قتلته وأنا بوادی السباع. وقال لولده: لقد حرّضت علی عثمان حتی الراعی فی الصحراء، وفی حکومهٔ معاویهٔ أضحی من المقربین والمناصرین له وقد ناصره فی حروبه ضد الإمام علی علیه السلام کحرب صفین والتی نجی منها بکشف عورته، مات فی مصر سنهٔ ۴۳ ه (۶۶۳م) بعد أن ولاه معاویهٔ علیها، ودفن فی المقطم من ناحیهٔ الفج عن عمر یناهز التسعین سنهٔ. وقال لابنه حین وفاته: «أصلحت لمعاویهٔ دنیاه وأفسدت دینی، آثرت دنیای وترکت آخرتی، عمِّی علیّ رشدی حتی حضرنی أجلی، کأنی بمعاویهٔ قد حوی مالی وأساء فیکم خلافتی?».

?ترجمه شذرات الذهب ج۱ ص ۵۳، تهذیب التهذیب ج۸ ص۵۶، أسد الغابهٔ ج۴ ص ۱۱۵، سیر أعلام النبلاء ج۳ ص۵۴، مروج الذهب ج۳ ص۳۲، ربیع الأبرار: ج۳ ص ۵۵۰، تذکرهٔ الخواص: ص۱۸۶، تاریخ الیعقوبی: ج۲ ص ۱۳۰، السیرهٔ النبویهٔ: ج۳ ص ۲۷۰، شرح نهج البلاغهٔ لابن أبی الحدید: ج۲ ص ۱۰۰.

() صخر بن حرب بن أمیهٔ، قاد المشرکین فی حروبهم ضد الرسول صلی الله علیه و اله کحرب بدر وأحد والخندق، وما من فتنهٔ إلّا وشارک فیها، أسلم مضطراً یوم الفتح وکان یشتهر بالنفاق؛ کما ذکر ذلک الأغانی: ج۶ ص۳۴۳، یقول الزبیر لولده عبد الله فی حق أبی سفیان: قاتله الله یأبی إلّا نفاقاً، عندما أصبح عثمان خلیفهٔ، ذهب بنو أمیهٔ إلیه لیبارکوا له خلافته، فقام أبو سفیان خطیباً قائلًا: هل بیننا من غیر بنی أمیهٔ؟ فقالوا: لا، فقال: تلاقفوها یا بنی أمیهٔ، تلقف الکرهٔ، فالذی یحلف به أبو سفیان، لا عذاب ولا حساب ولا جنهٔ ولا نار ولا حشر ولا قیامهٔ، مات أبو سفیان سنهٔ ۳۱ه (۶۵۲م).

() خالد بن الولید بن المغیرهٔ المخزومی، ابن خالهٔ عمر بن الخطاب، أسلم برفقهٔ عمرو بن العاص سنهٔ ۸ه (۶۲۹م)، أرسله أبو بکر إلی العراق سنهٔ ۱۲ه (۶۳۳م) لفتح الحیرهٔ، ثم عینه قائداً فی الشام، وقد خلعه عمر بن الخطاب من سمته. مات بحمص سنهٔ ۲۱ه (۶۴۲م). ارتکب عدهٔ جرائم؛ ففی عهد الرسول صلی الله علیه و اله قتل الکثیر من بنی جذیمهٔ المسالمین بعد أن کتّفهم، وعندما أخبر الرسول صلی الله علیه و اله بذلک، رفع یدیه إلی السماء قائلًا: اللّهم إنی أبرأ إلیک مّما صنع خالد بن الولید، ثم أرسل الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله الإمام علی علیه السلام لبنی جذیمهٔ قائلًا له: یا علی، اخرج إلی هؤلاء القوم فانظر فی أمرهم واجعل أمر الجاهلیهٔ تحت قدمیک. فخرج الإمام علی علیه السلام حتی جاءهم ومعه مال فد، بعث به رسول الله صلی الله علیه و اله فودی لهم الدماء وما أصیب لهم من الأموال حتی إنه لیدی لهم میلغهٔ الکلب، إذ لم یبق شیء من دم ولا مال إلّا وداه، بقیت معه بقیهٔ من المال. فقال لهم علی علیه السلام حین فرغ منهم: هل بقی لکم دم أو مال لم یودَ لکم؟ قالوا: لا. قال: فإنی أعطیکم هذه البقیهٔ من هذا المال احتیاطاً لرسول الله صلی الله علیه و اله مما لا یعلم ولاتعلمون. ففعل، ثم رجع إلی رسول الله صلی الله علیه و اله فأخبره الخبر. فقال الرسول صلی الله علیه و اله: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول الله صلی الله علیه و اله فاستقبل القبلهٔ قائماً شاهراً یدیه حتی إنه لیری ما تحت منکبیه، یقول: اللهم إنی أبرأ إلیک مما صنع خالد بن الولید. ثلاث مرات.

وفی زمن أبی بکر هجم خالـد علی بنی سـلیم الـذین لم یقبلوا بخلافـة أبی بکر، وجمع رجالهم فی الحضائر وأحرقهم بالنار. وکذلک هجم علی مالک بن نویرة وعشیرته الذی یعد من الأشراف فی الجاهلیة والإسلام وقد عاشر الرسول الأکرم صلی الله علیه و اله وأحسن معاشـرته واستعمله الرسول صلی الله علیه و اله لبرهة من الزمن علی صدقات قومه بعد أن رفض مالک إعطاء الزکاة لأبی بکر ممّا حدا بخالـد أن یقتـل مالکـاً والکثیر من أصـحابه، وزنـا بزوجته أم تمیم، وسبی الکثیر من النسـاء، ونهب الأـموال، ثم أمر بحزّ رؤوس القتلی لتجعل أثفیة للقدور، فما من رأس إلاّ وصـلت النار إلی بشـرته ما عدا مالکاً فإن القدر نضـجت وما نزح رأسه من کثرة شعره وقد وقی الشـعر البشـرة حرها أن یبلغ منه ذلک. وقال عمر بن الخطاب لخالـد بعـد هـذه الفجیعة: قتلت امرءاً مسـلماً ثم نزوت علی امرأته، والله، لأرجمنک بأحجارک. ثم عنـدما نکـح خالـد بن الولیـد؟ ابنـة مجاعة بن مرارة قسـراً، کتب إلیه أبو بکر: یا ابن أم خالد، إنک لفارغ، تنکـح النساء وبفناء بیتک دم ألف ومائتی رجل من المسـلمین لم یجفف بعد. للمزید راجع الریاض النضـرة: ج۱ ص ۱۰۰، شرح نهج البلاغة: ج۴ ص۱۸۷، الغـدیر للأمینی: ج۷ ص۱۵۵ ۱۶۹، الموسوعة الإسـلامیة: ج۵ ص۱۷۴ ۱۷۵ للبـاحث حسن الأـمین، الکامل فی التاریخ: ج۲ ص۱۷۳.

() یقول الإمام أمیر المؤمنین علیه السـلام: وَاللهِ مَا مُعَاوِیَةُ بِأَدْهَی مِنِّی ولَکِنَّهُ یَغْدِرُ ویَفْجُرُ ولَوْلا کَرَاهِیَةُ الْغَدْرِ لَکُنْتُ مِنْ أَدْهَی النَّاسِ، ولَکِنْ کُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وکُلُّ فُجَرَةٍ کُفَرَةٌ ولِکُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ یُعْرَفُ بِهِ یَوْمَ الْقِیَامَـةِ واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَکِیـدَةِ ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِیدَةِ). نهج البلاغة: الخطبة ۲۰۰.

() ذکر البلاذری فی أنساب الأشـراف: ج۵ ص۲۳۹ عن دهاء معاویـة أنه کتب إلی زیاد بن أبیه: «انظر أهل الیمن فأکرمهم فی العلانیة وأهِنهم فی السر». وذکر الیعقوبی فی تاریخه ج۲ ص ۱۵۰: «أن معاویة إذا بلغه عن رجل ما یکره، قطع لسانه بالإعطاء وربما احتال علیه فبعث به إلی الحروب وقدّمه، وکان أکثر الناس ما فعله المکر والحیلة». وذکر المسعودی فی مروج الذهب: «إن رجلاً من أهل الکوفة دخل علی بعیر له إلی دمشق فی حالـة منصـرفهم عن صـفین، فتعلق به رجل من دمشق. فقال: هـذه ناقتی، أخذت منی بصـفین، فارتفع أمرهما إلی معاویة، وأقام الدمشـقی خمسـین رجلاً بینة، یشـهدون أنها ناقته، فقضی معاویة علی الکوفی، وأمره بتسلیم البعیر إلیه. فقال الکوفی: أصـلحک الله! إنه جمل ولیس بناقـة، فقال معاویـة: هـذا حکم قد مضـی، ودسّ إلی الکوفی بعد تفرقهم فأحضـره، وسأله عن ثمن بعیره؟ فـدفع إلیه ضـعفه، وبرّه، وأحسن إلیه،وقال له: أبلغ علیاً أنی أقاتله بمائـة ألف ما فیهم من یفرق بین الناقـة والجمل، وقد بلغ من أمر أهل الشام فی طاعتهم لمعاویة أنه صـلّی بهم عند مسیرهم إلی صفین الجمعة فی یوم الأربعاء. وذکر أیضاً فی ج۵ ص۹۲: «قال زیاد لم یغلبنی معاویـة فی السـیاسة إلاّ فی رجل من بنی تمیم، استعملته فکسـر الخراج ولحق به فآمنه، فکتبت إلیه: إن فی هذا مفسدة للعمال وحملاً علی سوء الأدب، فابعث به إلیّ، فکتب إلیّ معاویة: إنه لا یصـلح أن أسوس؟ وتسوس الناس سیاسة واحدة، إنّا إن نشتد جمیعاً، نهلک الناس ونخرجهم، وإن نلن جمیعاً، نبطرهم، ولکن تلین وأشـتد وتشتد وألین، فإذا خاف أحدهم وجد باباً فدخله». وذکر ابن قتیبة فی الإمامة والسیاسة ج۱ ص ۱۵۰ مایلی: «قال رجل دعی إلی البیعة لمعاویة اللهم إنی أعوذ بک من شـر معاویة. فقال معاویة: تعوذ من شـر نفسک، فإنه أشد علیک، بایع، فقال: إنی أبایع وأنا کاره للبیعة؟ فقال معاویة: بایع. فإنَّ الله یقول: فَعَسَـیَ أَن تَکْرَهُواْ شَـیْئاً وَیَجْعَلَ اللَّهُ فِیهِ خَیْراً کَثِیراً سورة النساء: الآیـة ۱۹. وذکر فی وقعة صـفین ص۴۹۵، أن معاویة قال: «والله، لأسـتمیلن بالأموال ثقات علی ولأقسمن فیهم الأموال حتی تغلب دنیاهم آخرتهم». ومن دهائه أنه قتل أصحاب رسول الله صلی الله علیه و اله بالسم، وکان یقول: «إن لله جنوداً من عسل». فقـد قتل الإمام الحسن علیه السـلام ومالک الأشتر وعبـد الرحمن بن خالد وسـعید بن أبی وقاص وحجر بن عدی الکنـدی وأصـحابه وعمرو بن الحمق الخزاعی. وقال الجاحظ فی رسالته ص۳۶۵: «کان معاویة خلاف الکتاب والسـنة ویستعمل جمیع المکاید وجمیع الخدع حلالها وحرامها، وکان علی علیه السلام لا یستعمل فی حربه إلاّ عدله، ووافق الکتاب والسنة».

() إن أول من تبرأ منه حفیده، معاویة الثانی، الذی تنازل عن الخلافة قائلاً: (إن الخلافة لیست لهم وإنّ جده اغتصبها من علی وإن أباه اغتصبها من الحسین).

() قال الواقدی: «إن معاویة عندما عاد من العراق إلی الشام بعد بیعة الحسن علیه السلام واجتماع الناس إلیه، خطب، فقال: أیها الناس، إن رسول الله قال لی: إنک ستلی الخلافة من بعدی فاختر الأرض المقدسة، فإن فیها الأبدال وقد اخترتکم. فالعنوا أبا تراب. فلعنوه... ». راجع نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۴ ص۷۲.

وأضاف ابن أبی الحدید فی ج۱۱ ص۴۴ ۴۵ قائلاً: «وروی أبو الحسن علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب الأحداث، قال: کتب معاویة نسخة واحدة إلی عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روی شیئاً من فضل أبی تراب وأهل بیته، فقامت الخطباء فی کل کورة وعلی کل منبر یلعنون علیا ویبرؤون منه ویقعون فیه وفی أهل بیته، وکان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة لکثرة من بها من شیعة علی علیه السلام فاستعمل علیهم زیاد ابن سمیة وضم إلیه البصرة فکان یتتبع الشیعة وهو بهم عارف لأنه کان منهم أیام علی علیه السلام فقتلهم تحت کل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأیدی والأرجل وسمل العیون وصلبهم علی جذوع النخل وأطرافها وشرَّدهم عن العراق فلم یبق بها معروف منهم ... وکتب معاویة إلی عماله فی جمیع الآفاق ألاَّ یجیزوا لأحد من شیعة علی وأهل بیته شهادة وکتب إلیهم أن انظروا من قبلکم من شیعة عثمان ومحبیه وأهل ولایته والذین یروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأکرموهم ولا تترکوا خبراً یرویه أحد من المسلمین فی أبی تراب إلا وتأتونی بمناقض له فی الصحابة فإن هذا أحب إلی وأقر لعینی وأدحض لحجة أبی تراب وشیعته وأشد علیهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت کتبه علی الناس فرویت أخبار کثیرة فی مناقب الصحابة مفتعلة لا حقیقة لها، وجد الناس فی روایة ما یجری هذا المجری حتی أشادوا بذکر ذلک علی المنابر وألقی إلی معلّمی الکتاتیب فعلّموا صبیانهم وغلمانهم من ذلک الکثیر الواسع حتی رووه وتعلموه کما یتعلمون القرآن وحتَّی علَّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلک ما شاء الله. ثم کتب إلی عماله نسخة واحدة إلی جمیع البلدان انظروا من قامت علیه البینة أنه یحب علیاً وأهل بیته فامحوه من الدیوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. وأشفع ذلک بنسخة أخری?: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنکلوا به وأهدموا داره، فلم یکن البلاء أشد ولا أکثر منه بالعراق ولا سیما بالکوفة حتی إن الرجل من شیعة علی علیه السلام لیأتیه من یثق به فیدخل بیته فیلقی إلیه سره ویخاف من خادمه ومملوکه ولا یحدثه حتی یأخذ علیه الأیمان الغلیظة لیکتمن علیه، فظهر حدیث کثیر موضوع وبهتان منتشر، ومضی علی ذلک الفقهاء والقضاة والولاة، وکان أعظم الناس فی ذلک بلیة القراء المراؤون والمستضعفون الذین یظهرون الخشوع والنسک فیفتعلون الأحادیث لیحظوا بذلک عند ولاتهم ویقربوا مجالسهم ویصیبوا به الأموال والضیاع والمنازل حتی انتقلت تلک الأخبار والأحادیث إلی أیدی الدیانین الذین لا یستحلون الکذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم یظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدینوا بها. فلم یزل الأمر کذلک حتی مات الحسن بن علی ? فازداد البلاء والفتنة فلم یبق أحد من هذا القبیل إلاّ وهو خائف علی دمه أو طرید فی الأرض». وذکر ابن أبی الحدید فی الجزء الرابع ص۷۳ ما یلی: «وقد صح أن بنی أمیة منعوا من إظهار فضائل علی علیه السلام وعاقبوا علی ذلک الراوی له حتی إن الرجل إذا روی عنه حدیثاً لا یتعلق بفضله بل بشرائع الدین لا یتجاسر علی ذکر اسمه فیقول عن أبی زینب. وروی عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددت أن أترک فأحدث بفضائل علی بن أبی طالب علیه السلام یوماً إلی اللیل وأن عنقی هذه ضربت بالسیف. قال: فالأحادیث الواردة فی فضله لو لم تکن فی الشهرة والاستفاضة وکثرة النقل إلی غایة بعیدة لانقطع نقلها للخوف والتقیة من بنی مروان مع طول المدة وشدة العداوة. ولولا أن لله تعالی فی هذا الرجل سراً یعلمه من یعلمه لم یرو فی فضله حدیث ولا عرفت له منقبة ألا تری أن رئیس قریة لو سخط علی واحد من أهلها ومنع الناس أن یذکروه بخیر وصلاح لخمل ذکره ونسی اسمه وصار وهو موجود معدوماً وهو حی میتا». کما ذکر صاحب کتاب تهذیب التهذیب: ج۷ ص۳۱۹: «إن بنی أمیة إذا سمعوا بمولود، اسمه علیّ قتلوه».

() یقول الزمخشری فی ربیع الأبرار: ج۲ ص۱۸۶: «وإن بنی أمیة لعنوا علیاً علی منابرهم سبعین سنة ما زاده الله إلا رفعة ونبلاً».

() عمر بن عبد العزیز بن مروان بن الحکم، ثامن خلفاء بنی أمیة، ولد سنة ۶۱ه

(۶۸۱م) وقتل فی دمشق بالسم سنة ۱۰۱ه (۷۲۰م)، حکم من سنة ۹۹ه (۷۱۷م) وإلی سنة? ۱۰۱ ه (۷۲۰م) وقد حکم سنتین وخمسة

أشهر وأربعة عشر یوماً، وممّا یؤخذ علیه فی فترة حکمه تغاضیه عن بنی مروان مما اغتصبوه ونهبوه من أموال وأراض فی أیام الحکام السابقین والتی تقدر بثلث ما بحوزة الناس من أموال، وإقراره ببقاء یزید علی ولایة العهد الذی عرف باللهو واللذات، وممّا یؤخذ علیه أیضاً تسامحه مع الیهود والنصاری الذین سعوا فی الأرض فساداً، ولم یستطع المظلومون فی عهده من الاحتجاج علی الأعمال التی اقترفها بنو أمیة أو ذکرهم بسوء أو کشف حقائقهم ومثالبهم ومظالمهم. للتفصیل راجع: العقد الفرید: ج۴ ص۲۰۶، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۷ص۱۰۳. وقد ذکر ابن أبی الحدید فی شرحه: ج۴ ص۵۸ ۵۹ قصة عمر بن عبد العزیز ونهیه عن سب الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام قائلاً: «کنت غلاماً أقرأ القرآن علی بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بی یوماً وأنا ألعب مع الصبیان، ونحن نلعن علیاً. فکره ذلک ودخل المسجد فترکت الصبیان، وجئت إلیه لأدرس علیه وردی، فلما رآنی قام فصلّی وأطال فی الصلاة شبه المعرض عنی حتی أحسست منه بذلک، فلما انفتل من صلاته کلح فی وجهی، فقلت له: ما بال الشیخ؟ فقال لی: یا بنی، أنت اللاعن علیاً منذ الیوم؟ قلت: نعم. قال: فمتی علمت أن الله سخط علی أهل بدر بعد أن رضی عنهم؟ فقلت: یا أبت، وهل کان علیّ من أهل بدر؟ فقال: ویحک وهل کانت بدر کلها إلاّ له؟! فقلت: لا أعود. فقال: والله أنک لا تعود. قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها، ثم کنت أحضر تحت منبر المدینة وأبی یخطب یوم الجمعة وهو حینئذٍ أمیر المدینة، فکنت أسمع أبی یمر فی خطبه تهدر شقاشقه حتی یأتی إلی لعن علی علیه السلام فیجمجم ویعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فکنت أعجب من ذلک. فقلت له یوماً: یا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالی أراک أفصح خطیب یوم حفلک حتی إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألکن علیاً؟ فقال: یا بنی، إنَّ من تری تحت منبرنا من أهل الشام وغیرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما یعلمه أبوک لم یتبعنا منهم أحد، فوقرت کلمته فی صدری مع ما کان قاله لی معلمی أیام صغری، فأعطیت الله عهداً لئن کان لی فی هذا الأمر نصیب لأغیّرنه، فلما منَّ الله علیَّ بالخلافة أسقطت ذلک، وجعلت مکانه إنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ وإِیتاءِ ذِی الْقُرْبی ویَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْکَرِ والْبَغْیِ یَعِظُکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ وکتب به إلی الآفاق فصار سنَّةً.

() یقول فلهوزن فی کتاب (الخوارج والشیعة) ط القاهرة سنة ۱۹۶۸ عن بنی أمیّة: (لن تجد الیوم أمویاً یقول بأنی أموی. فقد تحوّلت الأمویة إلی ظاهرة ضد الدین وضد الإسلام؛ وذلک نتیجة ما ارتکبه معاویة من مخالفات ضد الإسلام).

() وقد عبّر أبو سفیان عن ذلک فی مقولته لعثمان بن عفان: یا عثمان، إن الأمر أمر عالمیة والملک ملک جاهلیة فاجعل أوتاد الأرض بنی أمیة. راجع الأغانی: ج۶ ص ۳۵۴.

() کقول الإمام علیه السلام لأصحابه: «یَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولا رِجَالَ، حُلُومُ الأَطْفَالِ وعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّی لَمْ أَرَکُمْ ولَمْ أَعْرِفْکُمْ مَعْرِفَةً، واللهِ جَرَّتْ نَدَماً وأَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَکُمُ اللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِی قَیْحاً وشَحَنْتُمْ صَدْرِی غَیْظاً وجَرَّعْتُمُونِی نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وأَفْسَدْتُمْ عَلَیَّ رَأْیِی بِالْعِصْیَانِ والْخِذْلانِ». نهج البلاغة: الخطبة ۲۷.

وقوله علیه السلام: «صَاحِبُکُمْ یُطِیعُ اللهَ وأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ یَعْصِی اللهَ وهُمْ یُطِیعُونَهُ، لَوَدِدْتُ واللهِ أَنَّ مُعَاوِیَةَ صَارَفَنِی بِکُمْ صَرْفَ الدِّینَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّی عَشَرَةً مِنْکُمْ وأَعْطَانِی رَجُلاً مِنْهُمْ». نهج البلاغة: الخطبة ۹۷.

() سورة الإسراء: الآیة ۷۲.

() سورة الأنبیاء: الآیتان ۲۶ ۲۷.

() النعمان بن ثابت بن زوطی بن ماه، التیمی بالولاء، من سبی کابل، مؤسس المذهب السنی الحنفی، ولد سنة ۸۰ ه (۶۹۹م) ونشأ فی الکوفة وکان یبیع الخز ثم انقطع للعلم، قیل: قتله المنصور بالسم، وقیل: حبسه ومات فی السجن، مات سنة ۱۴۹ه (۷۶۶م) وقیل: ۱۵۰ه (۷۶۷م)، من مؤلفاته: مسند أبی حنیفة، المخارج، الفقه الکبیر. ترجمه تاریخ بغداد: ج۱۳ص۳۲۳ وفیات الأعیان: ج۲ ص ۱۶۳ الجواهر المضیئة: ج۱ص۲۶، الإمام الصادق علیه السلاموالمذاهب الأربعة: ج۱ص۲۸۸ ۳۳۰، مرآة الجنات: ج۱ص۳۰۹، روضات الجنات: ج۸ ص۱۶۷ ۱۷۶، الطبقات الکبری لابن سعد: ج۷ ص۳۲۲، الجرح والتعدیل: ج۸ ص۴۴۹، المنتظم لابن الجوزی: ج۸ ص۱۲۸، البدایة

والنهاية: ج ۱۰ ص ۱۱۰، شذرات الذهب: ج ۱ ص ۲۲۷.

() يقول السروجى فى هذا الصدد كما عن المناقب: ج ۳ ص ۹۵:

صنو النبى أمير المؤمنين على

و أسمحها كفا لمبتذل

ولا استقام طريق غير مشتكل

كلا وحق أمير النحل حيدرة

خير البرية آباء وأشرفها قدرا

لولاه ما قام للإسلام قائمة

() وهؤلاء الثلاثة أمر النبى صلى الله عليه و اله المسلمين بقتالهم: فعن أبى سعيد الخدرى، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه و اله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فقلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع على بن أبى طالب معه يقتل عمار بن ياسر. راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ۳ ص ۲۱۳، أسد الغابة: ج ۴ ص ۳۳. وقال ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق: ج ۳ ص ۲۰۸: إن أم سلمة قالت: إن رسول الله أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وإن من لقى الله وهو مبغض لعلى أكبه الله على منخريه فى النار.

() غرر الحكم ودرر الكلم: ص ۳۴۲ ح ۷۸۲۵، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۸ ص ۴۰۷ ب ۱۷۸، بحار الأنوار: ج ۷۲ ص ۳۵۷ ب ۸۱ ح ۷۰ ط بيروت.

() سورة النساء: الآية ۳۴.

() ونظير هذا قصة قزمان فى معركة بدر حيث قال: والله، ما قاتلت إلا على الحفاظ حتى لا تسير قريش فتطأ سعفنا. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۴ ص ۲۶۰ ۲۶۱.

() من لا يحضره الفقيه: ج ۴ ص ۳۹۲، وسائل الشيعة: ج ۱۲ ص ۱۷۴ ب ۱۱۳ ح ۱۵۹۹۹.

() الصحيفة السجادية: ص ۹۲، الدعاء والزيارة للمؤلف رحمة الله عليه: ص ۹۳.

() ولد عبد الكريم قاسم فى بغداد سنة ۱۳۳۲ه (۱۹۱۴م)، تسلم الحكم فى العراق سنة ۱۳۷۷ه (۱۹۵۸م) بعد أن أطاح بالنظام الملكى، وأعلن النظام الجمهورى، وشكل مجلس السيادة لإدارة البلاد، استمر فى الحكم لسنة ۱۳۸۲ه (۱۹۶۳م)، وأعدم إثر تعرضه لانقلاب عسكرى؛ قاده عبد السلام عارف.

ومن المثالب التى تؤخذ عليه: إلغاؤه للمظاهر الديمقراطية كالبرلمان والتعددية الحزبية، وتجريد العشائر من السلاح، ومحاربة الحوزة العلمية ومؤسساتها، وإعلانه للأحكام العرفية.

() ولد جمال عبد الناصر سنة ۱۳۳۶ه (۱۹۱۸م) وتوفى سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م)، قاد ثورة تموز ۱۹۵۲م، تولّى رئاسة الوزراء سنة ۱۳۷۳ه (۱۹۵۴م)، واتّخذ الاشتراكية كنظام لإدارة البلد، تولّى رئاسة الجمهورية سنة ۱۳۷۵ه (۱۹۵۶م)، واستمر حكمه إلى سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م).

() تطرق الإمام المؤلف رحمة الله عليه إلى تفصيل ذلك فى مذكراته (تلك الأيام): ص ۱۴۸-۲۲۴.

() آية الله العظمى السيد محسن الحكيم رحمة الله عليه، ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۳۰۶ه (۱۸۸۹م) وتوفى فى بغداد سنة ۱۳۹۰ه (۱۹۷۰م)، تتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراسانى والشيخ ضياء الدين العراقى والشيخ محمد حسين النائينى والسيد محمد سعيد الحبوبى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبى الحسن الأصفهانى والسيد البروجردى، أصدر فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية والكشف عن صبغتها الإلحادية فى السابع عشر من شهر شعبان سنة ۱۳۷۹ه (أيار ۱۹۶۰م)، واعتبر أن الشيوعية كفر وإلحاد، ونُشر البيان آنذاك

فی جریدة العراق. من مؤلفاته: حقائق الأصول، المستمسک وهو شرح علی العروة الوثقی یقع فی اثنی عشر مجلداً، منهاج الصالحین، شرح تشریح الأفلاک.

() وقد تطرق الإمام المؤلف رحمة الله علیه إلی تفاصیل بعض تلک الزیارات فی مذکراته «تلک الأیام» الجزء الأول والجزء الثانی.

() من لا ـ یحضره الفقیه: ج۴ ص۳۷۲ ب۲ ح۵۷۶۲، کشف الغمة: ج۱ ص۳۸۴، غرر الحکم ودرر الکلم: ص۳۰۸ ح۷۰۸۸، بحار الأنوار: ج۱ ص۸۸ ب۱ ح۱۳ وج۶۹ ص ۳۱۵ ب۱۱۷ ح۱۸ ط بیروت.

() هذا وفق الإحصاءات السابقة، ووفق إحصاء سنة ۱۹۹۷م، بلغ عدد المسلمین فی إمریکا أکثر من اثنی عشر ملیوناً وعدد مساجدهم ۱۵۰۰ مسجد و ۲۵۰ مدرسة.

() سورة المائدة: الآیة ۲.

() سورة الحشر: الآیة ۱۴.

() السید محمد بن علی أکبر بن قاسم بن حسن الموسوی الشیرازی المشهور ب «سلطان الواعظین»، عالم قدیر وباحث متمیز وخطیب بارع، ولد فی ۷ ذی القعدة من سنة ۱۳۱۴ه (۱۸۹۷م) فی مدینة طهران، توفی فی ۲۰ شعبان من سنة ۱۳۹۱ه (۱۱/۱۰/۱۹۷۱م)، هاجر إلی کربلاء المقدسة سنة ۱۳۲۶ه فدرس عند السید علی الشهرستانی والشیخ غلام حسین المولوی والشیخ موسی الکرمانشاهی ثم أکمل دراسته فی مدینة قم المقدسة عند الشیخ عبدالکریم الحائری، له مساعٍ حمیدة فی الحوار الفکری لإثبات الحق ونشر عقائد أهل البیت علیهم السلام، منها: حواره مع البراهمة وعلماء الهندوس فی مدینة دلهی وبحضور الزعیم غاندی، وکان یتنقل بین البلدان ?الإسلامیة لنشر مذهب أهل البیت علیه السلام، من مؤلفاته: لیالی بیشاور، الفرقة الناجیة، مائة مقالة سلطانیة.

() سورة الغاشیة: الآیتان ۲۱ ۲۲.

() الشیخ محمد رضا محمد عبد الله المظفر: ولد فی النجف الأشرف سنة ۱۳۲۲ه (۱۹۰۴م)، وتوفی فی شهر رمضان من سنة ۱۳۸۳ه (کانون الثانی ۱۹۶۴م)، تتلمذ عند الشیخ ضیاء الدین العراقی، والشیخ النائینی، والشیخ محمد حسین الأصفهانی، والسید عبدالهادی الشیرازی، أسّس جمعیة النشر والتألیف، وجمعیة منتدی النشر سنة ۱۳۵۴ه، وکلیة الفقه سنة ۱۳۷۶ه (۱۹۵۶م) والتی أجیزت سنة ۱۳۷۸ه (۱۹۵۸م) والتی حولها صدام التکریتی إلی فندق باسم فندق قبا. وآزر السید الشیرازی فی تأسیس جماعة العلماء سنة ۱۳۷۸ه (۱۹۵۸م)، التی أخذت علی عاتقها مقاومة المد الشیوعی. من مؤلفاته: أحلام الیقظة، السقیفة، فلسفة ابن سینا، منطق المظفر، أصول المظفر، عقائد الإمامیة.

() الشیخ محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن إبراهیم البلاغی، عالم فاضل وأدیب شاعر، یعود نسبه إلی قبیلة ربیعة، ولد سنة ۱۲۸۲ه (۱۸۶۵م) علی ما اختاره الشیخ أغا بزرک الطهرانی فی نقباء البشر، وقیل: ۱۲۸۵ه (۱۸۶۸م) علی ما اختاره السید محسن الأمین فی أعیان الشیعة، توفی فی شعبان من سنة ۱۳۵۲ه (۱۹۳۳م) بعد مرض ابتلی به یسمّی بذات الجنب، یعد من تلامذة الشیخ رضا الهمدانی والشیخ محمد طه نجف والشیخ محمد کاظم الخراسانی والشیخ محمد تقی الشیرازی والشیخ محمد الهندی والشیخ محمد حسن الأفغانی، شارک فی ثورة العشرین ضد الاستعمار الإنجلیزی، وقاد معرکة فکریة ضد التحدیات الصلیبیة والیهودیة والطوائف المنحرفة وضد الإلحاد والکفر، ودافع عن العقیدة الإسلامیة النقیة بشکل جدی ومتواصل، تتلمذ عنده السید محمد هادی المیلانی والسید الخوئی والسید المرعشی والسید صادق بحر العلوم، بلغت مؤلفاته ۳۸ مؤلفاً؛ أبرزها: الهدی إلی دین المصطفی، الرحلة المدرسیة، فی الرد علی التبشیر، آلاء الرحمن فی تفسیر القرآن، نصائح الهدی، رسالة إلی من کان مسلماً فصار بابیاً، رسالة فی رد الوهابیة، التوحید والتثلیث، أعاجیب الأکاذیب، أنوار الهدی، إبطال فتوی الوهابیین. ترجمه أعیان الشیعة: ج۴ ص۲۵۵.

() الشیخ عبد الحسین بن أحمد الأمینی، أدیب ومؤرخ وفقیه، ولد فی إیران سنة ۱۳۲۰ه وتوفی سنة ۱۳۹۰ه، هاجر إلی النجف الأشرف ودرس عند السید محمد الفیروز آبادی والسید أبو تراب الخونساری والمیرزا علی الشیرازی، أسس فی النجف الأشرف

مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ۱۳۷۳ه (۱۹۵۳م) وكانت تحتوى منذ بدء تأسيسها على خمسة عشر ألف كتاب ثم توسعت حتى بلغت لأكثر من نصف مليون كتاب، وقد ضيق النظام البعثى فى العراق الخناق على متولّيها. من مؤلفاته: الغدير، شهداء الفضيلة، رياض الأنس، سيرتنا وسنتنا، ترجمه أعيان الشيعة فى مستدركه ج۱ ص۸۲.

() الشيخ محمد محسن الطهرانى الملقب ب آغا بزرك أى السيد الكبير؛ وهذا اللقب يمنح فى المجتمع الإيرانى لكبير العائلة، ولد فى طهران سنة ۱۲۹۳ه (۱۸۷۶م) وتوفى فى ذى الحجة من سنة ۱۳۸۹ه (شباط ۱۹۷۰م) إثر مرض عضال، انتقل إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينية سنة ۱۳۱۵ه (۱۸۹۷م) وتتلمذ عند الميرزا حسين النورى والسيد مرتضى الكشميرى والشيخ محمد طه نجف والميرزا حسين الملكى والشيخ كاظم الخراسانى والسيد كاظم اليزدى وشيخ الشريعة الأصفهانى والشيخ محمد تقى الشيرازى ودرس عند الأخير قرابة خمس وعشرين سنة، اشترك فى ثورة العشرين ضد الاستعمار الإنجليزى، ألف أكثر من مائتين وخمسين كتاباً ومخطوطاً؛ منها: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ثلاثين مجلداً يتناول فيه فهرست ما ألّفه علماء الشيعة طوال أربعة عشر قرناً، طبقات أعلام الشيعة ويتألف من أحد عشر مجلداً، مصفى المقال فى مصنفى علم الرجال يتناول فيه تراجم لخمسمائة من رجال الشيعة الذين ألّفوا فى علم الرجال، توضيح الرشاد فى تاريخ حصر الاجتهاد، النقد اللطيف فى نفى التحريف، نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ويحتوى على أربعة مجلدات، الكواكب المنتثرة فى القرن الثانى بعد العشرة، ظلال الخصب فى عوالى النسب، ضياء المغازات فى طريق مشايخ الإجازات.

() السيد حسين بن محمود بن محمد بن على الطباطبائى القمىّ، ولد فى مدينة قم المقدسة سنة ۱۲۸۲ه ودرس فيها المقدمات وكذلك درس فى طهران ثم انتقل إلى النجف الأشرف سنة ۱۳۱۱ه لحضور درس الشيخ حبيب الله الرشتى والشيخ النهاوندى والشيخ محمد كاظم الخراسانى والسيد محمد كاظم اليزدى، ثم هاجر إلى سامراء سنة ۱۳۲۱ه لحضور درس الشيخ محمد تقى الشيرازى وبقى هناك عشر سنوات. وفى سنة ۱۳۳۱ه انتقل إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام وبدأ بالبحث والتدريس. من مواقفه السياسية: تصدى لرضا شاه البهلوى سنة ۱۳۵۴ه الذى أهان العلماء ونشر الخمور وأجبر النساء على التبرج والسفور ومنع إقامة الشعائر الدينية. رُشّح للزعامة الدينية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهانى، ورجع الناس إليه فى التقليد ونُشرت رسالته العملية فى أرجاء إيران ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة، وزادت وجاهته وعظم شأنه ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتوفى بعد عدّة شهور فى بغداد وذلك فى ۱۴ ربيع الأول سنة ۱۳۶۶ه عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة. من مؤلفاته: مجمع المسائل، الذخيرة الباقية فى العبادات والمعاملات، مختصر الأحكام، طريق النجاة، منتخب الأحكام، مناسك الحج، هداية الأنام. ترجمه نقباء البشر: ج۲ ص۶۵۳.

() السيد حسين بن على بن أحمد بن على نقى الطباطبائى البروجردى، ولد فى بروجرد سنة ۱۲۹۲ه، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، توفى سنة ۱۳۸۰ه فى مدينة قم المقدسة ودفن فى الجامع الذى بناه فى حياته إلى جانب مرقد السيدة معصومة عليها السلام. هاجر إلى النجف الأشرف سنة ۱۳۲۰ه وتتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراسانى، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهانى سنة ۱۳۶۵ه. قاوم الظلم والطغيان فى إيران أيام رضا بهلوى وكذلك قاوم المد الشيوعى. ترك تراثاً فكرياً قوامه خمسون كتاباً ورسالة؛ منها: تجريد أسانيد الكافى، حاشية على كفاية الأصول، حاشية على العروة الوثقى، بيوت الشيعة، إصلاح واستدراك رجال الطوسى، جامع أحاديث الشيعة، دار السلام فى فروع الإسلام وأحكامه.

() سورة آل عمران: الآية ۱۴۰.

() سورة فاطر: الآية ۴۳.

() السيد صادق بن مهدى الحسينى الشيرازى، من الأعلام المعاصرين والفقهاء المتميزين، ولد فى كربلاء فى العشرين من ذى الحجة سنة ۱۳۶۰ه وتربّى فى بيت ملؤه العلم والمعرفة، وترعرع فى أحضان أبوين صالحين فاغترف من معينهما الحب والحنان والأدب ومكارم الأخلاق، واشتهر فى الأوساط العلمية بالفقاهة والتحقيق والتدقيق والذوق الرفيع وقوة الاستدلال والزهد والورع والتقوى،

تتلمذ عند والده السید مهدی الشیرازی وأخیه السید محمد الشیرازی والسید محمد هادی المیلانی والشیخ محمد رضا الأصفهانی والشیخ یوسف الخراسانی، آلت إلیه المرجعیة بعد وفاة أخیه السید محمد الشیرازی فی الثانی من شوال من سنة ۱۴۲۲ه، ولا زال یمارس نشاطه الإسلامی، بلغت مؤلفاته خمسةً وثمانین کتاباً وکراساً لمختلف المستویات، طبع منها: بیان الأصول قاعدة لاضرر والاستصحاب، الموسوعة القرآنیة: علی فی القرآن، فاطمة فی القرآن، المهدی فی القرآن، الشیعة فی القرآن، أهل البیت فی القرآن، ومجموعة کتب شرحیة: کشرح العروة الوثقی بحث الاجتهاد والتقلید وشرح السیوطی، وشرح تبصرة المتعلمین، وتوضیح شرائع الإسلام، ومجموعة کتب تتضمن مواضیع أخری، منها: السیاسة من واقع الإسلام، القیاس فی الشریعة الإسلامیة، الطریق إلی البنک الإسلامی، العقوبات فی الإسلام، مساوئ السفور.

() عبد الرحمن البزّاز، ولد سنة ۱۳۳۲ه (۱۹۱۳م) فی منطقة الرمادی وتخرّج من کلیّة الحقوق سنة ۱۳۴۹ه (۱۹۳۴م) ثمّ قضی أربع سنوات فی إنجلترا لدراسة القانون فی کلیّة الملک بجامعة لندن وعاد إلی العراق سنة ۱۳۴۹ه (۱۹۳۴م)، ناصرَ رشید عالی الکیلانی بانقلابه سنة ۱۳۶۰ه (۱۹۴۱م) وسجن حتی نهایة الحرب العالمیة الثانیة، وبعد الحرب عمل فی وزارة العدل، ثمّ أصبح عمیداً لکلیّة الحقوق سنة ۱۳۷۴ه (۱۹۵۶م) وعمل فی القضاء فی محکمة التمییز. فی بدایة انقلاب عارف عیّن سفیراً للعراق فی القاهرة ثمّ لندن وجنیف وعمل بالمحاماة ثمّ تولّی منصب نائب رئیس الوزراء ووزیر الخارجیة والنفط فی وزارة طاهر یحیی الثانیة ثمّ رئاسة الوزراء ووزارة الخارجیة سنة ۱۳۸۳ه (۱۹۶۴م) ولدورتین فی عهد الأخوین عبد السلام وعبد الرحمن عارف، اعتقل بعد انقلاب البعثیین سنة ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م) وعُذّب ولم یطلق سراحه إلّا بعد أن شُلّ جسده وفقد النُطق فسافر إلی لندن ومات هناک. ترک سبعة مؤلفات، منها: «العراق من الاحتلال حتی الاستقلال» «صفحات من الأمس القریب» «الإسلام والقومیة العربیة».

() عبد الرحمن عارف العانی: ولد سنة ۱۳۳۴ه (۱۹۱۶م)، أصبح رئیساً للعراق سنة ۱۳۸۵ه (۱۹۶۶م)، بعد مقتل أخیه عبد السلام، نحی عن السلطة سنة ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م)؛ إثر انقلاب دبّره أحمد حسن البکر، ونفی إلی ترکیا.

() قانون خلیط من قانون العقوبات الفرنسی الذی عمل به العثمانیون فی العراق وقانون العقوبات المصری الذی أضافه الإنجلیز له والذی هو بدوره مأخوذ من القانون الفرنسی، ألزمه الإنجلیز علی العراق سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۸م) عندما احتلوه. وهذا القانون اصطدم مع الروح الدینیة والمشاعر الشعبیة للعراقیین، أدخلت علیه بعض التعدیلات الطفیفة، کان آخرها سنة ۱۳۹۹ه (۱۹۷۹م) للتفصیل عنه راجع کتاب مذکرات المس بیل: ص۷۶ ۷۹، ترجمة جعفر الخیاط.

() وقد فصّل الإمام المؤلف رحمة الله علیه مجریات الحوار مع رئیس الوزراء العراقی فی العهد العارفی فی مذکراته الموسومة ب (تلک الأیام) ص۲۲۹ ۲۳۴.

() یقوم بتأجیر الحیوانات لغرض الرکوب للسفر والانتقال من مکان إلی آخر.

() غازی بن فیصل الأول، ولد فی مکة سنة ۱۳۳۱ه (۱۹۱۲م)، دخل العراق وهو فی السن السادسة من عمره برفقة والده الذی نُصّب ملکاً علی العراق، حکم العراق بعد موت والده سنة ۱۳۵۲ه (۱۹۳۳م) واستمر فی الحکم إلی سنة ۱۳۵۸ه (۱۹۳۹م)، قتل من قبل الإنجلیز؛ إثر اصطدام سیارته التی کان یقودها بنفسه بعمود کهربائی بالقرب من قصر الحارثة لیلاً.

() فیصل بن غازی والمشهور بفیصل الثانی، ولد فی بغداد سنة ۱۳۵۴ه (۱۹۳۵م)، عین ملکاً بعد وفاة أبیه، ابتدأ حکمه سنة ۱۳۵۸ه (۱۹۳۹م) وکان عمره آنذاک خمس سنوات؛ ونتیجة لعدم بلوغه الرشد القانونی ۱۸سنة؛ عین خاله عبد الإله وصیاً علیه لإدارة شؤون البلاد، قتل مع أغلب أعضاء العائلة الملکیة سنة ۱۳۷۷ه (۱۹۵۸م) إثر إنقلاب عسکری دبّره عبد الکریم قاسم.

() عبد السلام عارف: ولد سنة ۱۳۳۹ه (۱۹۲۱م)، تسلم الحکم فی العراق سنة ۱۳۸۲ه

(۱۹۶۳م)، قتل سنة ۱۳۸۵ه (۱۹۶۶م)؛ إثر سقوط طائرته فی جنوب العراق.

() أحمد حسن البکر: ولد فی تکریت سنة ۱۳۳۳ه (۱۹۱۴م)، تسلم الحکم فی العراق ۱۳۸۸ه (۱۹۶۸م)؛ إثر انقلاب دبّره علی عبد

الرحمن عارف، واستمر فی الحکم إحدی عشرة سنة، وأقصی سنة ۱۳۹۹ه (۱۹۷۹م)؛ إثر انقلاب دبّره صدام التکریتی. وقتله صدام سنة ۱۴۰۲ه (۱۹۸۲م) بحقنة سبّبت ارتفاع نسبة السُّکر لدیه بواسطة الدکتور صادق علوش. وقیل: الدکتور فاروق کما عن کتاب جمهوریة العراق الدیکتاتوری: ص۱۴۵.

() الکلبجة: کنایة عن الأصفاد التی توضع فی ید المجرم.

() الخصال: ج۲ ص۴۲۰، الإرشاد: ج۱ ص۳۰۳، روضة الواعظین: ص۱۰۹، أعلام الدین: ص۱۵۹، کشف الیقین: ص۱۸۳، کنز الفوائد: ج۲ ص۱۹۴، معدن الجواهر: ص۶۷، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۲۰ ص۲۵۵ ب۴، بحار الأنوار: ج۷۱ ص۴۱۱ ب۳۰ ح۲۱، وج۷۲ ص۱۰۷ ب۴۹ ح۹ وج۷۴ ص۴۲۳ ب۱۵ ح ۴۰ وج۱۰۰ ص۲۰ ب۲ ح۸ ط بیروت.

() سورة البقرة: الآیة ۲۸۶.

() وأصل البیت باللغة الفارسیة:

حُسنت به اتفاق ملاحت جهان کرفت

آری به اتحاد جهان میتوان کرفت

() مفردة عراقیة، کنایةً عن العربة التی تجرّها الخیول.

() مفردة فارسیة الأصل، وهی عبارة عن أداة من أدوات المطبخ، تستخدم لإعداد الشای.

() أصل البیت بالفارسیة:

تا کلّه شیخنا ملنک است

این قافلة تا به حشر لنک است

() عبد الحمید الثانی بن عبد المجید محمود العثمانی، ولد سنة ۱۲۵۸ه (۱۸۴۲م) ومات سنة ۱۳۳۶ه (۱۹۱۸م) ویعد الرابع والثلاثین من سلاطین العثمانیین البالغ عددهم سبعةً وثلاثین خلیفة، تولّی العرش سنة ۱۲۹۳ه (۱۸۷۶م) خلفاً لأخیه مراد الخامس، ونظراً لعصبیة مزاجه وظلمه واستبداده؛ أدت سیاسته إلی تقسیم البلاد فقد احتلت النمسا البوسنة والهرسک کما انفصلت البرتغال عن الجسم الإسلامی، وقد أکثر من سفک دماء المسلمین حتی لقب ب الأحمر، وکان یمنع کل شخص أن یسمی نفسه باسم «عبد الحمید»، وأضحت الوظائف فی عهده تباع بالأموال، وفی سنة ۱۲۹۶ه (۱۸۷۸م) أوقف العمل بالدستور، خلع عن العرش سنة ۱۳۲۷ه (۱۹۰۹م) ونفی إلی سالونیک وعین مکانه أخوه محمد رشاد ثم نقل من منفاه إلی إسطنبول؛ خشیة أن یقبض علیه الأعداء وبقی فی إسطنبول إلی أن وافته المنیة.

() جمعیة الاتحاد والترقی: تعد أول تشکیلة حزبیة قومیة، تأسست سنة ۱۳۰۷ه (۱۸۹۰م) وبلغت ذروة نشاطها سنة ۱۳۲۵ ه (۱۹۰۷م)، دعت إلی الأمة الطورانیة النزعة القومیة? العدائیة تجاه العناصر غیر الترکیة فی الدولة العثمانیة وسعت إلی تغریب الدولة العثمانیة والقضاء علی المفاهیم الإسلامیة، وإن أغلب أعضائها من العسکریین وتسمّی الجمعیة بأسماء أخری منها: العثمانیون الجدد، ترکیا الفتاة.

یقول صاحب کتاب نشوء القومیة ص۸۶ عن قیادات هذه الجمعیة ما لفظه: «أحدهم بولونی اعتنق الإسلام واثنان یهود ورابع بلغاری غجری اعتنق الإسلام وخامس نصفه شرکسی ونصفه مجری».

عن هذه الجمعیة راجع الموسوعة الإسلامیة: ج۴ ص۷ لحسن الأمین.

() الکافی (أصول): ج۲ ص۳۶۲ ح۳، الاختصاص: ص۲۶۶، کشف الریبة: ص۲۱، مجموعة ورام: ج۲ ص۲۰۹، منیة المرید: ص۳۳۲، مستدرک الوسائل: ج۹ ص۱۴۴ ب۱۴۱ ح۱۰۵۰۲، بحار الأنوار: ج۷۱ ص۱۸۶ ب۱۳ ح۷ ط بیروت، وسائل الشیعة: ج۱۲ ص۳۰۲ ب۱۶۱ ح۱۶۳۶۱.

() ونص الحديث كما عن محمد بن الفضيل، عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال: (قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ مِنْ إِخْوَانِى يَبْلُغُنِى عَنْهُ الشَّيْءُ الَّذِى أَكْرَهُهُ فَأَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَيُنْكِرُ ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرَنِى عَنْهُ قَوْمٌ ثِقَاتٌ فَقَالَ لِى يَا مُحَمَّدُ كَذِّبْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ عَنْ أَخِيكَ فَإِنْ شَهِدَ عِنْدَكَ خَمْسُونَ قَسَامَةً وَقَالَ لَكَ قَولا فَصَدِّقْهُ وَكَذِّبْهُمْ، لا تُذِيعَنَّ عَلَيْهِ شَيْئاً تَشِينُهُ بِهِ وَتَهْدِمُ بِهِ مُرُوءَتَهُ فَتَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِى كِتَابِهِ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) الكافى (روضة): ج۸ ص ۱۴۷ ب۸ ح۱۲۵، أعلام الدين: ص۴۰۵، ثواب الأعمال: ص۲۴۷، وسائل الشيعة: ج۱۲ ص۲۹۵ ب۱۵۷ ح۱۶۳۴۳، بحار الأنوار: ج۷۲ ص۲۱۴ ب۶۵ ح۱۱ ط بيروت

() فتح المسلمون الهند سنة ۸۹ ه (۷۰۷م)، وقد حكم الهند سلالات من المسلمين الشيعة أمثال:

أ. قطب شاهيون: ومؤسسها محمد على، أحد تلامذة صفى الدين الأردبيلى الذى أصبح حاكماً لمنطقة «الدكن» سنة ۹۱۸ ه.

ب. العادل شاهيون: ومؤسسها عادل شاه الساوجى.

ج. النظام شاهيون: ومؤسسها أحد الهنود واسمه تيمابهن، ومن حكامها شاه طاهر.

للتفصيل راجع مستدركات أعيان الشيعة: ج۱ ص۱۹۲ ومصدره الإسلام وإيران الجزء الثالث ص ۲۷۰ ۲۷۱.

() حزب أسّسته مجموعة من المفكرين الهنود لمقاومة الاستعمار البريطانى سنة ۱۳۰۳ه (۱۸۸۵م) وعقد مؤتمره التأسيسى فى بومباى من نفس السنة، وقد تناوب على رئاسته عدة زعماء، منهم: دادا بيه ناروجى، وكوخال، وكرفال ميها وبيلاك، وغاندى، ونهرو، وشاسترى، وأنديرا غاندى، وقد حقّق الحزب مكاسب جمّة للشعب الهندى وعلى رأسها استقلال البلاد سنة ۱۳۶۶ه (۱۹۴۷م)، وفى سنة ۱۹۷۷م حدث انشقاق فى الحزب فجناح تزعمته أنديرا غاندى وآخر تزعمه سردار سينغ وى شافان. راجع موسوعة السياسة: ج۲ ص۵۱۹ وكتاب: «عند قدمى غاندى» لبراسات، و قصتى مع الحقيقة لغاندى، و لمحات من تاريخ العالم لنهرو.

() سورة آل عمران: الآية ۱۰۳.

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() إن من يراجع التاريخ، يتبين له أن جميع دعاة القومية هم من غير المسلمين، والهدف هو تخفيف الصراع بين الإسلام والمسيحية وحماية المسيحيين فى البلاد الإسلامية بشكل يصونهم ويمنحهم الامتيازات دون أن يرتبطوا بقيود. ولأجل زرع الصراع والتقاتل بين المسلمين خدمة لمصالح الاستعمار. يقول لورنس بالنسبة للقومية العربية فى كتابه أعمدة الحكمة السبعة ص۳۵۱: «إن قصة الثورة العربية من أولها إلى آخرها ليست سوى قضية حياة أو موت بالنسبة إلى العرب. أما نحن الإنجليز فقد تبنيناها حباً بأنفسنا أو على الأقل طمعاً بكسب المستقبل ولم يكن فى مقدورنا تحاشى ذلك إلا بخداع أنفسنا فيما نشعر ونحس به من دوافع» للاطلاع على مساوئ القومية راجع كتاب (القوميات فى خمسين سنة) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() يقول محمود أبو رية فى كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة ص۱۸۵: «قال أحد كبار علماء الألمان فى الأستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة : إنه ينبغى لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبى سفيان فى ميدان كذا من عاصمتنا برلين. فقيل له: لماذا؟. قال: لأنه هو الذى حول نظام الحكم الإسلامى عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية، ولولا ذلك لعمَّ الإسلام العالم كله. إذاً لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عرباً مسلمين».

() بهلول بن عمرو الكوفى الصوفى، كما عن روضات الجنات وأعيان الشيعة، شاعر وفقيه وحكيم، توفى سنة ۱۹۰ه وقبره فى بغداد، يعدُّ من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم، ? أظهر الجنون بأمر الإمام الكاظم عليه السلام؛ وقايةً لنفسه، حيث إن هارون العباسى كان يسعى لقتل الإمام الكاظم عليه السلام ويحتال فى ذلك، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم فى إباحة دم الإمام؛ متهماً إياه بإرادة الخروج عليه ومنهم بهلول. فخاف بهلول من هذا واستشار الإمام الكاظم عليه السلام فأمره بإظهار الجنون ليسلم مما طلبه هارون منه. وفى غرائب الأخبار للسيد نعمة الله التسترى أن هارون العباسى أراد أن يولى رجلاً القضاء فشاور أصحابه فأشاروا ببهلول فاستدعاه

وقال له: أعنّا على عملنا هـذا. قال: بأى شـيء أعينك؟ قال: بعمل القضاء. قال: أنا لا أصـلح لـذلك. قال: أطبق أهل بغداد أنك صالح له. فقـال: سـبحان الله، أنـا أعرف بنفسـى منهم، فـإن كنت فى إخبـارى بـأنى لاـ أصـلح للقضـاء صادقـاً، فهو ما أقول، وإن كنت كاذباً فالكاذب لايصـلح لهذا العمل، فألحوا عليه وشددوا وقالوا: لا ندعك أو تقبل. قال: إن كان ولا بد فأمهلونى الليلة حتى أفكر فى أمرى، فلمـا أصـبح تجـانن وركب قصـبة ودخـل السوق؟ وكـان يقول: طرقوا، خلوا الطريق لاـ يطـأكم فرسـى. فقـال الناس: جُنّ بهلول. فقال هارون: ما جنّ ولكن فرّ بدينه منّا.

وكانت لبهلول مناظرات مهمة مع الخلفاء والولاة أمثال هارون العباسي ومحمد بن سليمان والى البصرة ابن عم هارون، منها: أن هارون خرج إلى الحـج فلما كان بظاهر الكوفـة بصـر بهلولاً على قصـبة وخلفه الصبيان وهو يعـدو، فقال: من هذا؟ قالوا: بهلول المجنون. قال: كنت أشـتهى أن أراه فـادعوه من غير ترويع. فقالوا: أجب الأمير. فعـدا على قصـبته. فقال هارون: السـلام عليك يا بهلول. فقال: عليك السـلام يا أمير. فقال: كنت إليك مشتاقاً. قال: لكنى لم أشتق إليك. قال: عظنى. قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم. فقال: زدنى فقد أحسـنت. فقال: من أعطاه الله مالاً وجمالاً فعفّ فى جماله وواسـى فى ماله، كتب فى ديوان الأبرار. فظنّ هارون أنه يريد منه شيئـاً. فقال: أمرنا بقضاء دينك. فقال بهلول: لا، إنه لا يقضـى دين بـدين، اردد الحق على أهله واقض دين نفسك. فقال: قـد أمرنا أن يجرى عليـك. قـال: أترى الله يعطيـك وينسـانى، ثم ولّى هارباً. وروى بإسـناد آخر: أنه قال لهارون: يا أمير، فكيف لو أقامك الله بين يـديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير؟ قيل: فخنقته العبرة. فقال الحاجب: حسـبك يا بهلول، قـد أوجعت الأمير. فقال هارون: دعه. فقال بهلول: إنما أفسـده أنت وأضـرابك. فقال هارون: أريـد أن أصـلك بصـلة. فقال بهلول: ردَّها على من أخـذت منه. فقال هارون: فحاجـة. قـال: لا ترانى ولا أراك. ثم قال: يا أمير، حـدّثنا أيمن بن نائل عن قدامـة بن عبـد الله الكلابى قال: رأيت رسول الله صـلى الله عليه و اله يرمى جمرة العقبة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول:

فعدك قد ملكت الأرض طراً

ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت فى قبر ويحوى

تراثك بعد هذا ثم هذا

ثم إن بعض الخلفاء قال لبهلول: أتريد أن أحيل أمر معاشك إلى الخزانة حتى لا تكون فى تعب منه طول حياتك. فقال: أرضى به، ما خلا من معايب، أولها: إنك لا تـدرى إلى ما أحتاج حتى تهيئه لى. ثانيها: إنك لا تـدرى متى أحتاج حتى لا تتجاوزه. ثالثها: إنك لا تـدرى مقـدار حاجتى حتى لا تزيـد عنه ولا تنقص فتبتلينى، والله الـذى ضـمن رزقى، يـدرى جميع هـذه؟ الثلاثـة منى، مع أنك ربما غضبت علىّ فحرمتنى، والله سبحانه وتعالى لايمنعنى فضله ورزقه وإن كنت عاصياً له بجميع أعضائى وجوارحى.

ويذكر فى التاريخ أن بهلولاً مرّ بهارون العباسـى وقد بنى قصـراً جديداً فقال لبهلول: اكتب شيئاً على هذا القصر، فأخذ بهلول قطعة من الفحم وكتب: رفعت الطين ووضـعت الدين، ورفعت الجص ووضـعت النص، فإن كان من مالك فقد أسرفت والله لا يحب المسرفين، وإن كـان من مـال غيرك فقـد ظلمت والله لا يحب الظالمين. ومن وصايا بهلول: اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معرفتك واسـلك بها طريق مبغضك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ. للمزيد راجع عقلاء المجانين للحسن بن محمد النيسابورى ومجالس المؤمنين.

() المهاتما غانـدى، ولـد فى بور بنـد الهندية سـنة ۱۲۸۶ه (۱۸۶۹م)، واغتيل سـنة ۱۳۶۷ه (۱۹۴۸م)، بـدأ كفاحه السـلمى لتحرير الهند سنة۱۳۳۷ه (۱۹۱۹م)، وتزعـم حزب المـؤتمر، سـعت جهوده إلى تحرير الهنـد من الاسـتعمار البريطـانى، عـبر وسـيلة المقاومـة السـلمية اللاعنف والعصيان المدنى والصوم، وقد كلّفه صراعه أن يدخل السجن عدّة مرات، من مؤلفاته: (قصة تجاربى مع الحقيقة).

() هارون بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور، خامس خلفاء بنى العباس والبالغ عددهم ۳۷خليفة، ولد فى مدينة رى الإيرانية وتقع

فی أطراف طهران الحالیة سنة ۱۴۸ه (۷۶۵ م)، ومات فی جمادی الأولی سنة ۱۹۳ه (۸۰۹ م) فی قریة سناباد عندما ذهب إلی خراسان لقمع ثورة رافع بن اللیث عن عمر یناهز ۴۷ سنة، وحکم سنة ۱۷۰ه (۷۸۶م)، وامتد حکمه ۲۳ سنة وشهراً وتسعة عشر یوماً، وخلف عشرین ولداً نصفهم ذکور ونصفهم إناث، واتّسم حکمه بالظلم والاستبداد وعلی الخصوص لأئمة أهل البیت علیه السلام وأتباعهم، فقد قتل الإمام الکاظم علیه السلام بعد أن سجنه عشر مرات فی البصرة وبغداد، وکذا قتل الطالبیین. وکان هارون یسعی دائماً إلی طمس المذهب الشیعی، والآثار الإسلامیة، وبالأخص العتبات المقدسة فی مدینة کربلاء فقد هدَّم قبر الإمام الحسین علیه السلام وحرث الحرم وقطع شجرة السدرة التی کانت معلماً لإرشاد الزائرین وذلک سنة ۱۹۳ه، وقد أضحی العلماء فی عهده یتحامقون أمثال بهلول بن عمرو وعلیان وعیناوه، ومن وسائل قتله للأبریاء هو بناء الأعمدة المجوَّفة ووضع الإنسان فیها ثم سد فوهة العمود فیبقی المعذب فیه حتی یأتیه الموت بتلک الحالة، وبنی سیاسته ضد خصومه علی أسلوب خلق الفتن والتآمر والاغتیال والدعایة فی طعن النسب وفی الإیدیولوجیة وفی الهجوم العسکری إن تسنی له ذلک، واهتم بالغناء والمغنین وقرّب الکثیر منهم وأجزل العطاء علیهم وکان یجمعهم فی مجلس واحد ویقترح علیهم فی الأصوات لیطرب هو ومن معه، وقد اختار له إسحاق الموصلی من الغناء مائة صوت، عرفت بالأصوات المائة المختارة، التی وضع أبو الفرج الأصفهانی فیها کتاب الأغانی. وکان أخو هارون، إبراهیم، المعروف بابن شکلة قد بلغ منزلة بالغناء والعزف والمنادمة حتی اشتهر بشیخ المغنین، وقد ذکر فی التاریخ أنه لما عجز إبراهیم عن توزیع عطاء الناس؛ لصرفها فی ملذاته، قال قوم من أهل بغداد هازئین مستهزئین: أخرجوا لنا خلیفتنا یغنی لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فتکون عطاءً للجمیع، ?وکانت أخت هارون، علیة، تغنی وأخوها الآخر، یعقوب، یزمّر لها علی الغناء. وقد قال الشاعر أبو فراس الحمدانی مقارناً بین أفعال? العباسیین والعلویین قائلًا:

منکم علیة أم منهم وصاحبکم

شیخ المغنین إبراهیم أم لهم

تبدو التلاوة من أبیاتهم سحراً

ومن بیوتکم الأوتار والنغم

لیس الرشید کموسی فی القیاس ولا

مأمونکم کالرضا إن أنصف الحکم

راجع معجم البلدان: ج۴ ص۱۶۵، الأعلام للزرکلی: ج۸ ص۶۲.

() ذکر عیون أخبار الرضا علیه السلام بسنده عن عبید الله البزاز النیسابوری عن حمید بن قحطبة والی خراسان؛ إنه قتل فی لیلة واحدة بأمر هارون فی طوس ستین نفساً من العلویین طرح أجسادهم فی بئر هناک.

() وقد عد بعض المؤرخین أن هارون أول من جعل للمغنین والمغنیات مراتب وطبقات، اقتداءً ب «أردشیر وکسری» حکام فارس، وأنه أول خلیفة لعب بالکرة والصولجان وهی لعبة فارسیة، وأنه کثر فی زمانه لعبتا الشطرنج والنرد.

() ولا یخفی عدم صحة هذه المقولة؛ لأنه انفصلت عن الدولة العباسیة الأدارسة فی المغرب، والسامانیة فی خراسان وما وراء النهر، والغزنویة فی أفغانستان، والأمویة فی الأندلس، والرستمیة فی المغرب الأوسط، ولو سلمنا بصحة هذه المقولة فما قیمة الملک الواسع والعریض والناس یعیشون فی کبت واضطهاد وذل ومهانة، ألم یکن لجنکیزخان وهولاکو وهتلر البلاد الواسعة والمُلک العریض؟!.

() تیمو جین بن یشوکی والمشهور ب(جنکیز خان)، مؤسس الإمبراطوریة المغولیة، ولد سنة ۱۱۹۲م ومات إثر سقوطه عن صهوة جواده سنة ۱۲۲۷م، تولی الحکم وراثة وهو ابن الثالثة عشرة من العمر، وبفترة وجیزة أبرز شجاعته وجلده وقوته العسکریة وشرع فی بناء إمبراطوریة عظمی، حکم من سنة ۱۲۰۶م واستمر فی الحکم إلی سنة ۱۲۲۷م، واستطاع خلال هذه الفترة أن یوحد القبائل المغولیة الوثنیة المتنقلة وتوجیهها للفتوحات، وأخضع الکثیر من البلدان لحکمه، منها: منغولیا سنة ۱۲۰۶م والصین سنة ۱۲۱۵م، وفارس

وأفغانستان وأرمينيا والهند وقسم كبير من روسيا، وعرف بالبطش والقتل وحبه للدماء، وقد ذكر الإمام الراحل رحمة الله عليه بعض جرائم المغول وعلى رأسهم (جنكيز خان) في كتابه (الصياغة الجديدة) ص۳۵۴ ومصدره كتاب أسرى الحرب، ما نصه: «وفي حروبهم اشتبكوا مع شاه «خوارزم»، علاء الدين، فأحرق المغول مدينة «بخارى» ونهبوا ثرواتها واغتصبوا النساء وسيق الأسرى إلى «سمرقند»، ولما صعب عليهم اللحاق بالفرسان، أمر جنكيز خان بقتل كل من يتخلّف عن السير، واستحالت «بخارى» إلى أنقاض وخرائب. ولاقت مدينة «سمرقند» المصير نفسه؛ حيث نهبت وقتل السكان وأسروا ۳۰ ألفاً من أمهر الصنّاعين وأرسلهم جنكيزخان إلى أبنائه في الشمال، كما جنَّدوا عدداً كبيراً لاستخدامهم في الأشغال العسكرية والنقل. وفي مدينة «خراسان»، جمعوا الأهالي في ساحة واسعة وأمروهم أن يُكتِّف بعضهم بعضاً ثم شرعوا بذبحهم، فقتلوا سبعين ألفاً. ولما احتلوا مدينة «مرو»، وزّعوا سكانها على المحاربين المغول ووزّع كل منهم نصيبه، ولم يُبقوا إلاَّ على أربعمائة صانع لحاجة الجيش إليهم، وعلى بعض الأفراد لاتّخاذهم عبيداً، ولاقت بقية المدن نفس هذا المصير. ولما سمع المغول أن بعض الأهلين رقدوا بين جثث القتلى، أصدر الأوامر بفصل الرؤوس عن أجسادها واتبعوا ذلك في جميع? معاركهم اللاحقة. وكانوا يطاردون الفارّين كما يطارد الصياد فريسته. واستخدموا شتى أنواع الحيل لإخراج المختبئين من مخابئهم، مثلاً: أرغموا مؤذناً من أسراهم على الأذان للصلاة، وخرج المسلمون من مكامنهم معتقدين بذلك، ذهب الغزاة الذين كانوا لهم بالمرصاد فأبادوهم. وكانوا يحرقون الغلات والمحاصيل قبل مغادرتهم المدن ليموت من اختبأ أو فرّ من السكان جوعاً. وكانت سياسة جنكيز خان في حروبه ذبح جميع جنود الحاميات وسكان المدن والسلب والنهب وغرق الأسرى، وإذا قاومت مدينةٌ المغولَ، صنعوا بها الأفضع، فقد قاومت «نيسابور» بضعة أيام فكان جزاؤها ذبح الرجال والنساء والأطفال. وعندما هجم المغول على مدينة بغداد، حاصروها أربعين يوماً ونصبوا المنجنيقات على جميع القلاع والحصون وأمطروها بالحجارة والنار المشتعلة وأحدثوا ثغرة كبيرة في أسوارها وأحرقوا المنازل، ولما رأى الخليفة العباسي أنه لا علاج إلا بالصلح، طلب الصلح وأبدى استعداده للتسليم شريطة الإبقاء على حياته وحياة السكان، وخرج مع ثلاثة آلاف من القضاة والأعيان والأشراف لملاقاة هولاكو، فخان الاتفاق وغدر بهم كما فتك بسكان المدينة، فأمر هولاكو بنهب المدينة وذبح سكانها ووطئت أجساد المستغيثين بحوافر الخيل واغتصبت النساء، وسالت الدماء في الشوارع مدة ثلاثة أيام حتى أصبح ماء دجلة لعدة أميال أحمر قانياً. واستبيحت المدينة ستة أسابيع، فذبحوا السكان وانتهكوا الحرمات وأحرقوا الدور وتهاوت القصور وتقوضت الجوامع والضرايح بسبب النار أو بسبب المعاول، وذبحوا المرضى في المستشفيات، وقتلوا طلاب العلم والأساتذة في المدارس، ونبشوا قبور الأولياء وأضرحة الأئمة الصالحين، وأحرقوا جثث الأموات، واستمرت المذابح عدة أيام، وأمست مدينة بغداد خراباً بلقعاً، وهلك من سكانها أكثر من مليون ونصف. وعبر المغول الفرات متجهين صوب الجزيرة يطاردون الأهلين فيقتلون ويسلبون، فأبادوا جميع سكان مدينة «ألرها» و «جران» و «نصيبين» وذبحوا في مدينة «حلب» خمسين ألفاً وسبوا عشرة آلاف من نسائها وأطفالها. وفعلوا أيضاً في غالب بلاد الإسلام هذا الفعل، مثلاً: لما علم تيمورلنك بمقتل جماعة من رجاله وجنوده الذين دخلوا مدينة «أصفهان» غضب وأصدر أمره إلى الجيش باقتحام المدينة وأن يعود كل جندي مع رأس قتيل من أهلها، ونفذ الجيش الأمر وتحولت المدينة إلى مجزرة بشرية مروعة، وتكدست عند المساء سبعون ألف جمجمة من الضحايا، فأمر تيمور أن تقام منها أبراج في شوارع المدينة».

() لوسيوس دو ميتيوس والمشهور ب نيرون، رابع أباطرة وملوك الرومان، الذين حكموا البلاد بالحديد والنار من سنة ۱۴م وإلى ۱۱۷م والبالغ عددهم اثني عشر شخصاً، ولد نيرون سنة ۳۷م، وحكم أربع عشرة سنة منذ سنة ۵۴م وإلى ۶۸م، واتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية والطغيان والوحشية حتى إنه قتل أمّه سنة ۵۹م وزوجته سنة ۶۲م وأحرق روما سنة ۶۴م، ومثالاً على استبداده أنه: «سأل آغربين، الشاعر؛ وهو تحت النطع: من أشقى الناس؟، فأجابه معرّضاً به: من إذا ذكر الناس الاستبداد، كان مثالاً له في الخيال»؛ كما ورد في طبائع الاستبداد ص۵۸ للكواكبي، انتحر بخنجر أغرزه في عنقه سنة ۶۸م؛ بعد أن ثار عليه القادة العسكريون في إفريقيا وإسبانيا، وعاش ۳۱ سنة.

() أدولف هتلر ولـد في النمسا سـنة ۱۸۸۹م، وانتحر في برلين سـنة ۱۹۴۵م، تسـلم مقاليد الحكم في ألمانيا سـنة ۱۹۳۴م، أدت سياسته المتعجرفـة إلى نشوب الحرب العالمية الثانية سـنة ۱۹۳۹م، والتي ذهب ضـحيتها قرابة الخمسـين مليونَ إنسانٍ، وخسـر المعركة بهجومه على روسيا سنة ۱۹۴۳م، من مؤلفاته كتاب: (كفاحي).

() بنيتو موسـيليني، ولد سـنة ۱۸۸۳م، وقتـل في ۲۸ نيسـان ۱۹۴۵م، مؤسـس الحزب الفاشـي الإيطالي في ميلانو سـنة ۱۹۱۹م، زحفت ميليشياته على روما سنة ۱۹۲۲م وأسندت إليه الوزارة، أصبح رئيساً لإيطاليا في نفس السنة، أنشأ مع هتلر محور روما برلين سنة ۱۹۳۶م، تحالف مع هتلر في الحرب العالمية الثانية، وأدّت هزيمة قواته إلى سقوطه، أُقصي من الحكم سنة ۱۹۴۳م ثم أعاده الألمان إلى الحكم مرة أخرى سنة ۱۹۴۴م.

() جوزيف سـتالين، ولـد سـنة ۱۸۷۹م، ومات سـنة ۱۹۵۳م، أصبـح الأـمين العـام للحزب الشـيوعي في الاتحـاد السوفياتي السابق سـنة ۱۹۲۴م، واستمر إلى سنة ۱۹۵۳م وأصبح رئيساً للجمهورية بين الفترة ۱۹۴۱ ۱۹۵۳م، اتّسم حكمه بالاستبداد والديكتاتورية، وقد قضى على خصومه في محاكم صورية، وقتل من الشـعب أكثر من عشرين مليوناً لأجل تحويل النظام الزراعي التقليدي إلى المزارع الجماعية أو المزارع الحكومية. وقد سـبب هذا التحويل سحق الطبقة الوسطى في المجتمع ممّا أدّى إلى خفض الإنتاج الزراعي، ونقص الملايين من رؤوس الماشية، وإحداث مجاعات في البلاد وعلى الخصوص في أوكرانيا وشمال القفقاز.

() توماس أديسون، ولد سنة ۱۸۴۷م، وتوفي سنة ۱۹۳۱م، عالم فيزيائي إمريكي، مخترع الآلات الكهربائية ومنها المصباح الكهربائي.

() يقول الكاتب اليهودي إيرل يوغر في كتابه العهد والسـيف الصادر سنة ۱۹۶۵م: «يجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي. وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشايخ».

() إشارة إلى الحديث الوارد في نهج البلاغة: الخطبة ۱۲۷، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ۱۰ ص ۲۸۰.

() سورة العنكبوت: الآية ۶۹.

() فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه و اله الحديث التالي: (أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) الكافي (أصول): ج۲ ص۱۱۷ ح۴، وسائل الشـيعة: ج۱۲ ص۲۰۰ ب ۱۲۱ ح۱۶۰۸۱، وورد أيضـاً: (أمرني ربي بمـداراة النـاس كمـا أمرني بتبليغ الرسالـة) مستدرك الوسائل: ج۹ ص۳۵ ب۱۰۴ ح۱۰۱۳۴.

() للمزيد من التفصيل راجع كتاب (الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() القاجاريون: سـلالة إيرانيـة، حكموا منذ سـنة ۱۲۱۰ه‍ (۱۷۹۵م) وإلى سـنة ۱۳۴۳ه‍ (۱۹۲۵م) ولمدة ۱۳۳سنة، وعدد ملوكهم سـبعة؛ أوّلهم محمـد فتح علي شاه وآخرهم أحمد شاه، وأبرز ملوكهم فتح علي شاه وناصـر الدين شاه ومظفر الدين شاه، وفي عهدهم دخلت إيران في السـلك الأوروبي، وخسـرت مدينـة باكو وجورجيا ومعظم أرمينيا الفارسـية؛ بعد أن اسـتولت عليها روسـيا القيصـرية، وأطاح بسلالتهم رضا بهلوي سنة ۱۳۴۳ه‍ (۱۹۲۵م). للتفصيل عن قبيلة قاجار راجع أعيان الشيعة: ج۳ ص ۱۲۰.

() ومن نافلـة القول نذكر القصة التالية: يقول طه الهاشـمي: إنَّ شاباً مسـيحياً من الموصل، راجعني حينما كنت رئيساً لجمعية فلسـطين، وطلب إليّ أن أتوسط في إرساله مجاهداً إلى فلسـطين، فقلت له: إن الجمعية لا تبعث المجاهدين إلى فلسطين، لأن مهمتها جمع المال للمنكوبين من أهل فلسـطين. ولما لم يقتنع بهـذا الجواب، أتى إلى مركز الجمعية في يوم اجتماع هيئتها الإدارية، وكرر الطلب. فأجيب بما قلت له قبلاً. وبعد بضـعة أيام، راجعني مرة ثانية، والتمس مني أن أتوسط في تعيينه موظفاً، وادّعى بأنه متخرج من مدرسة الصـنائع. فقلت له: إن وزارة الدفاع نشرت في الجرائد حاجتها إلى متخرجي مدارس الصنائع، فليراجعها. فذهب. ثم عاد، وطلب مني مالاً، فنهرته على ذلك. وبعد مدة من الزمن علمت من رجل مسؤول أن الشاب المذكور اتصل برئيس المرافقين وأسـرّه بأنني حرّضـته على اغتيال شخصـية عظيمـة، وأني وعـدته بالمال. نقل رئيس المرافقين الخبر إلى الحكومـة، فاجتمع المسؤولون وتـداولوا في الأمر، فلم يصـدقوه وتأكـدوا مني أن المخبر مفترٍ كاذب. وطلب رئيس الوزراء من وزير الداخليـة إعادة ذلك المفتري إلى بلـده، وقـد اتّضـح بعد مدة أن

الشاب المذكور لم يبعد، إنما استخدم فی مطعم ضباط القوة الجوية.

لقد حاولت عبثاً أن أعرف الجهة التی دبرت ضدی هذه المؤامرة الحمقاء وأعلم الواسطة التی استخدمت الشاب فی مطعم الضباط ولكن دون جدوی. راجع جريدة لواء الاستقلال تاريخ ۱۰/ ۱/ ۱۹۵۱م.

() تأسست الدولة العثمانية سنة ۱۲۸۱م وسقطت سنة ۱۹۲۲م وعدد خلفائها ۳۷ خليفة أولهم عثمان الأول وآخرهم عبد المجيد الثالث الذی نفاه أتاتورك إلی مدينة نيس الفرنسية. ومن أخطر? مثالبهم إضافة إلی الفساد والاستبداد هو ترك مصادر التشريع الإسلامی والتوسل بالقوانين الغربية الوضعية. للمزيد راجع كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() متشابه القرآن: ج۲ ص۲۱۲، نهج الحق: ص۵۱۵، من لايحضره الفقيه: ج۴ ص ۳۳۴ ب۲ ح۵۷۱۹،وسائل الشيعة: ج۲۶ ص۱۴ ب۱ ح۳۲۳۸۳ وص۱۲۵ ب۱۵ ح ۳۲۶۴۰، غوالی اللآلی: ج۱ ص۲۲۶ ح۱۱۸ وج۳ ص۴۹۶ ح۱۵، مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص۱۴۲ ب۱ ح۲۰۹۸۵.

() سورة الأنفال، الآية: ۶۰.

() سورة الكهف: الآيات ۸۹، ۹۲.

() غوالی اللآلی: ج۳ ص۲۸۶، وقريب منه فی بصائر الدرجات: ص۶ وص۵۰۵، وبحار الأنوار: ج۲ ص۹۰ ب۱۴ ح۱۴ وح۱۵، وص۱۶۸ ب۲۲ ح۱ ط بيروت.

() يقول كرزون وزير خارجية إنجلترا فی مجلس العموم البريطانی بالنسبة للقضاء علی الخلافة العثمانية: «لقد قضينا علی تركيا التی لن تقوم لها قائمة بعد اليوم، لأننا قضينا علی قوتها المتمثلة فی أمرين الإسلام والخلافة».

() يقول توماس أدورد لورنس فی كتابه أعمدة الحكمة السبعة: ص۴۷ ۴۸ عن فيصل: وما كان نظری يقع عليه حتی أيقنت أن هذا الشخص هو الشخص الذی جئت بلاد العرب لأبحث عنه وآمنت بأنه هو الزعيم الذی سيسير بالثورة العربية إلی هدفها المنشود.

() فقد قسموا الخلافة العثمانية وفق اتفاقية سايكس بيكو، وتنص هذه الاتفاقية علی تقاسم كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية تركة الخلافة العثمانية. وهذا الاتفاق كشف عنه الروس بعد إطاحتهم بالنظام القيصری، يقول لورنس فی كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ص۳۵۴ ۳۵۵ ما نصه: «وقرأ جمال باشا بنوده السرية فی حفل عام دعا إليه فی بيروت، وبذلك سبب الكثير من المتاعب ولو إلی حين فی وجه بريطانيا وفرنسا اللتين أرادتا إخفاء نواياهما الحقيقية بشأن البلاد العربية عن العرب. ولحسن حظی أننی كنت قد كشفت لفيصل قبل هذا التاريخ? عن وجود مثل تلك الاتفاقية، وأقنعته بأن أفضل وسيلة لكسر مفعول الاتفاق هی تقديم عون فعال للإنجليز. عندئذ سيكون من الصعب عليهم بعد النصر التضحية بحليف السلاح من أجل تنفيذ اتفاق ورقی. ولكن بما أننی لم أكن واثقاً من حسن تصرف الإنجليز فقد رجوت فيصلاً ألّا يعتمد كوالده علی وعودنا».

() الجنرال أللنبی: القائد العام للقوات البريطانية، وكان هذا الشخص يموّل الشريف الحسين والد فيصل الأول مادياً وعسكرياً ضد الدولة العثمانية، وكان فيصل تحت إمرته، للمزيد راجع مذكرات لورنس ص۲۱۶.

() يقول لورنس فی كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) ص۴۰۱: «قيل لنا بأن القطار الذی يقل فيصلاً من درعا قد وصل إلی المحطة، فكلفنا يوينغ بالذهاب إليه واستقباله باسمنا فی المحطة. وبعد برهة من الوقت ووسط هتافات الجماهير المدوية، وصل فيصل ليجتمع بالجنرال أللنبی لأول مرة وكلاهما فی قمة النصر والمجد. وكانت مهمتی فی هذا الاجتماع أن أقدِّم كليهما للآخر وأتولی عملية الترجمة بينهما».

() للمزيد من التفصيل عن انهيار الدولة العثمانية راجع كتاب «أعمدة الحكمة السبعة» للمؤلف توماس أدورد لورنس.

() يقول الباحث حسن الأمين فی كتابه (مظاهرات وثورات وحروب عربية) ص۶۴: «فليس فی تاريخ الدولة العثمانية ما يشعر بأنه كان للشيعة فيها نصيب ابتداءً من منصب الوزير وانتهاءً بمنصب مدير الناحية ومروراً بمنصب الوالی ومنصب المتصرف ومنصب القائمقام».

ويضيف في نفس الصفحة: «وكان (مجلس المبعوثان) كلّه من السنة، ما عدا واحد من كربلاء، ولم يكن من أعضائه من شيعة العراق». وفى مكان آخر يقول: «وحرموا الشيعة من مجلس الأعيان».

ويقول فى ص۶۵: «وممّا عاناه الشيعة فى الدولـة العثمانية عدم الاعتراف بمذهبهم فكان المفروض عليهم أن يتحاكموا ويحكم عليهم بما يراه قضاة المذهب الحنفى».

() سورة الأنفال: الآية ۴۶.

() سورة النساء: الآية ۱۲۲.

() الحرب العالمية الأولى، اندلعت سـنة ۱۹۱۴م بين ألمانيـا والنمسـا والمجر من جـانب، وفرنسا وإنجلترا وبلجيكيا واليابان وأمريكا من جـانب آخر، وانتهت فى سـنة ۱۹۱۸م. وبلغت تكاليفهـا ۱۹۰ مليـار دولاـر، وقـد قتل فيها تسـعة عشـر مليون إنسان، ومن الأسـباب غير المباشرة لهذه الحرب نمو النزعة القومية فى أوروبا ووجود الصراع السياسى والاقتصادى بين الدول إضافة

إلى التكتل الدولى، ومن الأسباب المباشرة إعلان النمسا الحرب على صربيا سنة ۱۳۳۲ه (? ۱۹۱۴م) وإعلان ألمانيا الحرب على روسيا ثم فرنسا، وانتهت الحرب بعقد معاهدة فرساى سنة ۱۳۳۷ه (۱۹۱۹م).

() منظمة دولية شـكّلها الحلفاء الذين كسبوا الحرب العالمية الأولى وهم: أمريكا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا واليابان سنة ۱۹۲۰م بموجب ميثاق؛ شـكل جزءاً من معاهدة فرساى والتى كانت مهمتها تنظيم الأوضاع الدولية بعد الحرب، ويتكون برنامج عصـبة الأمم من مقدمة وست وعشـرين مـادة، ويتألف أعضاؤها بالإضافـة إلى الحلفاء والـدول التى أستشـيرت عنـد مناقشـة النصوص والبالغ عـددها ۱۳ دولة ودولٍ أخرى ينتمون إليها بموافقـة ثلثى الأعضاء، وتتكون العصبـة من ثلاث هيئات: أ. الجمعية العامة ب. مجلس وأمانة دائمة. ج. هيئة قضائيـة دوليـة للفصل بين المنازعات الدوليـة القانونيـة تعرف بمحكمـة العـدل الدولية. وقد كرّست هذه العصـبة هيمنة مؤسسـيها على الـدول الأـخرى وغرست فيهم روح التبعيـة للغرب، إضافـة إلى عـدم تحمـل مؤسسـيها لمسؤوليـاتهم والتزاماتهم تجاه الشـعوب. راجع موسوعة السياسة: ج۴ ص۱۱۲

د. عبد الوهاب الكيالى.

() هناك وثيقة لملك فرنسا، لويس التاسع، وهى محفوظة فى دار الوثائق القومية فى باريس، وتنص على عدة بنود لتفريق المسـلمين، منها:

۱ إشاعـة الفرقـة بين قـادة المسـلمين، وإذا حـدثت فليعمـل على توسـيع شـقتها مـا أمكن حتى يكون هـذا الخلاف عاملاً فى إضـعاف المسلمين.

۲ عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

۳ إفساد أنظمة الحكم فى البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة.

۴ الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحى فى سبيل مبادئه.

۵ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة فى المنطقة.

۶ العمل على قيام دولة غريبة فى المنطقة العربية، تمتد ما بين غزة جنوباً وأنطاكيا شمالاً، ثم تتجه شرقاً وتمتد حتى تصل إلى الغرب.

راجع الصياغة الجديدة: ص۵۷۷ للإمام المؤلف رحمة الله عليه.

() يقول مورو بيرجر فى كتـابه العـالم العربى المعاصـر: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمـة? العربيـة ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عنـد العرب، بل بسـبب الإسـلام، يجب محاربـة الإسـلام للحيلولـة دون وحدة العرب التى تؤدى إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره، إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الإفريقية».

ويقول أبو جين روستو، رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الإمريكية ومساعد وزير الخارجية الإمريكية ومستشار الرئيس جونسن

لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م ما يلى: «يجب أن نـدرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين الدول أو الشعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف، خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى. راجع الصياغة الجديدة: ص ٥٧٠وص ٥٧٥ للمؤلف رحمة الله عليه.

() إشارة إلى الحديث الوارد: (الناس كأسنان المشط سواء) من لا يحضره الفقيه: ج۴ ص ٣٧٩ ب٢ ح ٥٧٩٨.

() سورة الحجرات: الآية ١٣.

() ومن أمثلة ذلك: ذات مرة حكم أحد العلماء بالهلال، وعالم آخر شهد عنده ثمانية عشر شخصاً، ولم يحكم بالهلال؛ وقد كان هذا العالم قد حكم بالهلال فى العام السابق لرؤية سبعة أشخاص من نفس هؤلاء الشهود.

() راجع موسوعة الفقه: ج٣۶ ص١٩٢ ٢٠١ كتاب الصوم، بحث ثبوت الهلال فى بلد دون بلد.

() من المناسب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الخطة التى سلكتها أمريكا للسيطرة على العراق، ففى أواسط الثلاثينات من القرن الماضى طلبت الحكومة الأمريكية من وزارة الخارجية إعداد مشروع لدخول منطقة الخليج، فأوعزت وزارة الخارجية إلى مراكز الدراسات أن تقدم ما لديها فى هذا الصدد بفترة زمنية لا تتجاوز السنتين. واختارت الحكومة إحدى الدراسات بعد أن شذّبتها وأضافت إليها، والتى تنص على أن العراق هو بوابة الخليج. ومنذ تلك الفترة قامت الحكومة الأمريكية بالنفوذ فى العراق عبر تقوية علاقاتها مع بعض المسؤولين فى العهد الملكى ومع بعض التجار. وبالفعل فقد تحقق حلم الأمريكان بعد تنصيب حزب البعث فى العراق سنة ١٩۶٨م الذى جاء بقطار إنجلو أمريكى على حدّ تعبير أمين سرِّ القيادة القطرية ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء على صالح السعدى فى نهاية الستينات، وعلى حدِّ تعبير عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران حردان التكريتى فى مذكراته. وكما ذكر ذلك زبير سلطان قدّورى فى كتابه: بغداد على خط الصفر، ثم تحقق حلم الأمريكان باحتلال العراق مباشرة عبر القضاء على صنيعتهم طاغية العراق صدام التكريتى فى ٩/۴/٢٠٠٣م.

() وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٩ه واستمر إلى شهر شعبان من نفس السنة، وفى هذه الفترة سعى رحمة الله عليه حثيثاً لإطلاق سراح أخيه السيد حسن الذى اغتالته المخابرات العراقية سنة ١۴٠٠ه (١٩٨٠م)، وكان برنامجه فى هذه الفترة يتجسد فى عدة نقاط كما ذكر ذلك فى كتاب كفاحى:

أولاً: تربية النفس بالطاعة والعبادة والزهد والاستغناء عمّا سوى الله.

ثانياً: الاستطلاع على الأوضاع العالمية من طريق أجهزة الإعلام.

?ثالثاً: التفكير فى طرق إنقاذ المسلمين، وفى هذه الفترة تكونت الخطوط والمناهج لهذه المهمة.

رابعاً: التأليف، وقد ألّف فيها ثلاثين كتاباً: اثنان فى التفسير تبيين القرآن وتوضيح القرآن .

وفى هذه الفترة قامت الحكومة باعتقال خمسين شخصاً من أصدقاء الإمام الراحل رحمة الله عليه من علماء وخطباء ومدرسين ووجهاء، أمثال: الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبى، والشيخ حمزة الزبيدى، والسيد سعيد الزينى.

() سورة الحجرات: الآية ١٢.

() سورة فصلت: الآية ٢٣.

() بحار الأنوار: ج٣٥ ص٣٨٣ ب١٨ ح١٢. وإليك نص الحديث كما عن على عليه السلام أنه ناجى رسول الله صلى الله عليه و اله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات، فسأل فى الأولى: ما الوفاء؟ قال: التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، ثم قال: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله عزوجل، قال: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك، قال: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. قال:

وما عليَّ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله. قال: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين. قال: وما أسأل الله تعالى؟ قال: العافية. قال: وماذا أصنع لنجاة نفسى؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً. قال: وما السرور؟ قال: الجنة. قال: وما الراحة؟ قال: لقاء الله تعالى.

() سورة المائدة: الآية ۱۰۱.

() وأصل البيت الشعرى باللغة الفارسية:

كه باز آرد بشيمانى

جرا عاقل كند كارى

كه يوسف كشت زندانى

زليخا مرد زين حسرت

() سورة البقرة: الآية ۲۸۶.

() سورة الطلاق: الآية ۷.

() بحار الأنوار: ج۱۰۲ ص ۱۶۸ «بيان» ط بيروت، وفى غوالى اللآلى: ج۴ ص۵۸ ح ۲۰۵:

لايترك الميسور بالمعسور.

() إشارة إلى سورة يوسف: الآية ۵۳ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي.

() نقل السيد المقرّم فى كتابه مقتل الحسين عليه السلام ص۳۹۶ ط قم: فقلن النسوة: بالله عليكم إلاّ ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطّعى الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح، ونهلت من دمائهم بيض الصفاح، وطحنتهم الخيل بسنابكها، صحن ولطمن الوجوه. وصاحت زينب: يا محمّداه، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة، فأبكت كلَّ عدوّ وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء، وقالت: إلهى تقبّل منّا هذا القربان.

() سورة المائدة: الآية ۲۷.

() سورة آل عمران: الآية ۳۷.

() سورة الصافات: الآيات ۱۸۰ ۱۸۲.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله " الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز " القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب

الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّـها لا تُـوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سـماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

